(٣) منتقيات

٢٠ محرم ١٤٣٠ هـ / ١٧ يناير ٢٠٠٩ م - ٢٣ محرم ١٤٣١ هـ / ٩ يناير ٢٠١٠



الشيخ علي حسن غلوم

الشيخ علي حسن غلوم

منتقيات

-٣-

مقالات مختارة من صفحة منتقى الجمان المنشورة على صفحات جريدة الوطن الكويتية

من

٢٠ محرم ١٤٣٠ هـ / ١٧ يناير ٢٠٠٩ م

إلى

٢٣ محرم ١٤٣١ هـ / ٩ يناير ٢٠١٠ م

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

من مطبوعات

مسجد سيد هاشم بهبهاني

تلفون: ٢٥٤٢٧٩٩٧ - ٢٥٤٢٧٦٦٧

فاكس: ٢٥٤٢٨٥٥٨

Email: alwalaa@alwalaa.com

محتويات الكتاب

١ـ بطلة كربلاء ٩
٢ـ خلاف الطوسي ١٢
٣ـ هواجس العقاب الإلهي ١٥
٤ـ مؤتمر عاشوراء ١٧
٥ـ بهتان عظيم ١٩
٦ـ يسألونك عن الوطن ٢٢
٧ـ إسهامات حضارية ٢٤
٨ـ زيارة المراقد ٢٧
٩ـ هل سيولد من جديد؟ ٣٠
١٠ـ إلى إدارة الوقف الجعفري مع التحية ٣٢
١١ـ هل دخلنا مرحلة الاستدراج؟ ٣٤
١٢ـ لي كوان يو ٣٧
١٣ـ لماذا ألحدت؟ ٤٠
١٤ـ عمه ٤٣
١٥ـ اخدعوهم لعلهم يرجعون ٤٦
١٦ـ الثقافة الاقتصادية ٤٩
١٧ـ ثم ابتسمت فاطمة ٥١
١٨ـ الناخب المعلب ٥٤
١٩ـ البداء ٥٦
٢٠ـ صواريخ الشيخ شلتوت ٥٩
٢١ـ يقول: لا مساس ٦١
٢٢ـ التأثير السياسي على الإصلاح الديني ٦٣
٢٣ـ الإمام علي الهادي ٦٦
٢٤ـ نحو تطوير العلاقة مع المرجعية ٦٩
٢٥ـ بين علي وماركس والأشعري ٧٢
٢٦ـ أدنى الشرك ٧٤

محتويات الكتاب

٢٧ـ مملكة الله ٧٦
٢٨ـ انعكاسات الحب الإلهي ٧٩
٢٩ـ هل اليهود وراء الاعتقاد بالمهدي ٨١
٣٠ـ رجال حول المهدي ٨٤
٣١ـ ولا يُقبل منها شفاعة ٨٧
٣٢ـ رمضان الغضب ٨٩
٣٣ـ كذبة وصدقناها ٩١
٣٤ـ التجربة الأفشارية ٩٤
٣٥ـ ميزان الحق ٩٧
٣٦ـ عملية تجميل ٩٩
٣٧ـ توضيح بخصوص هلال العيد ١٠١
٣٨ـ ما بين العقد والزفاف ١٠٤
٣٩ـ ماذا يجري في المقبرة الجعفرية؟ ١٠٧
٤٠ـ تمام نهج البلاغة ١١٠
٤١ـ نقد الشيعة والعصمة ١ ..... ١١٣
٤٢ـ نقد الشيعة والعصمة ٢ ..... ١١٦
٤٣ـ الاحتشام والكبت ١١٨
٤٤ـ تسطيح العقل العربي ١٢٠
٤٥ـ EMO ١٢٢
٤٦ـ الجن الأبيض ١٢٥
٤٧ـ الغدير في الشعر ١٢٧
٤٨ـ محطات متفجرة ١٢٩
٤٩ـ ذهب مع الريح ١٣١
٥٠ـ عاشوراء.. يوم حزن أم سرور ١٣٣
٥١ـ النموذج السبئي ١٣٦
٥٢ـ بين التقديس والتقدير ١٣٩

المقـــــدمة

الحمد لله فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة ديّان الدين رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلَين المبعوثِ رحمةً للعالمين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

هذا هو الإصدار الثالث من كتاب (منتقيات) والذي يجمع المقالات الرئيسية في صفحة (منتقى الجمان) المنشورة في جريدة الوطن الكويتية ـ مع جزيل الامتنان للقائمين عليها ـ حيث تم نشر ١٥٦ عدداً إلى حين إعداد هذا الكتاب، بواقع ٥٢ عدداً لكل سنة، والله المستعان.

وإذ سعيت خلال العام الثالث أن أحافظ على الطرح المتزن في عرض الموضوعات ومعالجة القضايا، لاسيما الحياتية والعملية منها، فإن مقالتين من بين تلك المقالات أثارتا نقاشاً وجدلاً واسعاً.. المقالة الأولى تحت عنوان (كذبة وصدقناها)، والثانية (ماذا يجري في المقبرة الجعفرية؟) وإن كان نصيب الأسد من الإثارة للثانية منهما.

في المقالة الأولى حاولت أن أقدّم الموضوع باتجاهين، الأول يخاطب الساحة الشيعية في محاولة لتعديل صورة العلاقة بيننا وبين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد (بات ذكر صحابة رسول الله الذين نصروه وعزروه واتبعوا النور الذي أنزِل معه غريباً في مجالس الشيعة إلا ما ندر) وهو ما لا يتناسب مع ما يفترض أن تكون عليه العلاقة مع المخلصين منهم، وهم كثيرون.. والاتجاه الثاني يصب في الرد على من يصوّر الأمر وكأنه حالة من العداء قائمة بين الشيعة والصحابة حتى غدت مقولة أن (الشيعة لا يحبون الصحابة..) أمراً مفروغاً منه في أذهان الكثيرين من إخواننا أبناء أهل السنة.. وفي الواقع هي مجرد..كذبة وصدقناها. وقد ترتب على ذلك لاحقاً تخصيص عمود في صفحة (منتقى الجمان) أستعرض في كل أسبوع أو أسبوعين منه شخصية أحد أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

أما المقالة الثانية فكانت إثارتها أوسع من مجرد الإثارة الفكرية، إذ لحقتها بعض التبعات على الأرض في محاولة لاستكشاف واقع الخلل الموجود في كيفية إدارة المقبرة الجعفرية في الكويت والمخالفات الشرعية الحاصلة بسبب الجهل بالأحكام أو التسامح فيها، وبغرض تصحيح تلك الأوضاع الخاطئة، وآمل أن تكلل المساعي المخلصة في ذلك الاتجاه بالنجاح. وكان عتاب كثير من الإخوة يتعلق بنشر تلك الصور السلبية لواقع المقبرة على صفحات الجريدة التي يقرؤها الجميع،

بما فيهم من يتصيد كل شاردة وواردة على أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وكأنني بذلك أقدّم مادة دسمة وجاهزة لهم.

ومع تقديري لهذا الهاجس إلا أن الواقع أن بعض ما ذكرته من أمور تمتلئ بها صفحات (المتصيدين) ومنتدياتهم، و موثقة بالصور، وبالبحث السريع عبر محرك البحث Google وجدت أن قرابة ١٣٠٠ موقع يعرض التجاوزات قبل أن أكتب مقالتي، ثم تتبعت المواقع بعد أن كتبت مقالتي بمدة فلم أجد أحداً قد استشهد بما كتبت أو علّق عليه. ورأيي أننا في عالم اليوم من الصعب أن نخفي الحقائق التي يعايشها الناس، فوسائل الإعلام والاتصال الحديثة اخترقت الكثير الكثير من الحواجز، ونادراً ما بقي أمر بعيداً عن أعين ومتناول الجميع. ثم إذا كانت المساعي بالطرق التقليدية لإصلاح خلل ما لم تجدِ نفعاً، فقد يكون في الإثارة الإعلامية تمهيداً لطريق الإصلاح كما تحقق ذلك في العديد من القضايا، لاسيما في مجتمعنا الكويتي.

بتصوري أن طرح القضايا الدينية والثقافية يجب أن يخرج عن إطار التنظير النظري البحت والبعيد عن الواقع وقضايا الساحة، وأن يسعى لمعالجة الأخطاء والسلبيات التي يعيشها المجتمع، وإن كان التشخيص والمعالجة يؤلمان بلحاظ ما.

أمام (منتقى الجمان) عام رابع، والصفحة بحاجة إلى تطوير، إيماناً مني بأن القارئ سيمل سريعاً ما لم يسارع الكاتب إلى تقديم ما هو جديد، وهذا التطوير بحاجة إلى عقول تشارك في تقديم الرأي والمضمون، وآمل أن يسعفني الإخوة الأعزاء بذلك.

لا أنسى أخيراً أن أشكر أخي العزيز سيد جابر بهبهاني على آرائه وملاحظاته الدائمة لكل ما يُكتَب في الصفحة منذ انطلاقتها الأولى، والشكر موصول لكل من شكر وشجّع وأثنى أو انتقد الصفحة وقدّم رأياً بغرض التطوير.

شكراً مرة أخرى لصحيفة الوطن والقائمين عليها لاستمرارهم في تيسير نشر الصفحة بصورة ثابتة وجميلة دون انقطاع على مدى السنوات الماضية. وأسأل الله تعالى أن يعينني لتقديم المزيد خدمةً للدين والبشرية، وهو ولي التوفيق.

علي حسن غلوم علي ـ الكويت
محرم ١٤٣١ هـ / يناير ٢٠١٠

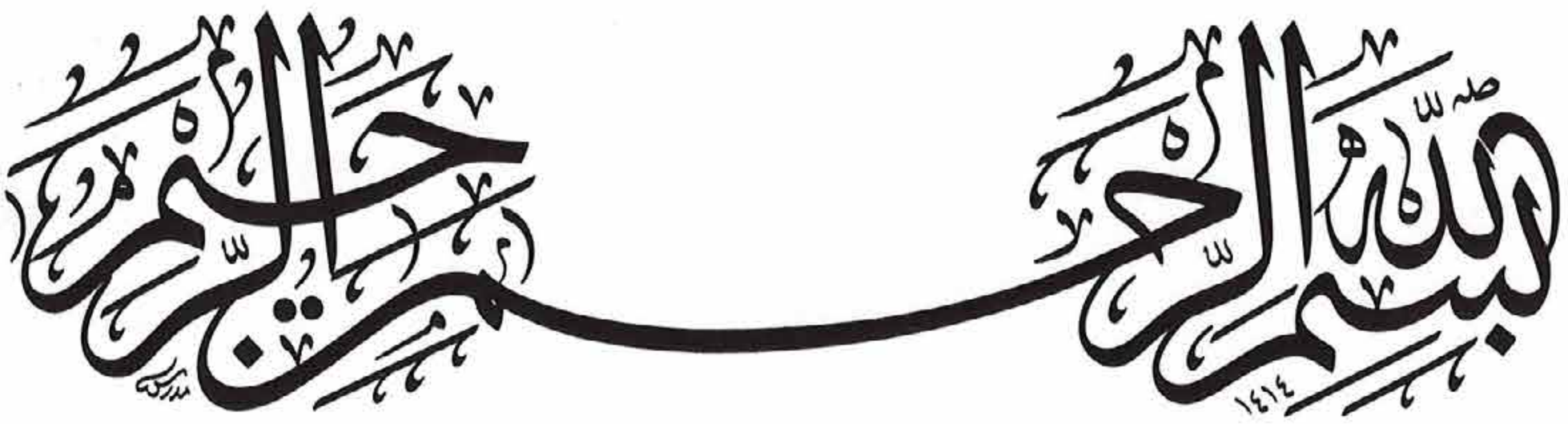
بسم الله الرحمن الرحيم
١٤١٤

بطـــلة كـــربلاء

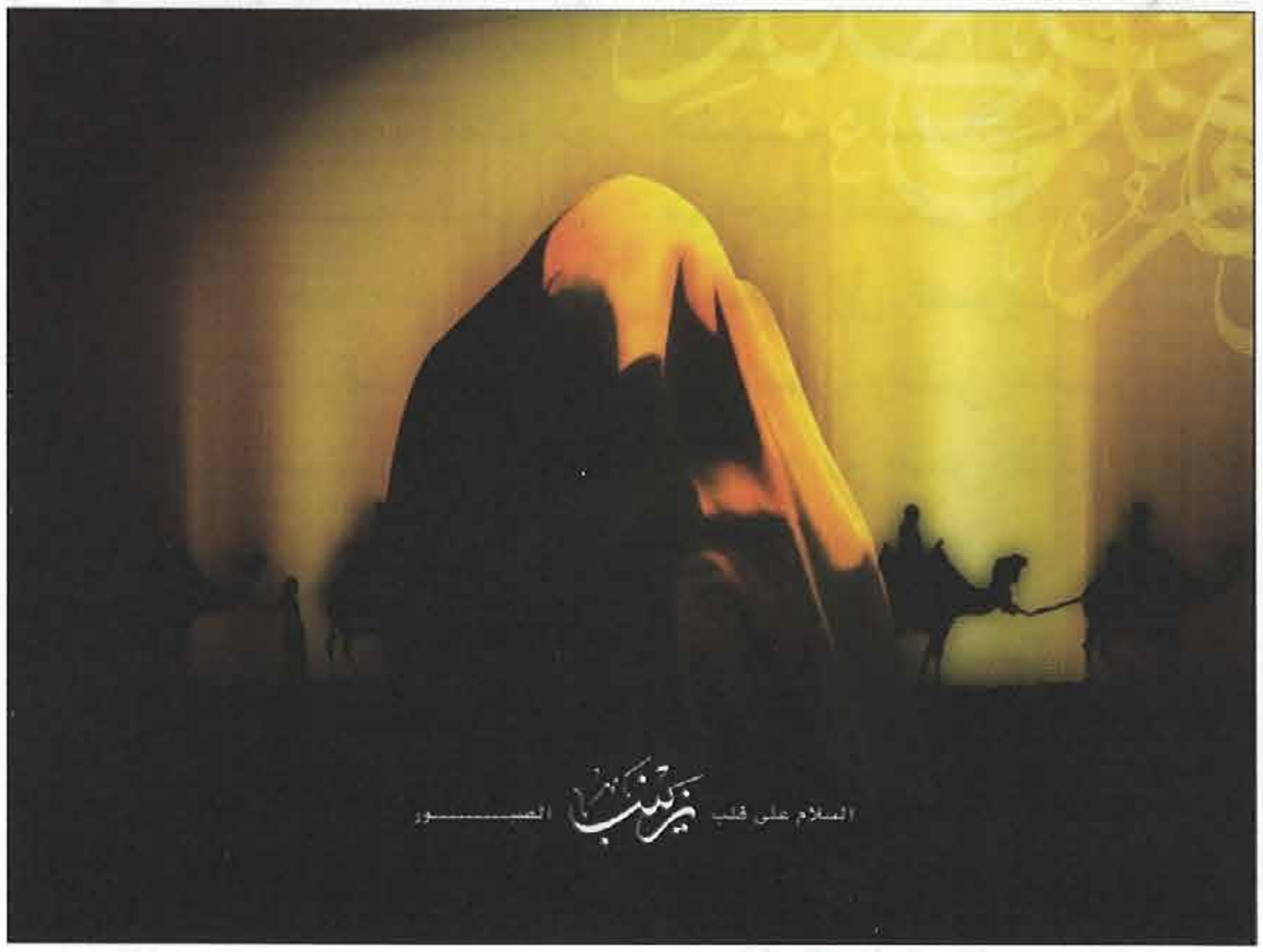

٢٠ محرم ١٤٣٠ هـ / ١٧ يناير ٢٠٠٩

يتعرض الإنسان إلى مواقف عصيبـــة وأزمات شـــديدة قد تدفعه إلى الخوف أو التردد أو الانهـــزام أو الجزع أو القلق، وهـــذا يعني تحطّـــم كل ما في النفس من استعداد للمقاومة والثبات. ومن أهـــم مفاتيح التغلب على ذلك كله يكمن في القوة الروحية الذاتية، فهي تمدّ الإنســـان بأســـباب تجاوزٍ تلك الأزمـــات، وتعطيه زخماً معنوياً يمكّنه من الثبات وأداء وظيفته بصورة شـــبه طبيعية، بل وقد تمدّه بقوة إضافية يحوّل مـــن خلالها نقـــاط الضعف إلى قوة، والموقف الســـلبي إلى إيجابي، والهزيمة إلى نصر.

الحرب النفسية:

وقـــد يلجـــأ الخصـــوم أو الأعـــداء إلى أســـاليب مـــن الحرب النفسية تسعى لتدمير الروح المعنوية وتفريغها من منابع قوتها، ومن بينها:

١ـ تهويـــل صـــورة الخصـــم ليشـــعر المطّلـــع عليها أن لا مجال للمواجهـــة وأن الهزيمة هي النتيجـــة الوحيدة المترتبة على ذلك، ولذا فإن المواجهة انتحار لا غـــير. قال تعالى في وصـــف الأوضاع الســـابقة لمعركة أحد (الَّذِيـــنَ قَالَ لَهُمُ النَّـــاسُ إِنَّ النَّاسَ قَـــدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُـــوا حَسْـــبُنَا اللَّهُ وَنِعْـــمَ الْوَكِيلُ) (آل عمران:١٧٣).

٢ـ ادّعـــاء الخصـــم ـ كذبـــاً ـ امتـــلاك الشـــرعية الأرضية أوالامتداد الســـماوي الذي يخوّله ارتكاب ما يشـــاء بحجة تحقيق عناوين برّاقة من قبيل: الســـلام، الوحـــدة، إرادة الله، التكليف الشـــرعي، القضاء على الفـــتن..إلخ. قـــال تعالى واصفـــاً التبرير الذي ســـاقه فرعـــون لقتل النبي موســـى عليه الســـلام: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) (غافر:٢٦).

٣ـ الســـخرية والاســـتهزاء بالمقوّمات الذاتية أو الخارجية عند الطرف الآخر، أو محاولة

إنكارها، قال تعالى (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) (الزخرف:٥١-٥٣).

٤ـ الاتهام زوراً بوجود نوايا سيئة أو مخالفة لتلك المعلنة أو استبطان مصالح شخصية من وراء ذلك، قال تعالى في تفاصيل مواجهة فرعون وأتباعه مع النبي موسى عليه السلام: (قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) (طه:٦٣).

المنبع الأصيل للثورة الحسينية:

استقى الإمام الحسين عليه السلام الخطوط العامة لثورته من من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ما عبّر عنه في بيانٍ له: (أيّها الناس، إنَّ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قالَ: مَن رأيٍ منكُم سُلطاناً جائِراً مُستحلاً لحرم الله، ناكثاً بعَهدِه، مُخالِفاً لسنّةِ رسولِ الله، يَعملُ في عبادِه بالإثمَ والعدوانِ، فلم يغيرْ ما عليهِ بقولٍ ولا بفعلٍ، كان حَقّاً على الله أن يُدخِلهُ مَدخلَه. وقد عَلمتُم أنَّ هؤلاء القومَ قد لَزِموا طاعةَ الشيطانِ وتَولّوا عن طاعةِ الرحمنِ، وأظهرُوا الفسادَ وعطّلوا الحدودَ واستأثَروا بالفيءِ، وأحَلّوا حرامَ اللهِ وحَرَّموا حلالَه، وإنّي أحقُّ بهذا الأمر).

تحملت السيدة زينب مسئولية مواجهة الحكم الأموي إعلامياً لكسر التطويق الذي سعى الأمويون لإيجاده بهدف تشويه صورة الثورة الحسينية

السيدة زينب في المواجهة:

ولما انتهت معركة كربلاء (محرم عام ٦١ هـ) باستشهاد الإمام وأنصاره عليهم السلام، بدأت معها مسئولية ضخمة وقعت على عاتق السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب وأمها الزهراء فاطمة عليهم السلام، وتمثّلت في مواجهة الحكم الأموي الذي سعى إلى تصوير الإمام الحسين ومن معه بأنهم خوارج أو من طالبي الملك، كما سعى لتطويق أهداف الثورة الحسينية وتفريغها من محتواها الأصيل، وبطرق عدة لا تبتعد كثيراً عما قدّمناه حول أساليب الحرب النفسية.

وقد تحمّلت السيدة زينب عليها السلام هذه المسئولية بما امتلكته من حكمة محمدية وشجاعة علوية ورباطة جأش وبصيرة نافذة وقوة شخصية وذهنية متوقدة وعلم غزير أن تُحبط وأمام جموع الناس وفي مجلس والي الكوفة عبيدالله بن زياد. والنص التاريخي التالي يبرز الصورة بوضوح - مع ملاحظة أن السيدة زينب ومن معها من نساء وأطفال أهل بيت النبي في حالة سبي وإذلال متعمَّدين أمام حاكم يعتبر نفسه منتصراً ـ: (أقبل عليها ابن زياد وقال لها: الحمد

لله الـــذي فضحكـــم وقتلكم وأكـــذب أحدوثتكم! فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وســـلم، وطهرنا من الرجس تطهيراً، وإنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجـــر، وهو غيرنا والحمـــد لله. فقال ابـــن زياد: كيف رأيت فعـــل الله بأهل بيتـــك؟ فقالت: مـــا رأيـــت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتـــل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وســـيجمع الله بينـــك وبينهم فتحاجـــون إليه وتختصمون عنـــده فانظر لمن الفلج يومئـــذ، ثكلتك أمك (يابن مرجانـــة). راجع تاريخ الطبري في أحداث سنة ٦١.

موقف آخر:

وتكرر المشهد في الشام في قصر الخلافة، واستخدم يزيد ابن معاوية ذات الأســـاليب النفســـية التي استخدمها ابن زياد من قبل، فلقي رداً حاسماً من عدد مـــن أهل البيت من بينهم الســـيدة زينـــب التي انبرت بكلمـــات بليغة قائلة ـ مع الاختصـــار ـ : (أظننت يا يزيد حيـــث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نُســـاق كما تســـاق الأسراء أن بنا هواناً على الله وبك عليـــه كرامة، وأن ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك، ونظـــرت في عطفك، جذلان مســـروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور متســـقة، وحـــين صفـــا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً، أنســـيت قول الله تعالى: «وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُـــمْ خَيْرٌ لأَنْفُســـهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَـــزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِـــينٌ»؟.... فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا حززت إلا لحمك، ولتردن على رسول الله صلى الله عليـــه وآلـــه وســـلم بما تحمَّلت من ســـفك دماء ذريته وانتهكـــت من حرمته في عترته ولُحمتـــه، حيث يجمع الله شملهم، ويلم شـــعثهم، يأخـــذ بحقهـــم «وَلا تَحْسَـــبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَـــاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»... فكـــدكيـــدك، واســـع ســـعـــيك، وناصب جهـــدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا يرحض عنك عارهـــا، وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد؟ يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين...).

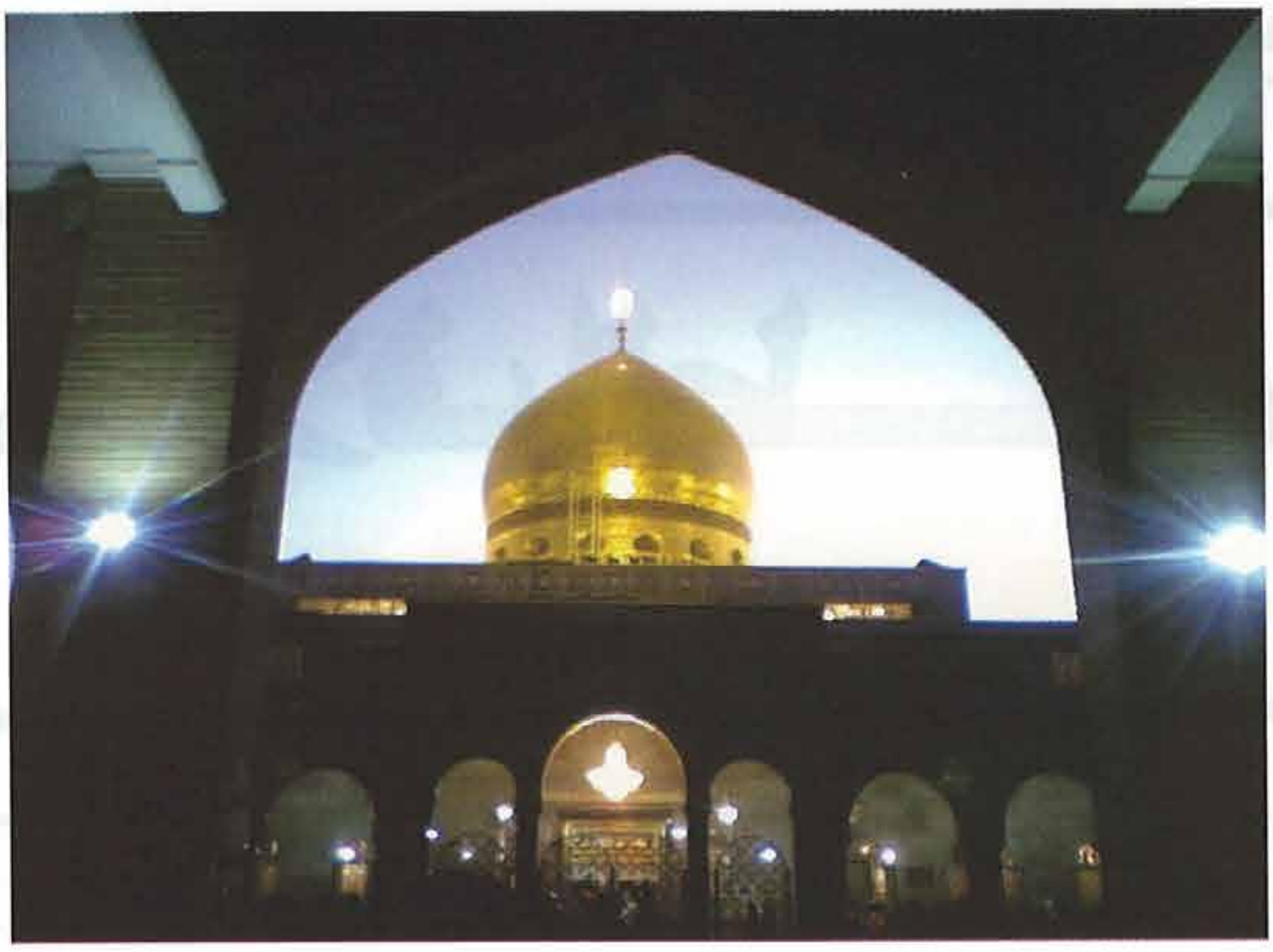

نهَج بعض الفقهاء أسلوب التأليف الفقهي الجامع للمسائل الخلافية بين المذاهب الإسلامية، وذلك على نحوين:
النحو الأول: الفقه المقارن، أي جمع آراء المجتهدين في شتى المسائل الفقهية على صعيد واحد من دون إجراء موازنة بينها.
النحو الثاني: الخلافيات، أي

فيه كتاب المآخذ، ولأبي زيد الدبوسي كتاب التعليقة..).

شيخ الطائفة:

وللشيخ محمد بن الحسن الطوسي الملقب بشيخ الطائفة (٣٨٥ هـ ـ ٤٦٠ هـ) كتاب في هذا الباب أسماه (الخلاف)، وقبل التعرف على القيمة العلميّة له، لابد من التعريف بالمؤلف، فقد قال فيه

جليل القدر عظيم المنزلة ثقة صدوق عارف بالأخبار والرجال والفقه والأصول والكلام، وجميع الفضائل تُنسب إليه، صنّف في كل فنون الإسلام، وهو المهذّب للعقائد في الأوصول والفروع). كان الشيخ الطوسي مقيماً ببغداد وكان داره منتجعاً لروّاد العلم، وبلغ الأمر من الإكبار له أن جعل له الخليفة العباسي

خلاف الطوسي

٢٧ محرم ١٤٣٠ هـ / ٢٤ يناير ٢٠٠٩

جمع الآراء الفقهية المختلفة وتقييمها والموازنة بينها من خلال أدلتها وترجيح بعضها على بعض. وقد تحدث ابن خلدون في مقدمته عن الخلافيات فكان فيما قال: (وهو لعمري عِلم جليل الفائدة في معرفة مآخذ الأئمة وأدلتهم ومران المطالعين له على الاستدلال عليه، وتآليف الحنفية والشافعية فيه أكثر من تآليف المالكية.. وللغزالي

العالم الأزهري الشيخ محمد أبوزهرة (ت١٩٧٤ م): (كان شيخ الطائفة في عصره غير منازع، وكتبه موسوعات فقهية وعلمية، وكان علمه بفقه الإمامية وكونه من أكبر رواته على علم بفقه السنة، وله في هذا دراسات مقارنة، وكان عالماً على المنهاجين الإمامي والسني). وقال العلامة الحلي (ت٧٢٦ هـ): (شيخ الإمامية ووجههم ورئيس الطائفة،

القائم بأمر الله كرسيّ الكلام والإفادة، ويمثّل أرفع درجة علمية في ذلك الزمان. ولما دخل السلاجقة بغداد وشبّت بها نار الفتنة، غادر الطوسي إلى النجف الأشرف ليبدأ بذلك عهد جديد لتلك المدينة التي احتضنت الرفات الطاهر لأمير المؤمنين علي عليه السلام، فأسس فيها الحوزة العلمية التي مازالت مناراً للعلم ومنبراً للبحث.

وللشيخ الطوسي مؤلفات عديدة من أهمها: تهذيب الأحكام، الاستبصار، المبسوط ويشتمل على ثمانين كتاباً، التبيان في تفسير القرآن، العدة في أصول الفقه، الرجال، فهرست كتب الشيعة، المفصح في الإمامة، وغيرها.

كتاب الخلاف:

توخّى الشيخ الطوسي عند تصنيفه لهذا الكتاب القيم طرح آراء فقهاء المسلمين، ولم يقتصر على الفقه الإمامي والمذاهب الأربعة، بل تعداه إلى فتاوى الأوزاعي والثوري وأبي بكر الأصم وابن جرير الطبري والشعبي وغيرهم. كما أنه تناول المسائل بالبحث والمناظرة، ومن ثم ذكر الدليل الذي يؤيد القول الذي اختاره، والملاحظات التي سجّلها على سائر الآراء، مع مراعاة الأسلوب العلمي الرصين والنقاش الهادف.

وعند الاطلاع على مقدمة المؤلف يكتشف الباحث مقدار الجهد المبذول في هذه الموسوعة، فقد قال في مقدمته: (سألتم أيدكم الله إملاء مسائل الخلاف بيننا وبين من خالفنا من جميع الفقهاء من تقدم منهم ومن تأخر، وذكر مذهب كل مخالف على التعيين وبيان الصحيح منه وما ينبغي أن يعتقد، وأن أقرن كل مسألة بدليل نحتج به على من خالفنا، موجب للعلم، من ظاهر قرآن، أو سنة مقطوع بها، أو إجماع، أو دليل خطاب، أو استصحاب حال ـ على مايذهب إليه كثير من أصحابنا ـ، أو دلالة أصل، أو فحوى خطاب. وأن أذكر خبراً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي يلزم المخالف العمل به والانقياد له، وأن أشفع ذلك بخبر من طريق الخاصة المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام.

وإن كانت المسألة مسألة إجماع من الفرقة المحقة ذكرت ذلك، وإن كان فيها خلاف بينهم أومأت إليه، وأن أتعمد في ذلك الإيجاز والاختصار، لأن ذلك يطول، وربما ملّ الناظر فيه).

نموذج:

مسألة ٢٧٩: (الجماعة في خمس صلوات سنة مؤكدة وليست واجبة ولا فرضاً لا من فروض الأعيان ولا من فروض الكفايات، وهو المختار من مذهب الشافعي عند أصحابه، وبه قال أبوحنيفة وأصحابه والأوزاعي ومالك. وقال أبوالعباس بن سريج وأبوإسحاق: هي من فرائض الكفايات كصلاة الجنازة. وقال داود وأهل الظاهر وقوم من أصحاب الحديث: إنها من فروض الأعيان، ثم اختلفوا فقال داود: واجبة ولكن ليست بشرط، وقال قوم من أصحاب الحديث: شرط، فإن صلى فرادى لم تصح صلاته). ثم ساق الشيخ الطوسي الدليل على فتواه فقال: (دليلنا إجماع الفرقة، وأيضاً براءة الذمة، وإيجاب الجماعة وفرضها في هذه الصلوات يحتاج إلى دليل، وأيضاً روى نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: [صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ «= الفرد» بسبع

وعشرين درجة]. وروى أبوهريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: [صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءً]. وابن مسعود [بتسع وعشرين درجة]. فوجه الدلالة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاضل بين صلاة الجماعة وصلاة الفذ، ولفظ أفضل في كلام العرب موضوع للاشتراك في لاشئ، وأن أحدهما يفضل فيه، فلو كانت صلاة الفذ غير مجزية لما وقعت المفاضلة فيها).

التفاتة:

إن أمثال هذه المؤلفات والمؤتمرات والندوات المشتركة من شأنها أن تثري البحث العلمي وتقرّب وجهات النظر وتصبغ الاختلاف المذهبي بصبغة علمية بعيدة عن التشنج والممارسات الإقصائية التي تعمّق الشرخ. ومنا إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية التي بذلت جهداً كبيراً في إعداد الموسوعة الفقهية بنسختيها الورقية والإلكترونية دون أن تأخذ بعين الاعتبار الفقه الجعفري. قال المستشار المصري عبدالحليم الجندي: (والفقه الشيعي واحدٌ من النهرين الذين تسقى منهما حضارة أهل الإسلام، وإليه لجأ الشارع المصري في هذا القرن لإجراء إصلاحات ذات بال في نظم الأسرة المصرية).

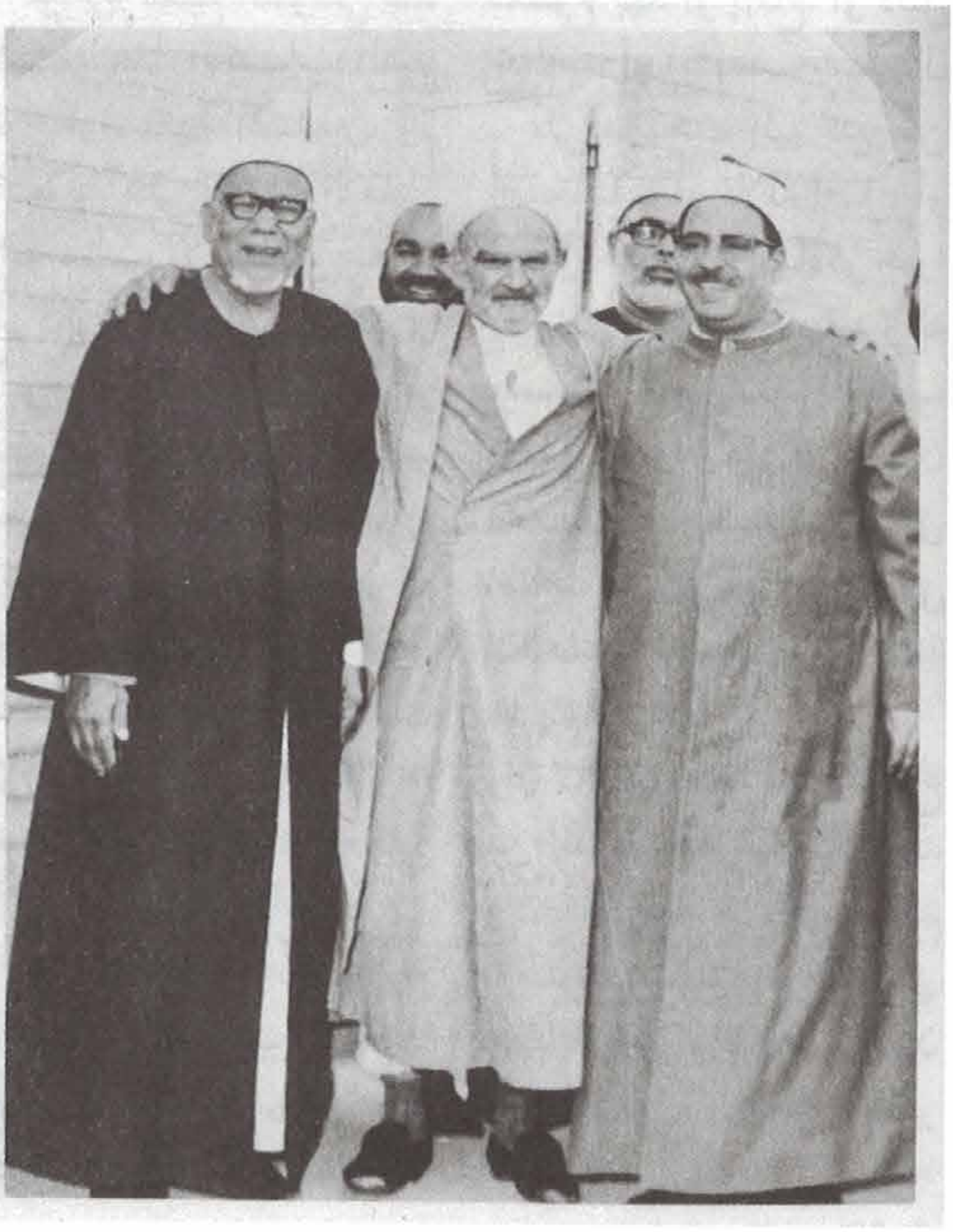

الصورة التقطت في مدينة قم عام ١٩٧١ وتضم من اليمين: عميد الأزهر الشيخ الشرباصي، الشيخ محمد جواد مغنية، شيخ الأزهر محمد الفحام. ومن خلفهم الشيخ محمود خليل الحصري.

هواجس العقاب الإلهي

٥ صفر ١٤٣٠هـ / ٣١ يناير ٢٠٠٩

عشرات المنتديات على شبكة الإنترنت طرحت السؤال التالي: كيف نميّز بين الابتلاءات التي تكون من باب العقابٍ وبين تلك التي ليست عقابا من الله سبحانه؟ والإجابة على هذا التساؤل بحاجة إلى مقدمة.

مفهوم الابتلاء:

الآية التالية تطرح المفهوم القرآني للابتلاء، قال الله عز اسمه: (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (آل عمران:١٥٤)، فليس الابتلاء هو في جميع مظاهره نقمة وعذاباً، بل قد يكون رحمة لأن من خلاله:

١ـ يبني الإنسان شخصيته الصلبة من خلال المعاناة

٢ـ يكشف للإنسان طبيعة المشاعر والأفكار التي تعيش

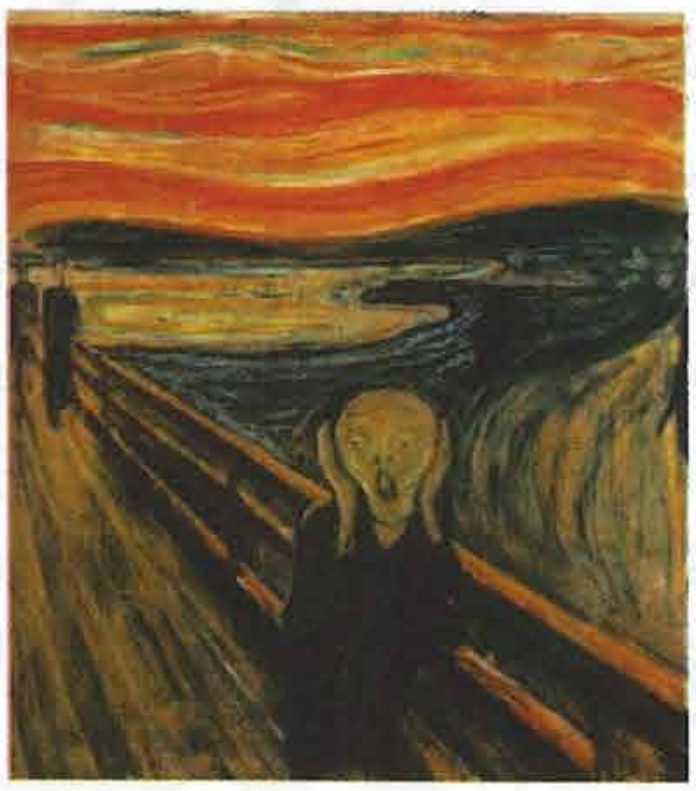

في داخله، وهل هي زائفة أم مخلصة؟ وما الذي تعمَّق منها وما هو السطحي بينها؟ وهل يمتلك الإنسان صبراً بمقدار ما يصور لنفسه أم أنه جزوع كسائر الناس؟ وهكذا...

إذا امتلكنا قدرة التمييز:

وبالعودة إلى السؤال، فلنفرض أن بإمكان الإنسان أن يميّز بين العقاب وسواه، فلماذا نريد أن نعرف ذلك؟ هل إذا عرفنا أنه عقاب فسوف نستنفر كل طاقاتنا لإصلاح ما أفسدنا، أم سنعيش الهواجس ويعترينا القلق الذي نتيه معه في دهاليز أفكارنا وحساباتنا التي لا تتناسب مع حسابات الله ورحمته، ومن ثم نعيش اليأس الذي قد يدمّر روحيتنا أو يفتح لنا أبواب الاستغراق في الانحراف؟ وماذا لو عرفنا أنه ليس من صنف العقاب، فهل سنسترخي ونكمل حياتنا في غفلة عن أمرنا ونعود إلى سيرتنا الأولى، أم سيزرع ذلك فينا الأمل وسيعطينا القوة للمزيد من طاعة الله ومسيرة العطاء والخير؟ الحقيقة أن الإنسان ليس مطالباً بالتفريق والفرز ليعيش بعد ذلك هاجساً قد لا يكون له أصل، بل مجرد أوهام وتخيلات (وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً) (النجم:٢٨) بَل هو

مطالب على كل حال بالعمل بما يُرضي الله والاستقامة واحتساب الأجر والرضا بالقضاء والصبر على البلاء على كل حال، سواء عرف أنه من صنف العقاب أم من غير ذلك. فالمهم أن يكون الإنسان في هذه المواقف كما قال الإمام علي عليه السلام لابن عمه قثم بن العباس: (ولا تكن عند النعمة بَطِراً ولا عند البأساء فشِلاً).

هل فكّرت في الفرصة المواتية؟

بل إن نفس بقاء الإنسان على قيد الحياة بعد نزول البلاء معناه أن الله يعطيه المزيد من الوقت ليُصلح من أمره، فلماذا الاستغراق في تعذيب النفس بالقلق واجترار ما مضى دون إصلاح شيء؟ فشاهد الحال أن الذين يعيشون هاجس العقاب الإلهي عادة ما يعيشون القلق السلبي الذي لا يحرّك الإنسان نحو الإصلاح بل يبقيه قيد الماضي البائس. إن ما يُخاف منه هو مثل الذي أصاب فرعون وأمثاله ممن لم يُمهَلوا (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) (يونس:٩١). ولربما إلى هذا أشار الإمام علي عليه السلام بقوله: (وكلُّ بلاء دون النار عافية).

تحويل البلاء إلى عطاء:

وما أروع أن يحوّل المُبتلَى ما عاناه إلى مشروع يخدم من خلاله الآخرين الذين ابتلوا بمثل ما ابتُلي به، تقول معالجة نفسية أنها حضرت منذ سنوات مؤتمراً دوليّاً حيث يجلس الناس ليتبادلوا الخبرات والتجارب، وفي جلسة تحدث زوجان، وهما من روسيا، عن تجربتهما في ولادة طفلة أصيبت بخلل في خلايا الدماغ بسبب خطأ طبي، وقد قاما بالبحث في المراجع العلمية وعلى الإنترنت لمعرفة حالة الطفل وتشخيصها بدقة، والبحث والاتصال بأهم المراكز التي تعالج مثل هذه الحالات، وقاما بالاتصال بأحد هذه المراكز، وتلقّيا منه برامج تدريبية وعلاجية تفيدهما في التعامل مع حالة طفلتهما وتطويره. ثم قاما بتطبيق هذه البرامج، مع الاتصال بالأسر التي لديها أطفال يعانون من نفس المشكلة عن طريق الإنترنت، وتبادل الخبرات معهم. ثم كوّن الزوجان ما يشبه الجمعية لتطوير وتنمية وزيادة مهارات الممرضات العاملات في حقل رعاية ما بعد الولادة؛ حتى يتم التقليل من احتمالية حدوث هذا الخطأ ثانية مع أطفال آخرين، وفي هذا السبيل تحولت الأم من التدريس (مهنتها الأصلية) إلى التمريض، وساعدها هذا في التفرغ أكثر لفهم ورعاية حالة ابنتها، وإدارة هذه الجمعية الجديدة. وفي نهاية كلمتهما قالا: نودُّ أن نقدم لكم ثمرة من ثمار هذا الجهد المضني الذي استمر لسنوات، ودخلت طفلتهما تتهادى مثل البطة الصغيرة بعد أن شفيت بشكل شبه تام من الحالة التي نتجت عن قصور ولادتها).

مؤتمر عاشوراء



١٢ صفر ١٤٣٠ هـ / ٧ فبراير ٢٠٠٩

أقامت مؤسسة الفكر الإسلامي المعاصر الأسبوع المنصرم - في العاصمة اللبنانية - مؤتمر عاشوراء: النص والوظيفة وإمكانيات التعبير، حضره عددٌ كبير من العلماء والمهتمين والمثقفين ورجال الفكر من الطوائف الدينية المختلفة ومن دول عديدة من بينها الكويت.

دراسات وبحوث قيمة:

قدّم المشاركون خلال المؤتمر كلمات قيمة لخّصت مشاركاتهم البحثية المقدمة والتي ستنشر لاحقاً في كتاب مستقل يصدر عن المؤسسة، وتنوّعت بين الدراسات التاريخية والثقافية والاجتماعية والأدبية والإعلامية.

وكان من جملة من شارك في المؤتمر أستاذ الحوزة العلمية ببيروت السيد محمد الترحيني، والسيد محمد الحسيني مدير حوزة المرتضى بسوريا، والدكتور إبراهيم بيضون عضو اتحاد الكتّاب العرب، والأديب الأستاذ شوقي بزيع، ومدير مسرح بابل المخرج الدكتور جواد الأسدي، والمخرج السينمائي اللبناني سايد كعدو، والمفكر الإيراني الشيخ نجف علي ميرزائي، والشيخ حسن الصفار والأستاذ محمد محفوظ وكلاهما من المملكة العربية السعودية.

كلمة السيد فضل الله:

افتُتح المؤتمر بكلمة راعيه سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله قال فيها: هل نحن أمة التاريخ نستظهره ونردّده ونعيش في كهوفه ومغاراته، وننسى الحاضر ونقتل المستقبل؟ هل نحن بقايا التاريخ لنعيش معاركه كما لو كانت معاركنا، ولننطلق في أحقاده ونتحرك في دروبه الضيقة؟ لماذا التاريخ؟ ونحن نعيش في الحاضر الصدمة، والمستقبل المنطلق؟ هناك بعضُ القضايا تموت مع الزمن أو قبله، تتولد في الصباح لنفتقدها في المساء، ولهذا يريد الله أن نتثقَّف في التاريخ الباقي للحياة، من خلال دراسة عناصر الشخصيات الروحية والحركية أو الشخصيات

الجبروتيــة في كلّ سـلبياتها الذاتية (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)(يوسف: من الآيــة١١١)، والعبرة هي الدرس والانفتاحات الثقافية الــتي تلاحــق كل الظروف التي عاشــت فيهــا القضية في التاريــخ، والّــتي تنفذ إلى أعماقها لتنطلق الفكرة منها، ولتحرك هــذه الفكرة عندما تملك الفــن الثقافي إلى حالةٍ من الإبداع، تدخل في العقل فيبــدع، وفي القلــب فينبض بالحيويــة، وفي الحركة فتنفتح على كونٍ من القيم، وبذلك لا يعــود التاريــخ تاريخاً، بل يغدو الحياة المتجددة...

عاشوراء القيم:

وقــال: لابــد أن ننطلق في عاشــوراء من القيم الروحية والحركيــة المنفتحة على الحق لنؤكّــد فعلها التغييري، لا أن تبقى مجرد حركة تعيش المأساة في أطرافها وداخلها، بل لتكون حركةً لها عينان منفتحتان على الأمة والعالم كله... المشكلة هي أننا طيّفنا عاشوراء وحبسناها في قمقم عاداتنا وتخلفنا الذي ليس فيــه أية قضية، وانطلقنا مع الحســين الشــخص ولم ننطلق مع الحســين القضية، وعلّبنا الشخصية الكربلائية حتى باتت شــخصيةً باردةً... وحدهــم المنطلقــون في خط الحريــة والمقاومــة والممانعة والتحدي عندمــا يبكــون يذرفون الدموع الحــارة... لا يجوز أن نطيّف عاشوراء، فهي إسلامية، وشعاراتها إنسانية، وهي ليســت قضيــةً مغلقةً

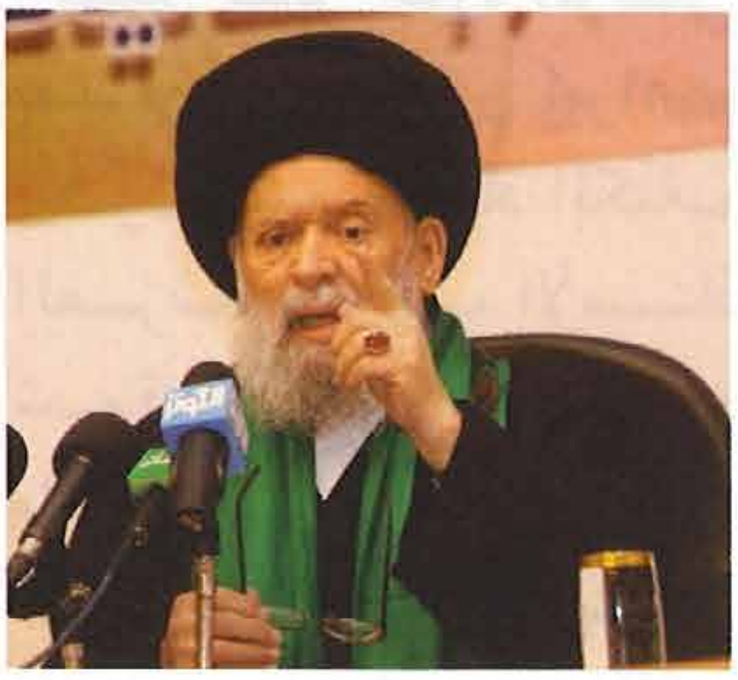

حتــى يتعقد بقية المســلمين منها، وخصوصاً أن الحســين عليه السلام شخصية رساليةٍ روحية يحبها المسلمون جميعاً، وتنفتح على كل معاني القيمة والإنسان والرسالة.

الحسين محرر الأمة:

ورأى سماحتــه أن الحســين أراد تحريــر الأمة من أولئك الذين اتخذوا النــاس عبيداً لهم وســيطروا على خيراتها، مشــيراً إلى أن الأمــة في هذه الأيــام تعانــي مــن أولئك الذين صادروا مالها لحسابهم وحســاب عوائلهم، فلم يعدِ للأمــة مال، بل أصبــح ملكاً لهذا الزعيم وذاك الديكتاتور، في بــلاد تضــجّ بالمتســوّلين والمحتاجين وبالأغلبية الساحقة التي هي تحت خــط الفقر... إن عاشــوراء تتطلّــع إلى كل ما يجري في العالم الإســلامي من تحديات ومشاكل، لتناشد هــذا العالم أن يخرج من دائرة الضعف والسكون إلى دائرة الفعــل والقوة، ولتؤكد له أن عليه أن لا يبقى على الهامش مــن قرارات العــالم... وختم داعيــاً إلى إخراج عاشــوراء مــن ميادين التخلف والجهل والخرافــة التي يتحــرك فيها الكثــيرون، إلى فضــاء الأمة، مؤكداً ضرورة أن ننفتح على عاشوراء في الرواية والمسرح والفن الهادف إلى معرفة القيم الممتزجــة بالتضحية والعطاء والحرية والأحرار.

كيف عالج القرآن الكريم قضية الإفك التي هزّت المجتمع النبوي في حادثة لم يعهد لها مثيل من قبل، لاسيما وأنها مسّت شخص الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ وما هي الدروس والعبر التي قدّمتها آيات سورة النور وهي تعرض العناوين الكبرى للمشكلة وعلى رأسها عنوان (البهتان)؟

بهتان عظيم

١٩ صفر ١٤٣٠ هـ / ١٤ فبراير ٢٠٠٩

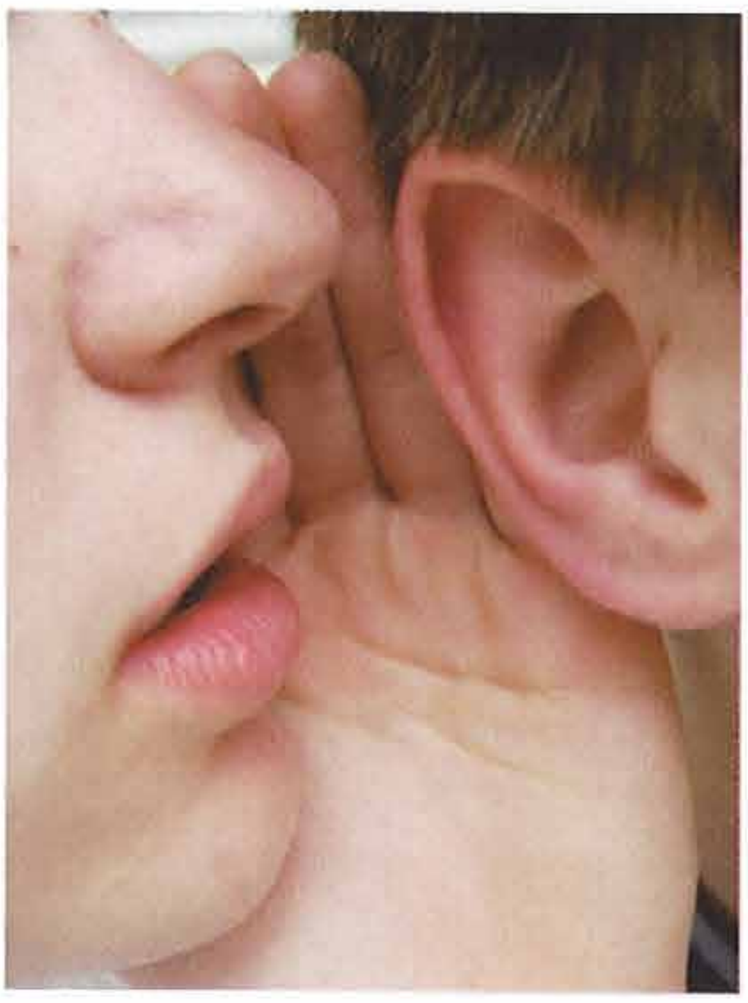

مفهوم البهتان:

البهتان في اللغة هو الكذب الذي يبهت ويدهش ويحير سامعه لفظاعته، قال الله عز وجل: (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ) (البقرة: من الآية٢٥٨) أي دهش وتحير.

وفي القرآن نوعان من البهتان: بهتان قولي كما في آية الإفك (وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) (النور:١٦)، وبهتان فعلي كما في قوله تعالى: (وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً) (النساء: ٢٠- ٢١). فالقول الكاذب الفظيع بهتان لأنه يمثّل الباطل، وكذلك الفعل الباطل بهتان، لأنه لا يتوافق مع الحق والحقيقة وهو لفظاعته يدهش ويحير.

أنواع البهتان:

والبهتان قد يكون في القضايا ذات البعد الاجتماعي، كما قد يكون في القضايا ذات البعد الديني والسياسي والثقافي والعلمي والتاريخي.. إلخ، إلا أن التركيز في القرآن انصبّ على الجانب الاجتماعي (عدا مورد واحد)، لاسيما القضايا التي تمس العلاقة بين الرجل والمرأة، سواء أكانت العلاقة ضمن الإطار الشرعي كما في الآيتين السابقتين، أو المحرم كما في قضية السيدة مريم عليها السلام: (وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً) (النساء:١٥٦). ويأتي تعظيم قبح الأمر لمساسه لشخص السيدة الطاهرة البتول مريم، كما عظّم الله قبحه وفظاعته في قضية الإفك لأنه مسَّ عِرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

تهاون غير مبرَّر:

وقد يعتبر البعض أن الخوض في أعراض الناس بهدف ملء أوقات الفراغ أو للتسلية أو تفاعلاً مع المتحدث لخصوصيةٍ فيه أو

تقديـــراً لمقامه ليس بمشـــكلة كبيرة، بل أمر هيِّن وبسيط ولا يتعدى أن يكون كلاماً يتبخر ويضيـــع في الزمن، إلا أن الله ســـبحانه نفى هـــذه الصورة الساذجة والسطحية فقال: (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِـــنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُـــمْ مَا لَيْـــسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ) (النور:١٥).

وترافـــق مـــع ذلـــك تكرار التعبير التالي الذي يستبطن الكثير من التهديد والوعيد: (وَلَـــوْلا فَضْـــلُ اللَّهِ عَلَيْكُـــمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ) (النور:١٠)...

(وَلَـــوْلا فَضْـــلُ اللَّهِ عَلَيْكُـــمْ وَرَحْمَتُـــهُ فِي الدُّنْيَـــا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (النور:١٤)...

(وَلَـــوْلا فَضْـــلُ اللَّهِ عَلَيْكُـــمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (النور:٢٠).

الاستفادة من التجربة:

وقـــد علّمنـــا الإســـلام أن نســـتفيد مـــن تجاربنـــا، وأن نبحـــث عـــن الإيجابيات في كل الأمور الســـلبية التي قد نواجهها، فإن كثيراً من الأشياء الســـلبية تختـــزن في وجودها أمـــوراً إيجابيـــة، ولكن المهم أن نعرف كيف نستفيد منها، وأن لا نستغرق في السلبيات حتـــى تحيط بنـــا وتخنقنا. قال ســـبحانه وتعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْأِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) (النور: من الآية١١) لأن المجتمع الصالح من سعادته أن يتميز فيه أهل الزيغ والفساد

البهتان يهدم الديار ويعود على الكاذب نفسه، ففي الحديث (من رمى الناس بما فيهم رموه بما ليس فيه)

يعتبر البعض أن الخوض في أعراض الناس أمر هيِّن وبسيط ولا يتعدى أن يكون كلاماً يتبخر ويضيع في الزمن

إن الدنيا لا تغني عن الآخرة شيئاً، فماذا نربح حين ننسب إلى الآخرين ما هم منه براء لمجرد أن نشغل أوقاتنا؟



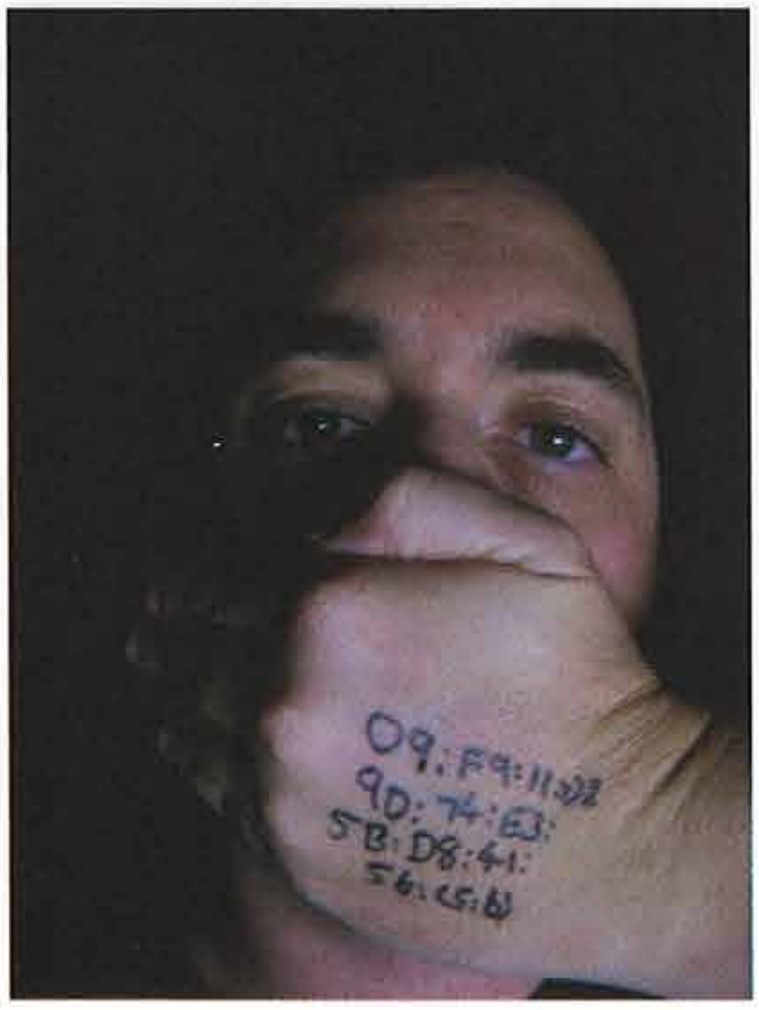



أمرهـــم وينهضوا لإصلاح ما فســـد من أمرهم، قال تعالى: (كُتِـــبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَـــالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَـــى أَنْ تَكْرَهُوا شَـــيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَـــيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) (البقرة:٢١٦).

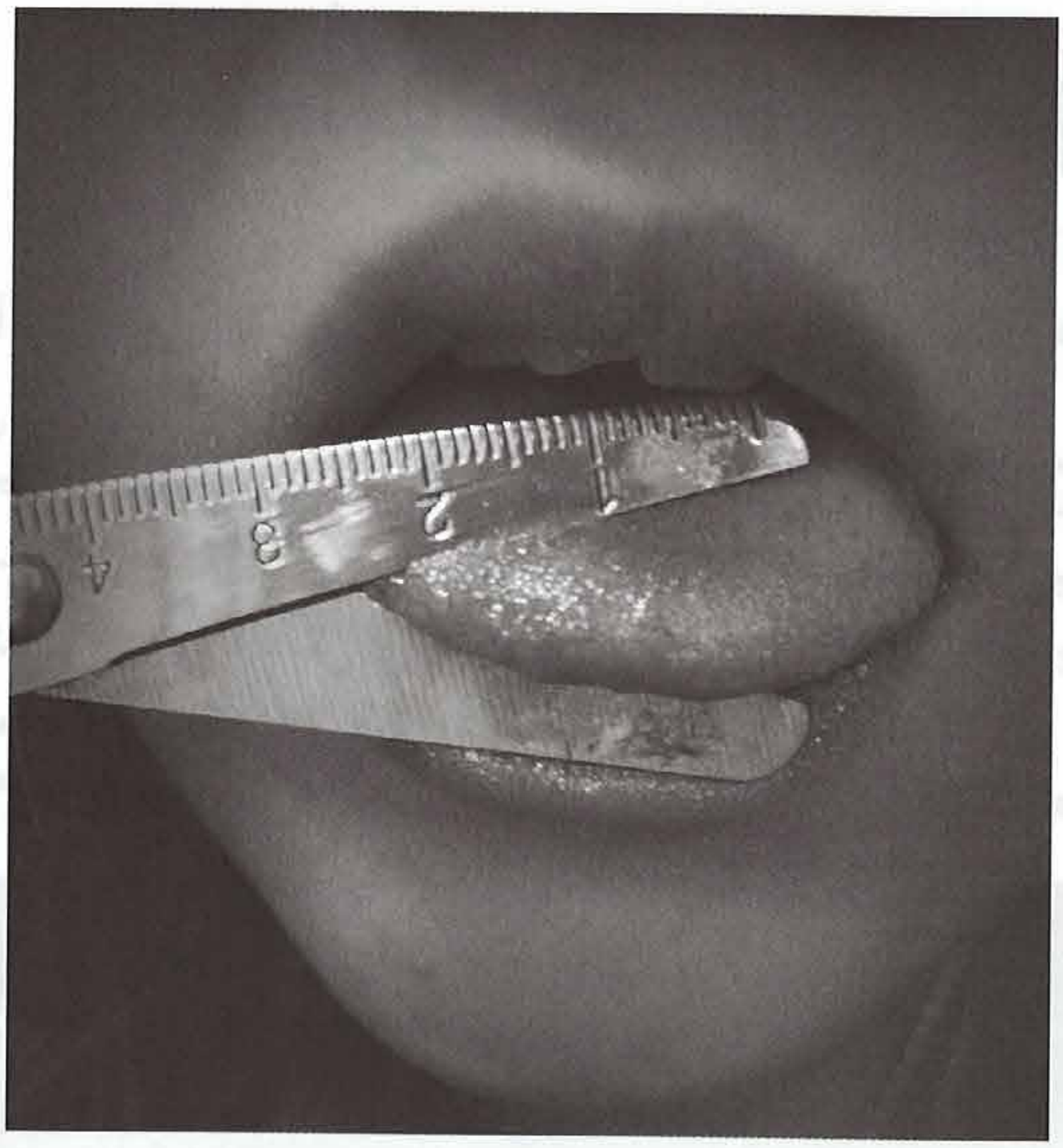

الموقف السليم:

ثـــم أرشـــدت الآيـــات إلى ضرورة اتخاذ الموقف المتناسب مـــع حجـــم القضيـــة وذلك ضمن ثلاثة أبعاد:

١ـ الموقف الأخلاقي الإنساني (لَّوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ والمؤمنَات بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُواْ هذا إِفْكٌ مُّبِينٌ) فالمطلوب أن يتعاملَ الفردَ المســـلم مع هذا الأمـــر وكأن البهتـــان صادر في حقـــه، فالمســـلمون كيـــان واحد، وما يمس أحدهم يمس الآخرين، فهل يظن أحدنا في نفسه الشر وينسب إلى نفسه ذلك؟

٢ـ الموقـــف القانونـــي (لَّوْلاَ جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شهداء فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بالشهداء فَأُوْلَـئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الكاذبون)(النور:١٣)، وما لم يتوفر فيه هذا الشـــرط فلا قيمة فيه، وإن كان حقيقة، وعلـــى الشـــهود أن يكتموا الأمر ولا يتحدثـــوا فيه، وإلا اعتُـــبر جريمة قـــذف يعاقِب عليها القانون.

٣ـ الموقف العملي (وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّـــمَ بِهَذَا سُـــبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) (النور:١٦)

إن الدنيـــا لا تغـــني عـــن الآخرة شيئاً، فماذا نربح حين ننسب إلى الآخرين ما هم منه براء لمجرد أن نشغل أوقاتنا، أو لأننا لا نحبهم فنسوِّغ لأنفسنا حينئذٍ أن نبهتهم، أو لأننا نريد أن ننفِّس عن أحقادنا بإطلاق كلمة هنا واتهام هناك بحثاً عن راحة نفسية، لأن هذه الراحة كاذبة، فالبهتـــان يهدم الديار ويعود على الكاذب نفســـه، ففي الحديث (من رمى الناس بما فيهم رموه بمـــا ليس فيه)، ولنتذكر أن الله خصيمنا كما أن الناس سيكونون خصماءنا (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَـــيْءٌ عَظِيمٌ) (الحج:١).

يسألونك عن الوطن

٢٦ صفر ١٤٣٠ هـ / ٢١ فبراير ٢٠٠٩

يسألونك عن الوطن..
قل:
الوطن انتماءٌ تتجذر عروقه في أعماق
الوجدان..
ومشاعر تهيج بالنفس في كل آن..
وعملٌ مخلص لا تكلّ معه الأبدان..
****

يسألونك عن الوطن...
قل:
الوطن خيرٌ لا ينضبْ..
وشموخ لا يركعْ..
وكبرياء لا يطغى..
****

يسألونك عن الوطن...



يسألونك عن الوطن...
قُلْ:
الوطن عزٌّ لا غنى للإنسان عنه..
وهوية ترسم معالم الوفاء له..
ومسئوليةٌ تُحتّم الدفاع عنه.
****

قُلْ:
وهل يعرِف ما الوطن ذاك الذي لا يرى فيه
إلا سبيلاً لزيادة ثرواته..
أو محطةً طارئةً في مسار حياته..
أو مرتعاً خصباً لإشباع أهوائه؟!
****

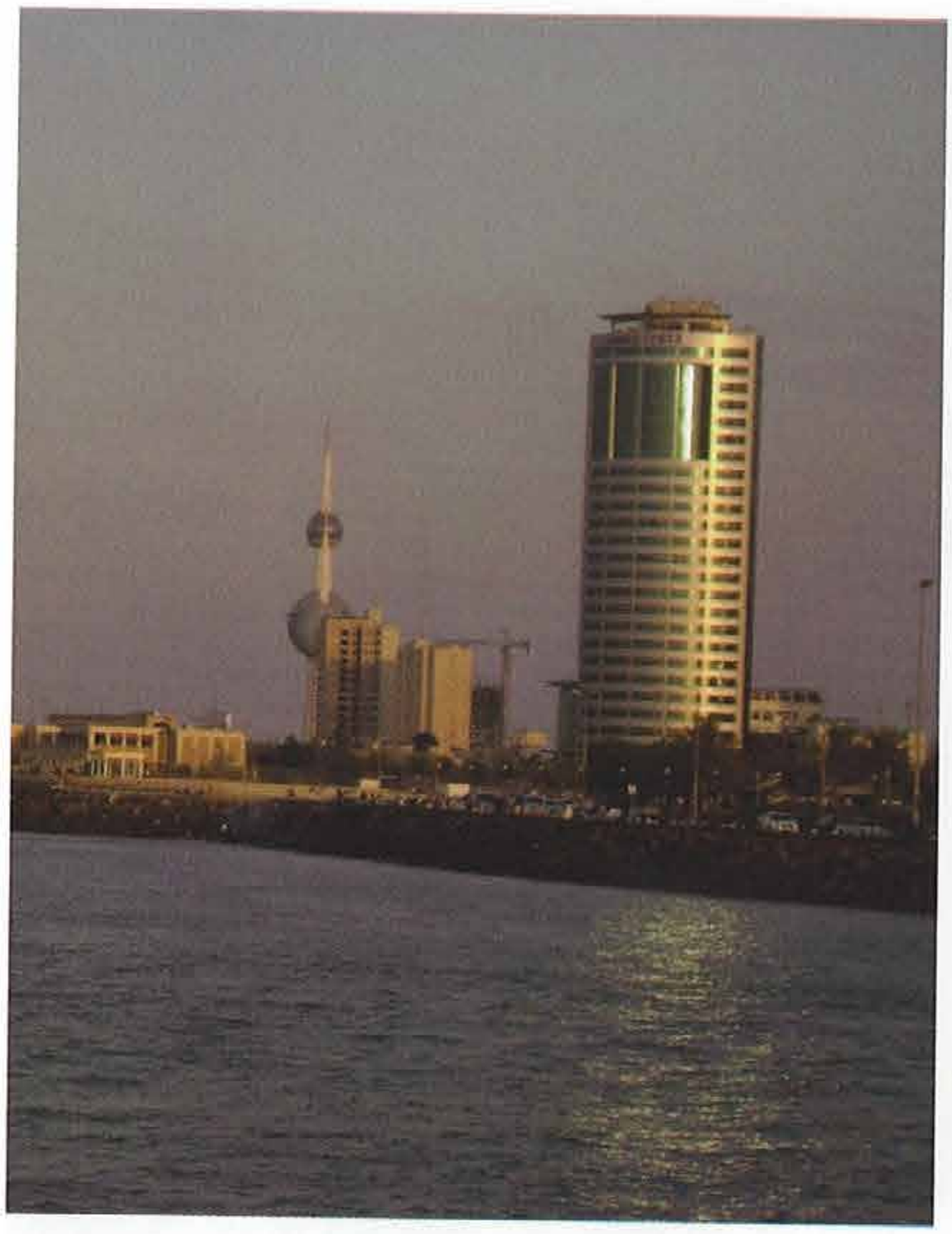

يسألونك عن الوطن...
قُلْ:
لا يعرف ما الوطن ذاك الذي يدمّر فيه كل جميلْ..
ويزرع فيه أشواك الحقدْ..
ويغتصب من كنوزه لذة ساعةْ.

****

وطني..
اشتملتُ في أحضانكَ رداءَ الحنانْ..
وقرأتُ في كتابكَ عزَّ الحياةْ..
وشممتُ في ثَراكَ ريح الوجودْ.
فدُمتَ وطنَ الخيرْ..
وعشتَ يا وطني..
يا كويتْ.

****

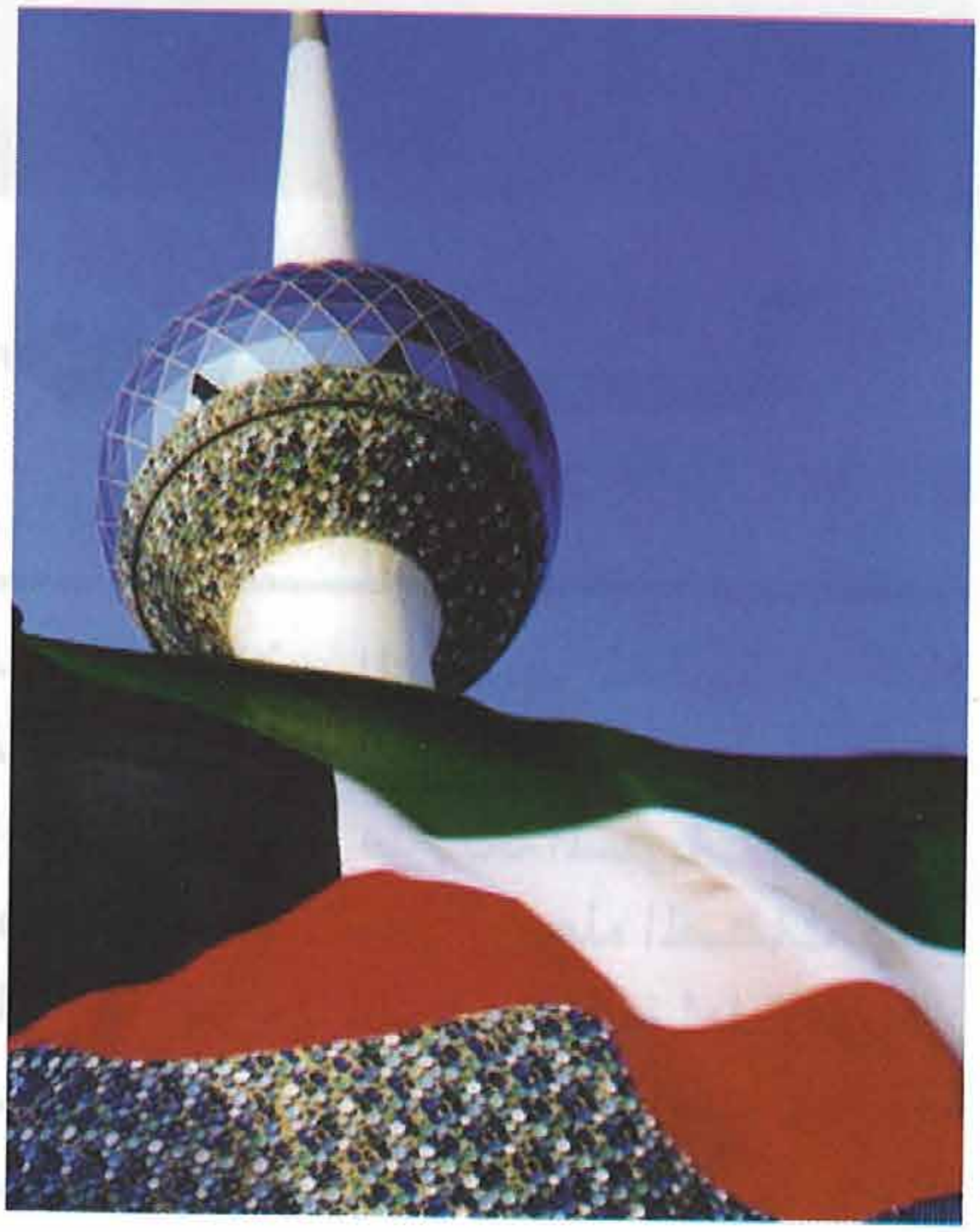

ولي وطن آليتُ ألا أبيعه وألا
أرى غيري له الدهر مالكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمة
كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا
وحبَّب أوطان الرجال إليهم
مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم
عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا
فقد ألفته النفس حتى كأنه
لها جسد إن بان غودر هالكا

****



إسهامات حضارية

٣ ربيع١ ١٤٣٠ هـ / ٢٨ فبراير ٢٠٠٩

من المؤسف أن يبقى البعض مصرّاً على تقديم صورة مشوهة للمسلمين من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام بتصوير أنهم جسم غريب في جسد الأمة الإسلامية، لم يحظ منهم المسلمون ـ طوال القرون الماضية ـ إلا الفتنة والمعارضة ومالأة العدو وإحداث البدع!

وقد انبرى عدد من أصحاب الاهتمام للرد على هذه الفرية بتأليف مصنفات خاصة لشرح الإسهامات الحضارية العظيمة التي قدمها المسلمون من أتباع أهل البيت عليهم السلام على كافة المستويات والمجالات.

ومن بين هذه المصنفات كتاب تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للسيد حسن الصدر وفلاسفة الشيعة لعبدالله نعمة وأعيان

الشيعة للسيد محسن الأمين.

وإذا كان (ويل ديورانت) في كتابه الشهير (قصة الحضارة) قد أشار إلى أن الحضارة تتألف من عناصر أربعة هي: الموارد الاقتصادية، النظم السياسية، التقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، فإننا لن نتطرق في موضوعنا هذا إلا إلى العنصر الرابع مع الاختصار الشديد.

علوم اللغة والبيان والأدب:

ـ النحو: اتفق المؤرخون أن أبا الأسود الدؤلي ـ صاحب الإمام علي عليه السلام ـ إما أن يكون واضع علم النحو أو مدوّنه بتعليم من الإمام نفسه. ومن النحاة الشيعة أبوعثمان المازني وابن السكيت وابن حمدون وأبوإسحق النحوي وابن خالويه وغيرهم، وقد ذكر السيد حسن الصدر في كتابه أئمة النحو من الشيعة إلى القرن السابع فبلغوا (١٤٠).

ـ الصَّرف: أوّل من دوّن الصرف أبوعثمان المازِني، وكان قبل ذلك مندرجاً في علم النحو، وأما أوسع كتاب في الصرف فقد كتبه محمد بن الحسن الاسترآبادي، وكلاهما من الشيعة الإمامية.

ـ اللغة: يعد الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب أوّل معجم لغوي للعربية (كتاب العين) وأوّل من استخرج علم العروض، ويضاف إليه كل من أبان بن تغلب وابن حمدون النديم وابن دريد الأزدي صاحب (الجمهرة في اللغة) والصاحب بن عباد وغيرهم.

ـ الشعر: فمنهم أبوالطيب المتنبي وأبوتمام والفرزدق والشريف الرضي والكميت ودعبل الخزاعي والسيد الحميري وأبوفراس الحمداني وابن الحجاج البغدادي وآخرون.

تفسير القرآن وعلومه:

ـ غريب القرآن: ويعد النموذج الأولي لكتب تفسير القرآن، وممن كتب في ذلك أبان بن تغلب ومحمد بن السائب الكلبي وعطية بن الحارث الهمداني وأحمد الطبري الآملي وآخرون.

ـ مجازات القرآن: شيخ النحاة الفراء وأبوالفتح الهمداني والشريف الرضي وغيرهم.

ـ التفسير الترتيبي: كتب فيه الشريف الرضي تفسيره حقائق التأويل في ٢٠ جزء ثم أخوه السيد المرتضى ثم الشيخ الطوسي (التبيان) ثم الطبرسي (مجمع البيان) وهكذا إلى أن بلغ عدد كبار المفسرين أكثر من ١٢٠ مفسراً على ما أحصاه العلامة السبحاني.

الحديث وعلومه:

بالإضافة إلى من جمع الأحايث في كتب صغيرة كالأصبغ بن نباتة وسليم بن قيس وزيد الجهني وجابر الجعفي ويونس بن عبدالرحمن، صُنّفت الموسوعات الحديثية الضخمة بدء من القرن الثالث الهجري، وعلى رأسها الكافي للكليني ومن لا يحضره الفقيه للصدوق والتهذيب للطوسي وبحار الأنوار للمجلسي ووسائل الشيعة للحر العاملي وغيرها.

وأمـــا في مجال علم الرجال والجرح والتعديل فقد صنف فيه كل من النجاشي والطوسي والكشي، ومن آخر وأشهر ما ألف كتابا المرجعين الراحلين البروجردي والخوئي.

تدوين السيرة والتاريخ:

وبـــدأه عبيـــدالله بـــن أبي رافـــع صاحب الإمـــام علي عليه السلام، ثم ابن إسحاق وأبومخنف ونصر بن مزاحم، وكتبهم من أهـــم المصادر في تدوين الســـيرة والتاريخ لمن جاء بعدهـــم كالطبري وابن الأثير.

الكلام والفلسفة:

مـــن المتكلمـــين زرارة بن أعين وأبوجعفر مؤمن الطاق وهشـــام بن الحكم والفضل بن شـــاذان والحسن النوبختي والشيخ المفيد. ومن الفلاسفة ابـــن ســـينا ونصـــير الدين الطوسي وابن ميثم البحراني والعلامة الحلي وآخرون.

الفيزيـــاء والكيمياء والطب والفلك والجغرافيا:

وفيها برع كل من ابن سينا وجابر بن حيان وهشـــام بن الحكـــم واليعقوبي الذي يعد أول جغرافي عربي والمسعودي المـــؤرخ والمحقـــق الطوســـي والشـــــريف أبوالقاســـم القصري ويعقـــوب النوبختي وغيرهم كثير.

وخلاصـــة القـــول إن للمسلمين الشيعة إسهامات حضارية لا يمكن تجاهلها، بل إن إنكارها يعني إنكاراً لكثير من المنجـــزات العظيمة التي شـــهدها التاريخ الإسلامي، إلا أن هـــذا لا يعـــني أنهـــم كانوا مفـــــروزين كجســـم

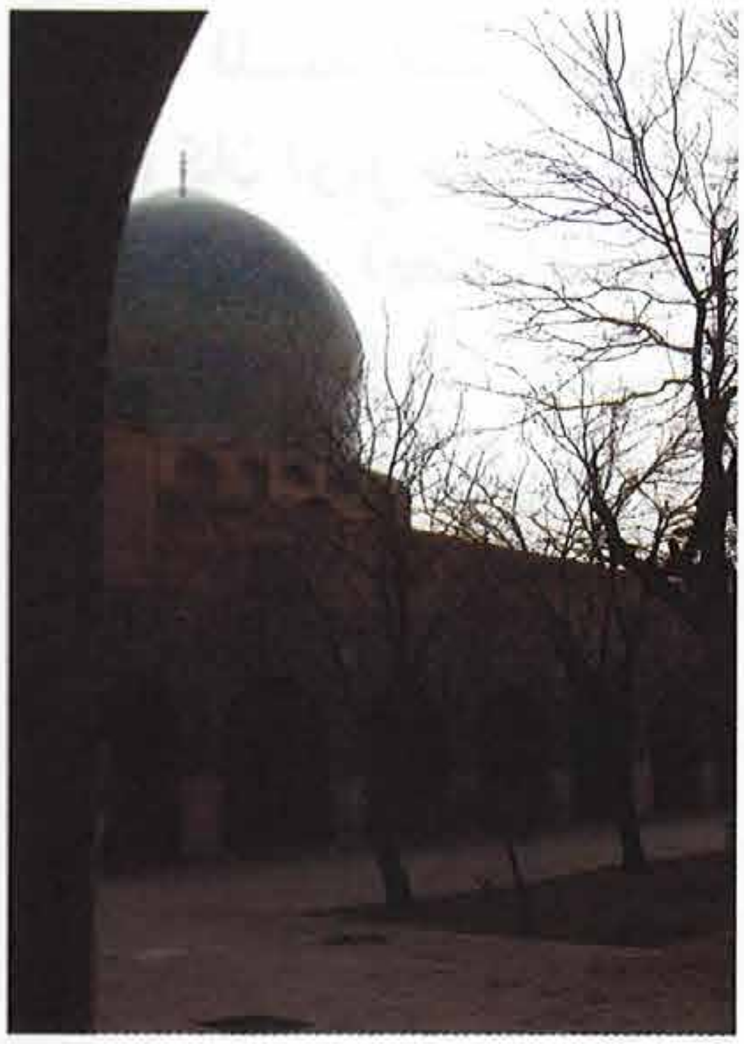

غريب متمايز في وسط الأمة الإسلامية، بل كانوا كغيرهم ومع خوانهم مـــن أبناء هذه الأمـــة يعملون لمـــا يحقق لها التقدم والرقي.

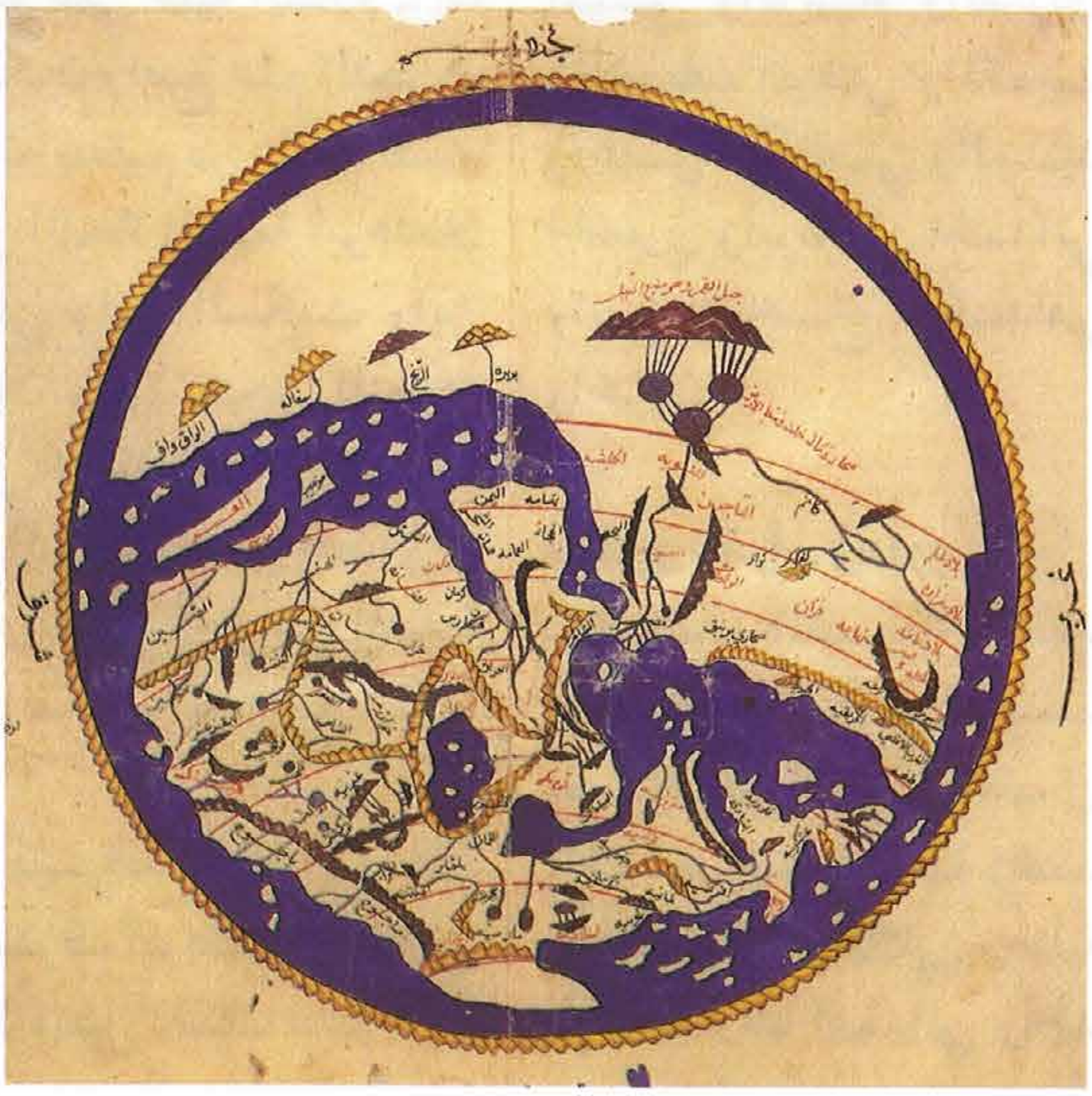

لستُ من المهتمين بإثارة القضايا الخلافية بين المذاهب الإسلامية، ولا أحب أن أستغرق كثيراً في الماضي الذي لربما يبعدنا عن معطيات الواقع الذي نعيشه، ويفرض علينا أجندة خاصة في التعامل مع القضايا المعاصرة، إلا أن إصرار البعض على تحويل الخلافيات إلى ممارسات على الأرض تستفز هذا وتستثير ذاك، لا يترك الخيار إلا بمحاولة تقديم علاج علمي وآخر عملي، لعل وعسى أن تنجلي الصورة وتهدأ النفوس وتحلّ العقد.

زيارة المراقد

١٠ ربيع١ ١٤٣٠ هـ / ٧ مارس ٢٠٠٩

ومن القضايا التي أثيرت مجدداً وأخيراً ـ على الأرض ـ مسألة زيارة مراقد النبي وآله وأصحابه والأخيار من هذه الأمة، في كيفيتها وفي تفاصيلها. وسأحاول تقديم وصفة علاجية علمية وعملية أملاً في تحقيق شيءٍ على الأرض أيضا.وسأعتمد فيما أطرحه من آراء علمية على ما جاء في الموسوعة الفقهية الصادرة عن وزارة الأوقاف الكويتية. جاء فيها ـ مع الاختصار ـ :

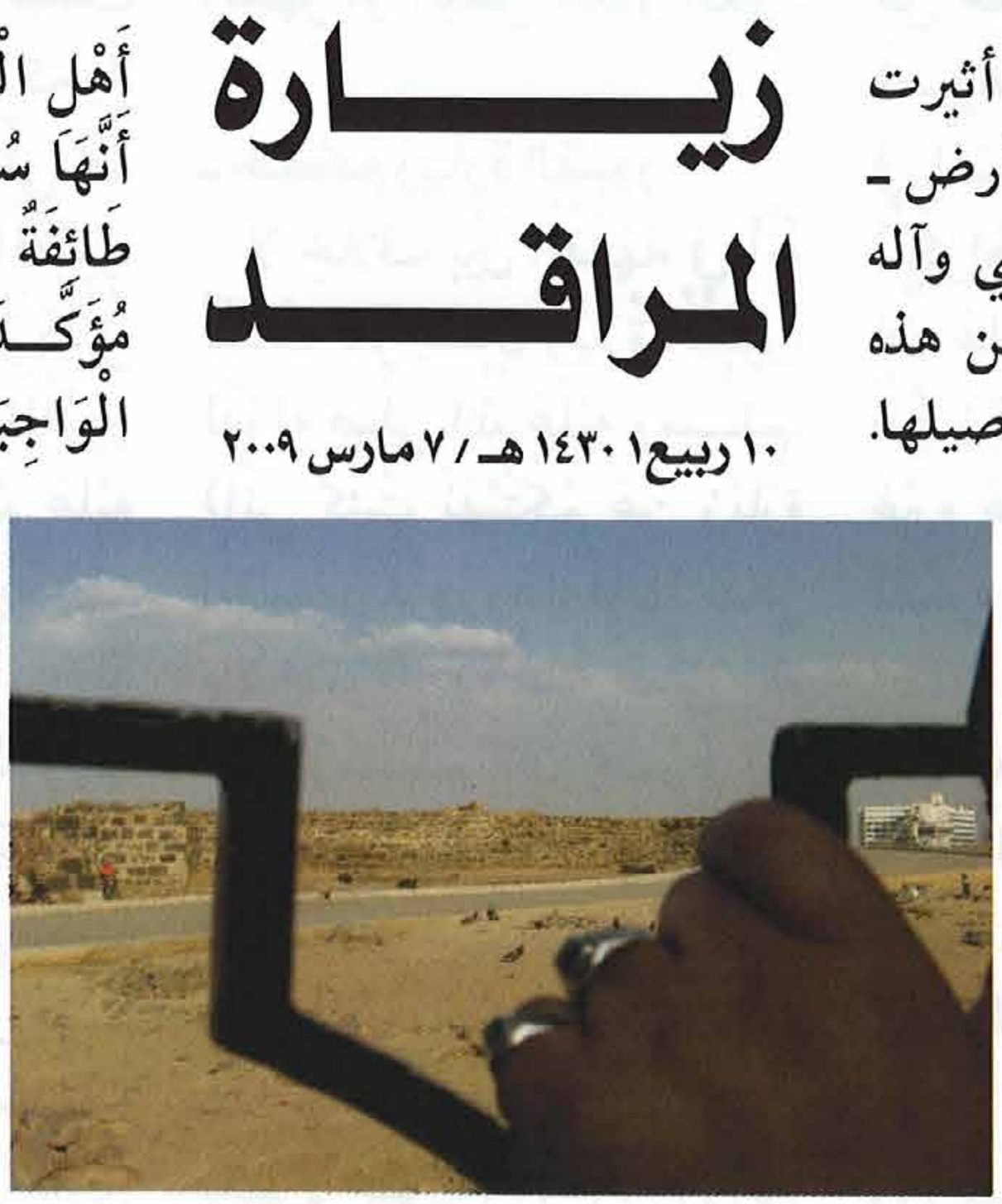

بزيارة قبره صلى الله عليه وسلم.

ـ مفهوم الزيارة:

الزِّيَارَةُ: اسْمٌ مِنْ زَارَهُ يَزُورُهُ زُورًا وَزِيَارَةً ، قَصَدَهُ مُكْرِمًا لَهُ. وَزِيَارَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ وَفَاتِهِ تَتَحَقَّقُ

ـ الحكم التكليفي:

أَجْمَعَتِ الأُمَّةُ الإِسْلامِيَّةُ سَلَفًا وَخَلَفًا عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ زِيَارَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَدْ ذَهَبَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ الْفَتْوَى فِي الْمَذَاهِبِ إِلَى أَنَّهَا سُنَّةٌ مُسْتَحَبَّةٌ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ: هِيَ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ، تَقْرُبُ مِنْ دَرَجَةِ الْوَاجِبَاتِ، وَهُوَ الْمُفْتَى بِهِ عِنْدَ طَائِفَةٍ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ. وَذَهَبَ الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ أَبُو عِمْرَانَ مُوسَى بْنُ عِيسَى الْفَاسِيُّ إِلَى أَنَّهَا وَاجِبَةٌ.

ـ دَلِيلُ مَشْرُوعِيَّةِ الزِّيَارَةِ:

مِنْ أَدِلَّةِ مَشْرُوعِيَّةِ زِيَارَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَوْله تَعَالَى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) فَإِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، كَمَا أَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ بِنَصِّ

الْقُــرْآنِ، وَقَدْ صَحَّ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِــمْ)، وَإِنَّمَــا قَالَ: هُمْ أَحْيَاءٌ أَيْ لأَنَّهُمْ كَالشُّهَدَاءِ بَلْ أَفْضَلُ، وَالشُّــهَدَاءُ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَفَائِدَةُ التَّقْيِيدِ بِالْعِنْدِيَّةِ الإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ حَيَاتَهُمْ لَيْسَتْ بِظَاهِــرَةٍ عِنْدَنَا وَهِــيَ كَحَيَاةِ الْمَلائِكَــةِ... وَقَوْلُــهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَزُورُوا الْقُبُورَ، فَإِنَّهَــا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ) فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى مَشْــرُوعِيَّةِ زِيَارَةِ الْقُبُورِ عَامَّةً، وَزِيَارَتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ أَوْلَى مَا يُمْتَثَلُ بِهِ هَذَا الأَمْرُ، فَتَكُــونُ زِيَارَتُهُ دَاخِلَةً فِي هَذَا الأَمْرِ النَّبَوِيِّ الْكَرِيمِ. وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ: (مَــنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِــي فِي حَيَاتِــي). وَمِنْهَــا قَوْلُــهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ فِي الْحَدِيــثِ: (مَــنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي).

ـ من آداب زيارته:

أَنْ يُتْبِــعَ زِيَارَتَــهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ بِزِيَارَةِ صَاحِبَيْهِ شَــيْخَيِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَعَنْهُمْ جَمِيعًا، أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيــقِ، وَقَــبْرُهُ إِلَى الْيَمِينِ قَدْرَ ذِرَاعٍ، وَعُمَرَ يَلِي قَبْرَ أَبِي بَكْرٍ إِلَى الْيَمِينِ أَيْضًا. مَا يُكْرَهُ فِي زِيَارَةِ قَــبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ:... التَّمَسُّحُ بِقَبْرِهِ الشَّرِيفِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ بِشُبَّاكِ حُجْرَتِهِ. أَوْ إِلْصَاقُ الظَّهْرِ أَوِ الْبَطْنِ بِجِدَارِ الْقَبْرِ.

ـ حُكْمُ زِيَارَةِ الْقُبُورِ:

لا خِلافَ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ فِي أَنَّهُ تُنْدَبُ لِلرِّجَــالِ زِيَارَةُ الْقُبُورِ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ: (إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُــورِ فَزُورُوهَا، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ بِالآخِــرَةِ)، وَلأَنَّــهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ كَانَ يَخْــرُجُ إِلَى الْبَقِيعِ لِزِيَــارَةِ الْمَوْتَى وَيَقُولُ: (السَّــلامُ عَلَيْكُــمْ دَارَ قَــوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَأَتَاكُمْ مَــا تُوعَدُونَ غَدًا مُؤَجَّلُونَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقُونَ). وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ: (أَسْأَلُ اللهَ لِي وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ). أَمَّا النِّسَاءُ، فَمَذْهَبُ الْجُمْهُورِ أَنَّهُ تُكْرَهُ زِيَارَتُهُــنَّ لِلْقُبُورِ... وَذَهَــبَ الْحَنَفِيَّةُ ـ فِي الأَصَحِّ ـ إِلَى أَنَّــهُ يُنْدَبُ لِلنِّسَــاءِ زِيَارَةُ الْقُبُورِ كَمَا يُنْــدَبُ لِلرِّجَالِ.. وَقَالَ الْخَيْرُ الرَّمْلِــيُّ: إِنْ كَانَ ذَلِكَ لِتَجْدِيــدِ الْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ وَالنَّدْبِ وَمَا جَرَتْ بِهِ عَادَتُهُنَّ فَلا تَجُــوزُ، وَعَلَيْهِ حُمِلَ حَدِيثُ (لَعَــنَ اللهُ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ)، وَإِنْ كَانَ لِلاعْتِبَــارِ وَالتَّرَحُّمِ مِنْ غَيْرِ بُكَاءٍ، وَالتَّبَرُّكِ بِزِيَارَةِ قُبُورِ الصَّالِحِينَ فَلا بَأْسَ ـ إِذَا كُنَّ عَجَائِــزَ ـ وَيُكْرَهُ إِذَا كُنَّ شَــوَابَّ، كَحُضُــورِ الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسَــاجِدِ... وَيُسْــتَثْنَى مِنَ الْكَرَاهَةِ زِيَارَةُ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ، فَإِنَّهُ يُنْدَبُ لَهُنَّ زِيَارَتُهُ، وَكَذَا قُبُورُ الأَنْبِيَاءِ غَيْرِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، لِعُمُومِ الأَدِلَّةِ فِي طَلَبِ زِيَارَتِهِ.

ـ آدَابُ زِيَارَةِ الْقُبُورِ:

قَالَ الْحَنَفِيَّةُ: السُّــنَّةُ زِيَارَتُهَا قَائِمًا، وَالدُّعَــاءُ عِنْدَهَا قَائِمًا، كَمَا كَانَ يَفْعَلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْبَقِيعِ... وَفِي شَــرْحِ الْمُنْيَةِ: يَدْعُو قَائِمًا مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، وَقِيلَ: يَسْتَقْبِلُ وَجْهَ الْمَيِّتِ... وَقَالَ الشَّافِعِيَّةُ:... وَأَنْ يَقْرَأَ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ وَيَدْعُوَ لَهُمْ، وَأَنْ يُسَــلِّمَ عَلَى الْمَــزُورِ مِنْ قِبَــلِ وَجْهِهِ، وَأَنْ يَتَوَجَّهَ فِي الدُّعَــاءِ إِلَى الْقِبْلَةِ، وَعَنِ الْخُرَاسَانِيِّينَ إِلَى وَجْهِهِ، وَعَلَيْهِ الْعَمَلُ... وَقَالَ الْحَنَابِلَةُ:

سُــنَّ وُقُوفُ زَائِرٍ أَمَامَهُ قَرِيبًا مِنْهُ... وَقَــالَ الْحَنَابِلَةُ: لا بَأْسَ بِلَمْسِ قَبْرٍ بِيَدٍ لا سِــيَّمَا مَنْ تُرْجَى بَرَكَتُهُ.

ـ الخلاصة:

إن هذا التشنج الحاصل عند البعض لا معنى له مع وجود هذه الفتاوى الصادرة عن أئمة المذاهب الإسـلامية السـنية المختلفة الـتي أباحت الكثير مـن العناويـن أو اعتبرتها واجبة أو مسـتحبة، واعتبرت البعض منها من المكروهات. بل حتـى مع وجـود ما هو محرم ـ على فتـوى البعض ـ فهو معـارض بفتاوى بعض المذاهب السـنية التي تبيحها أو تعتبرها مـن المكروهات، ولا تدخل في إجماعات فقهية تحسم الموضوع. وهذا يعني:

١ـ أن المسـألة في تفاصيلهـا ليسـت خلافـاً بين السـنة والشـيعة، بـل بـين منهج متطرف وبين سائر المسلمين.

٢ـ توفر أرضية علمية للنقاش والحوار (لاسـيما مع الخطوة الجريئـة التي قـام بها عاهل المملكة بضـم فقهاء المذاهب الأربعة إلى المجلـس الفقهي مؤخـراً)، وهـو مـا نتمنى حصوله لكي نقضي على أية احتمـالات أو مظاهر للفتن والإثارات قد تبرز مستقبلاً، لا سـيما على الأراضي المقدسة وفي الأجـواء المقدسـة التي يُفترض فيها أن تجمع وتوحد، وبملاحظة حرص المسـلمين من أتباع مدرسة أهل البيت لحضور الجمعـة والجماعات الـتي تقـام في مسـاجد مكة والمدينة وخصوصاً في الحرمين الشريفين تأكيداً على الوحدة وسعياً لتحقيق الألفة.

وإذا كان لدى المسئولين على تنظيم شـئون البقاع المقدسة ملاحظـات حـول بعض ما يُفعل أو يُقـال في مجموعات الزيـارة عنـد البقيع فيمكن أن يناقـش ضمـن مؤتمر عام يجمع الفقهاء والمسئولين من الطرفين، ومـن ثم الوصول إلى قـرارات وحلول توافقية يبلّغ بهـا أصحاب الشـأن بطريقة حضارية.

رسالة إلى المرجعية:

كمـا وأتمنى مـن مراجعنا العظام أن يوجهوا في رسـالة واحدة وبكلمة حاسمة خطاباً إلى المسئـولين في المملكـة العربيـة السعـودية وإلى علمائها وإلى الأزهر الشريف لعقد هكذا لقاء وعلى أعلى المستويات أملاً في الوصول إلى حلول جذرية لقضية لا يريد أي غيور على الأمة أن تتحول إلى معول هدم في كيانها. وقد نشرت في عدد سابق مضمون الرسـالة الجوابيـة الإيجابية التي بعث بها الأمير الراحل الشـيخ عبدالله السـالم رحمه الله حيث يتجـاوب فيها مع طلب الفقيه الراحل الشـيخ الزنجاني رحمـه الله بخصوص أحـد التكفيريين، ممـا يؤكد إمكانية حل قضايانا بالحكمة لا عن طريق حوار الطرشان.

رسالة إلى الزائرين:

كمـا أوصـي إخواني وأخواتـي الزائرين بضرورة مراعاة الحـال، وتجنب ما من شأنه إحداث الفتنة، وترك ما من شأنه أن يستفز الآخرين حفاظـاً على وحـدة الكلمة ومراعاةً لحرمة المكان.

ولد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكان مولده إشراقة شمس أضاءت للإنسانية في آفاق الحياة، فأخرجتها من ظلمات الباطل إلى نور الحقيقة، ومن رجعية التقليد إلى روعة الإبداع، ومن مضائق التعصب إلى رحابة الموضوعية.

ولعل من أبرز سمات المجتمع الجاهلي هو العصبية بمفرداتها المختلفة، وتقديم الذات على كثير من العناوين الأخرى كالمصلحة العامة والتضحية من أجل المبدأ.

التعصب:

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ) (المائدة:١٠٤).. هكذا كانوا في تعصبهم الذي يدور حول الذات، أو انتمائهم القبلي أو القومي، فأغلق عليهم منافذ الهداية وألجم عقولهم عن الانطلاق للتفكير بعمق في كلمات رجلٍ منهم، خبروا فيه الصدق فلمً يجدوا في قوله كذبة، وعهدوا منه الأمانة فلم يعرفوا منه خيانة.

وأما الموضوعية فكانت سمة الدعوة المحمدية في منهجها الفكري والأخلاقي، الأمرَ الذي مثّل انقلاباً في شخصية العربي الذي كانت تحكمه نوازعه وانتماءاته.

الموضوعية في الفكر:

(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (سبأ: من الآية٢٤)، وهذه الآية تمثل القمة في الأسلوب الموضوعي في التفكير ومحاولة الوصول إلى الحقيقة بعيداً عن التعصب للذات حيث يساوي الإنسان الآخر بنفسه، على الرغم من اختلافه معه وقناعته بالخطأ في موقفه. وإذا تربّى المسلم على هذه الروحية، وفكّر بهذا المنطق، فسيصل إلى النتائج التالية:

١ـ سيعرف كيف يستمع إلى الآخر.

٢ـ سيحترم الآخر، فلا يوجّه له رسائل السخرية والاستخفاف التي تمثّل حاجزاً نفسياً أمام التعاطي الفكري مع الموضوع.

٣ـ سيتفهّم تأثير الخلفيات النفسية والاجتماعية والسياسية على الآخر، فلا يسارع إلى الحكم عليه بالمروق والخيانة والتعصب وما شابه ذلك، فلعله يملك عذراً يبرّر به موقفه، كما نبحث لأنفسنا عن الأعذار التي تبرر لنا مواقفنا.

هل سيولد من جديد؟

١٧ ربيع ١ ١٤٣٠ هـ / ١٤مارس ٢٠٠٩

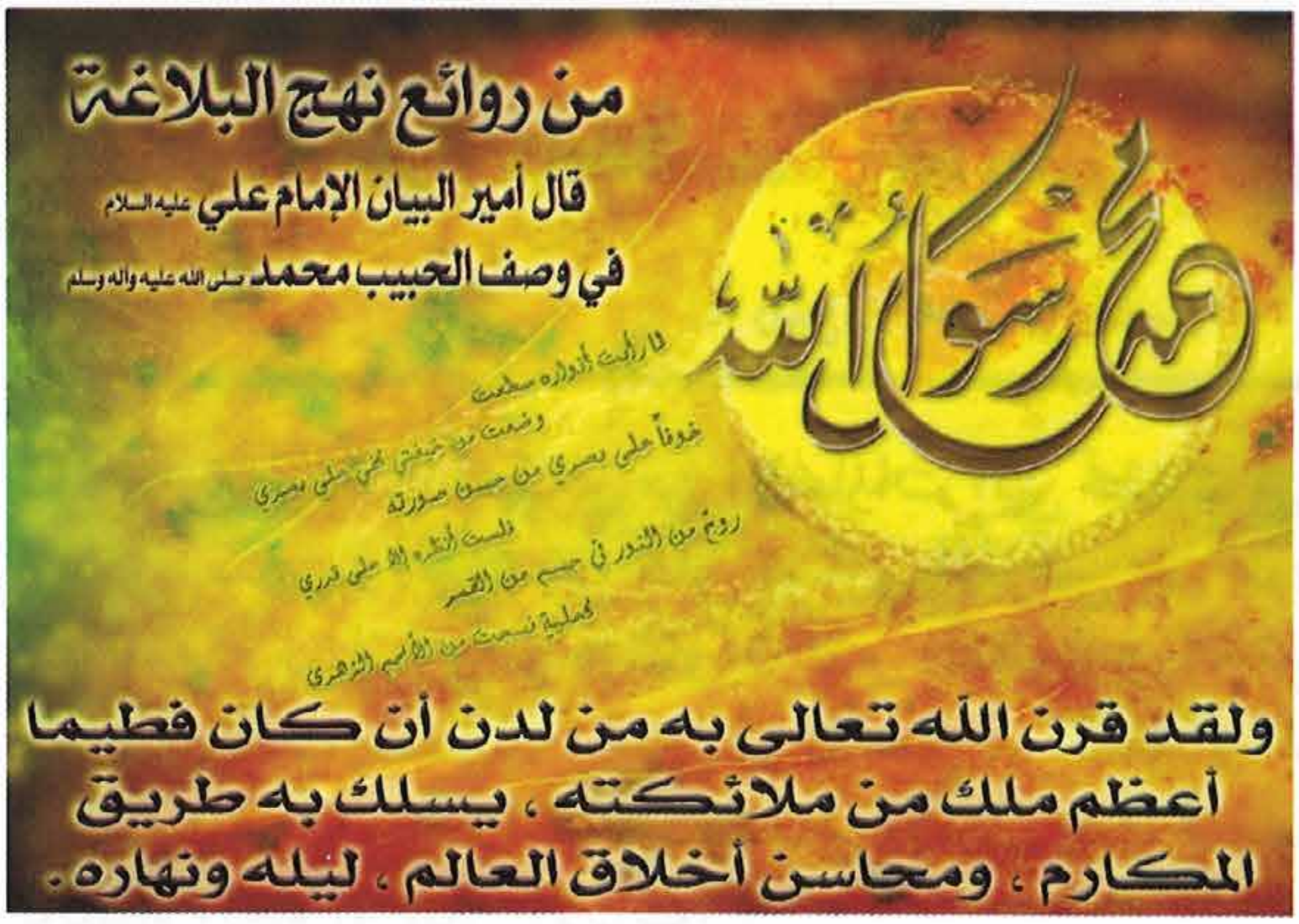

٤ـ سييسّر إمكانية التعرّف على نقاط الالتقاء عند الطرفين.

٥ـ سيوفّر المناخ النفسي الملائم للقناعة بالفكرة التي تدعمها الحجة، ويسندها الدليل بوضوح.

٦ـ سيهيئ للآخرين المناخ الذي يمكّنهم من تفهّم القناعات التي نتبنّاها.

٧ـ سيوفّر لنا الجو الهادئ البعيد عن الحماسة المنفعلة التي تغلق منافذ العقل وتبعدنا عن التركيز في الفكرة و في وسائل الدفاع عنها، وفي عناصر الهجوم على الفكر الآخر.

الموضوعية في العلاقات:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً) (النساء:١٣٥)، فالعدل هو أساس العلاقات القائمة بين الناس، فما ينسجم مع العدل يجب أن ينسجم مع موقف المسلم، ولو كان على حساب عاطفته أو مصلحته أو العناوين التي ينتمي إليها.ومن هنا استغرب المسلمون الذين عاشوا هذه المفردة المهمة في الأخلاق والسلوك حين قال لهم النبي: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً). فقيل: (كيف أنصره ظالماً؟!) لأن هذا يتنافى مع عنوان العدل، والعدل ينطلق من النظرة الموضوعية للأمور وللأشخاص في إطار العلاقات الإنسانية التي طالما أكّد عليها النبي في تربيته لأصحابه من خلال القرآن الكريم ومن خلال توصياته الشخصية، فأجابهم بما يتناسب مع ذات الخط والمنهج الذي تؤطره حركة العدل في الحياة: (تردّه عن ظلمه، فذاك نصرك إياه).

وعليه جاء التأكيد المتكرر على ضرورة إنصاف الآخرين ولو من النفس، واعتباره من الدلائل الحقيقية على الإيمان، فعن النبي الأكرم: (من واسى الفقير وأنصف الناس من نفسه فذلك المؤمن حقاً) مع بيان صعوبة الأمر لتعارضه مع أهواء النفس والتربية السلبية، فعنه أيضاً: (ثلاثة لا تطيقها هذه الأمة: المواساة للأخ في ماله، وإنصاف الناس من نفسه، وذكر الله على كل حال).

إلى إدارة الوقف الجعفري.. مع التحية

٢٤ ربيع١ ١٤٣٠ هـ / ٢١ مارس ٢٠٠٩

تعد إدارة الوقف الجعفري من الإنجازات التي تحققت في الأعوام القليلة الماضية محققةً المادة الدستورية التي تنص على تساوي الفرص بين المواطنين لأن (الناس سواسية في الكرامة الإنسانية وهم متساوون لدى القانون في الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين.. وحرية الاعتقاد مطلقة، وتحمي الدولة حرية القيام بشعائر الأديان طبقا للعادات المرعية على إلا يخل ذلك بالنظام العام أو ينافي الآداب) .

لتتوج بذلك سنوات من العمل الدؤوب والمطالبات الحثيثة والطموح الأكبر بتشكيل هيئة مستقلة للوقف الجعفري، والتي اختصرت كمرحلة أولى بصورة إدارة ضمن الأمانة العامة للأوقاف.

ومنذ ذلك الحين قامت الإدارة بعدة أنشطة محلية بما يتناسب ـ إلى حد ما ـ مع الإمكانيات المتاحة لها وعمرها القصير، كما نشطت في عقد ثلاثة مؤتمرات حول الوقف، إلا أن هذه المؤتمرات عادةً ما تكون للنخبة من داخل وخارج البلد، مما يعني عدم وصول رسالة الإدارة إلى شريحة واسعة من أبناء المجتمع.

ومن هنا، و طموحاً في تطوير أداء هذه الإدارة الفتية أود التقدم بعدة مقترحات:

١. عقد لقاء تنويري مع أئمة المساجد، يتم فيه عرض أهداف الإدارة وطريقة عملها ومنجزاتها وطموحاتها، مع مناقشة سبل التنسيق المتبادل بين الطرفين بما يخدم أهداف الإدارة وأنشطة المساجد، إذ أن هذه النقاط بقيت غير جلية لكثير من أئمة المساجد الذين يمثلون الموقع الأبرز في علاقة الناس بالقضايا الفقهية.

٢. القيام بزيارات ميدانية يقوم بها بعض المسئولين في الإدارة إلى المساجد والحسينيات والمراكز الدينية، وبشكل دوري بهدف توعية المصلين وعرض آخر الأنشطة والمستجدات.

٣. تنشيط العمل الإعلامي الخاص بأنشطة الإدارة بتوزيع النشرات والملصقات وإنتاج البرامج الإعلامية عبر

الصحف والمجلات المحلية وتلفزيون وإذاعة الكويت وعبر القنوات الفضائية.

٤. عقد دورات علمية في المساجد ـ حول أهم أحكام الوقف ـ بهدف زيادة الوعي العام بأهمية الوقف وطرقه وتنوعاته.

٥. توجيه الدعوة لأئمة المسجد لزيارة مبنى الإدارة للاطلاع واستقبال المقترحات بهدف التطوير.

٦. عمل مسابقات ثقافية ترتبط بالوقف (بحوث ـ أسئلة ـ دراسات) موجهة لتخدم أغراض الإدارة، ولتنشيط العمل الثقافي الديني بين أبناء المجتمع.

٧. دعوة كبار العلماء من الحوزات العلمية موسمياً لإلقاء المحاضرات الدينية التوعوية بالتنسيق مع المساجد والحسينيات والمراكز الدينية والمبرات.

٨. تشكيل قاعدة بيانات بالخطباء والحسينيات والمتولّين بهدف التنسيق والتعاون وتلبية أهم احتياجات إقامة الشعائر الحسينية.

٩. عقد لقاءات سنوية مع متولّي الحسينيات والخطباء قبل موسم محرم بهدف التواصي وتبادل المقترحات وأهم الملاحظات الموجهة إلى المجالس الحسينية بما يخدم أهدافها، ويعزز القيم الإسلامية، ويحقق اللحمة الوطنية.

١٠. إعداد دراسات وبحوث منوعة حول خصوصيات المجتمع الكويتي وأبرز المشكلات الاجتماعية والتربوية والثقافية بهدف تزويد أئمة المساجد والخطباء بهل كرافد ثقافي.

١١. المساهمة في عقد الدورات الدراسية الدينية في المناطق المختلفة للفتية والفتيات من مختلف المراحل السنية، مع الاستعانة بالخبرات التربوية والتعليمية.

١٢. السعي لإنشاء مراكز مختصة بتعليم القرآن الكريم حفظاً وفهماً وتجويداً.

ومني إلى القائمين على الإدارة.. وعساكم على القوة.



هل دخلنا مرحلة الاستدراج؟

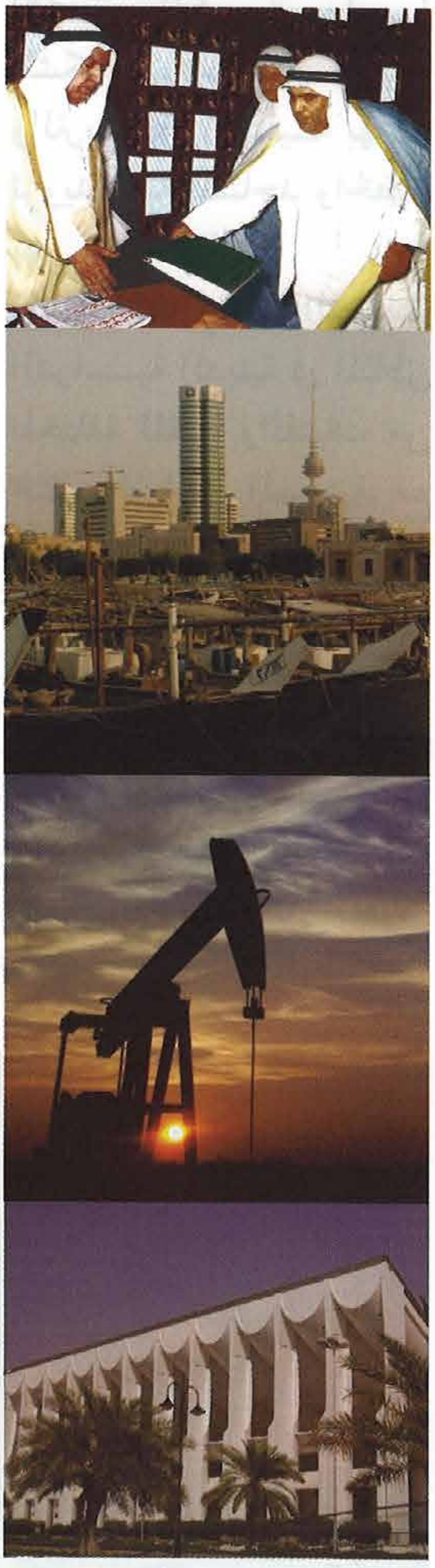

٢ ربيع٢ ١٤٣٠ هـ / ٢٨ مارس ٢٠٠٩

تأتي كلمة الاستدراج في المصطلح القرآني من الدرجة، بمعنى أن الله تعالى يسوق البعض إلى الهلاك شيئاً فشيئاً، تماماً كمن يرقى درج السّلّم، قال سبحانه (وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَاَ يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) (الأعراف:١٨٢-١٨٣). حيث يهيّىء الله لهم من نعيم الحياة ما يلهيهم عن التفكير، ويشغلهم عن المسؤولية والجدّية في مواجهتها، فيخيّل إليهم أنهم يمسكون بزمام الأمور كلها، وتتضخم لديهم حالة الشعور بالأهمية في الأدوار التي يمثلونها، وفي الطاقات التي يملكونها، وفي الأجواء المحيطة بهم، لاسيما إذا اقترن ذلك بتأييد الآخرين وتشجيعهم، وبذلك يتدرّجون من موقع ضلال إلى موقع ضلالٍ آخر، في ما يتقلبون به من نعمةٍ إلى نعمةٍ، لينحرفوا عن المعنى الحقيقي للمسئولية في الحياة الدنيا التي يجب أن تكون تمهيداً للحياة الخالدة في الآخرة.

من سنن الله:

ومن سنن الله تعالى أن الفرد (أو الجماعة) متى ما فتح الله عليه أسباب الهداية والنجاح والصلاح فأبى الناس إلا كفوراً وتمرداً وإفساداً، وبلغوا حداً لا أمل فيهم، لأنهم خضعوا للعقدة الشيطانية المستحكِمة، وللأهواء الشخصية العابثة، وللعناوين المحدودة الممزِّقة،

ما قيمة بلد لا تسمع في أصدائه إلا أزيز الرصاص، ولا ينام أهله إلا على أصوات عجلات المصفحات، ولا يستيقظون إلا على فجائع الموت والدمار؟

فتح عليهم أبواب النعم إمعاناً في إضلالهم واستدراجاً لهم، قال عز اسمه (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام:٤٤-٤٥).

ومن المناسب أن نؤكد على أن (قطع الدابر) لا يعني بالضرورة نزول حجارة من السماء أو انشقاق الأرض وابتلاع ما عليها، بل قد تكون بفتن اجتماعية أو اقتصادية أو أمنية تدمِّر كل شئ، فما قيمة بلد لا تسمع في أصدائه إلا أزيز الرصاص، ولا ينام أهله إلا على أصوات عجلات المصفحات، ولا يستيقظون إلا على فجائع الموت والدمار؟

أحاديث ذات علاقة:

ـ عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا رأيت الله يعطي العبد في الدنيا ـ وهو مقيم على معاصيه ـ ما يحب فإنما هو استدراج، ثم تلا رسول الله « فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»).

ـ وعن الإمام علي عليه السلام: (يا بن آدم، إذا رأيت ربك سبحانه يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره).

منذ ١٩٦٢ تتمتع الكويت بدستور.. ودول كثيرة لا تعرف المشاركة الحقيقية للشعب في الحكم، بينما تنعم الكويت ببرلمانها الذي يُنتخب أعضاؤه بإرادة الشعب دون تزوير أو تلاعب بالنتائج

ـ وعن الإمام علي الهادي عليه السلام: (إن قنبراً مولى أمير المؤمنين عليه السلام دخل على الحجّاج بن يوسف، فقال له: ما الذي كنت تلي من علي بن أبي طالب؟ فقال: كنت أوضّيه، فقال له: ما يقول إذا فرغ من وضوئه، فقال: كان يتلو هذه الآية: «فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُّبْلِسُونَ* فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ». فقال الحجاج: أظنه كان يتأولها علينا؟ قال: نعم. فقال: ما أنت صانع إذا ضربت علاوتك ـ أي رأسك ـ؟ فقال: إذن أسعد وتشقى. فأمر به).

أخوف ما أخافه:

وأخوف ما أخافه أننا في الكويت قد دخلنا مرحلة الاستدراج.. فالنعم التي أنعم الله بها علينا وفيرة، لا على المستوى الاقتصادي فحسب.. ففي الوقت الذي كانت ـ وما زالت ـ بعض المجتمعات القريبة منا تعيش نظاماً بوليسياً رهيباً، كان الكويتي ـ وما زال ـ يتمتع بحرية النقد والتعبير.. وبينما تعيش دول عديدة الحرمان من دستور ينظّم حياتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية والثقافية، فإن الكويت منذ ١٩٦٢ تتمتع بدستور راق وإن أبدى

البعض شيئاً من الملاحظات عليه.. ودول كثيرة لا تعرف المشاركة الحقيقية للشعب في الحكم، تنعم الكويت ببرلمانها الذي يُنتخب أعضاؤه بإرادة الشعب دون تزوير أو تلاعب بالنتائج.. وهذه كلها نعم لا يعرف حجمها إلا من فقدها.

مشاركة شعبية أصيلة:

ولابد من التأكيد أيضاً إلى أن المشاركة الشعبية عندنا في الكويت ليست حالة طارئة، ولا مستوردة، ولا وسيلة لخداع الشعب، بل هي أصيلة راسخة في وجدان الفرد الكويتي، وإلى هذا الفرق بين الصورتين أشار الأديب الراحل عباس محمود العقاد في مقال له بعنوان (الديمقراطية الإنسانية) فقال: (إن شريعة الإسلام كانت أسبق الشرائع إلى تقرير الديمقراطية الإنسانية، وهي الديمقراطية التي يكسبها الإنسان لأنها حق يخوِّله أن يختار حكومته، وليست حيلة من حيل الحكم لاتقاء شر أو حسم فتنة، ولا هي إجراء من إجراءات التدبير تعمد إليها الحكومات لتيسير الطاعة والانتفاع بخدمات العاملين وأصحاب الأجور).

وهذه نعمة أخرى، البعض لا يدرك قيمتها، ويحسب أن استمرارها مع (الخربطات) التي يمارسها البعض من النواب ومن المسئولين في السلطة التنفيذية دليل على خلودها، وهذه ذات الصورة التي قدّمتها الآيات القرآنية عن الفرد أو المجتمع المستدرَج.. وإلا ما معنى أن لا تصمد وزارة أكثر من شهرين، ولا يمكن لمجلس أمة أن يستمر لأكثر من عام؟!! مع كل الصراخ الذي يغلب العقل والحكمة.

وإذا كان الشعب لا يملك اختيار الوزراء، فإنه يملك اختيار أعضاء مجلس الأمة، ووظيفتنا أن نمارس هذا الحق بشكل مسئول، وأن ندفع الناس ليمارسوه بشكل مسئول، حتى لا يأتي اليوم الذي ينتهي فيه الاستدراج وتبدأ العقوبة لا سمح الله.

من سنن الله تعالى أن الفرد (أو الجماعة) متى ما فتح الله عليه أسباب الهداية والنجاح فأبى الناس إلا كفوراً وتمرداً فتح عليهم أبواب النعم إمعاناً في إضلالهم واستدراجاً لهم

أخوف ما أخافه أننا في الكويت قد دخلنا مرحلة الاستدراج.. فالنعم التي أنعم الله بها علينا وفيرة، لا على المستوى الاقتصادي فحسب

العقاد: شريعة الإسلام كانت أسبق الشرائع إلى تقرير الديمقراطية الإنسانية.. وهي الديمقراطية التي يكسبها الإنسان لأنها حق يخوِّله أن يختار حكومته

البعض لا يدرك قيمة نعمة المشاركة الشعبية، ويحسب أن استمرارها مع (الخربطات) التي يمارسها البعض من النواب ومن المسئولين في السلطة التنفيذية دليل على خلودها

لي كوان يو

٩ ربيع٢ ١٤٣٠ هـ / ٤ إبريل ٢٠٠٩

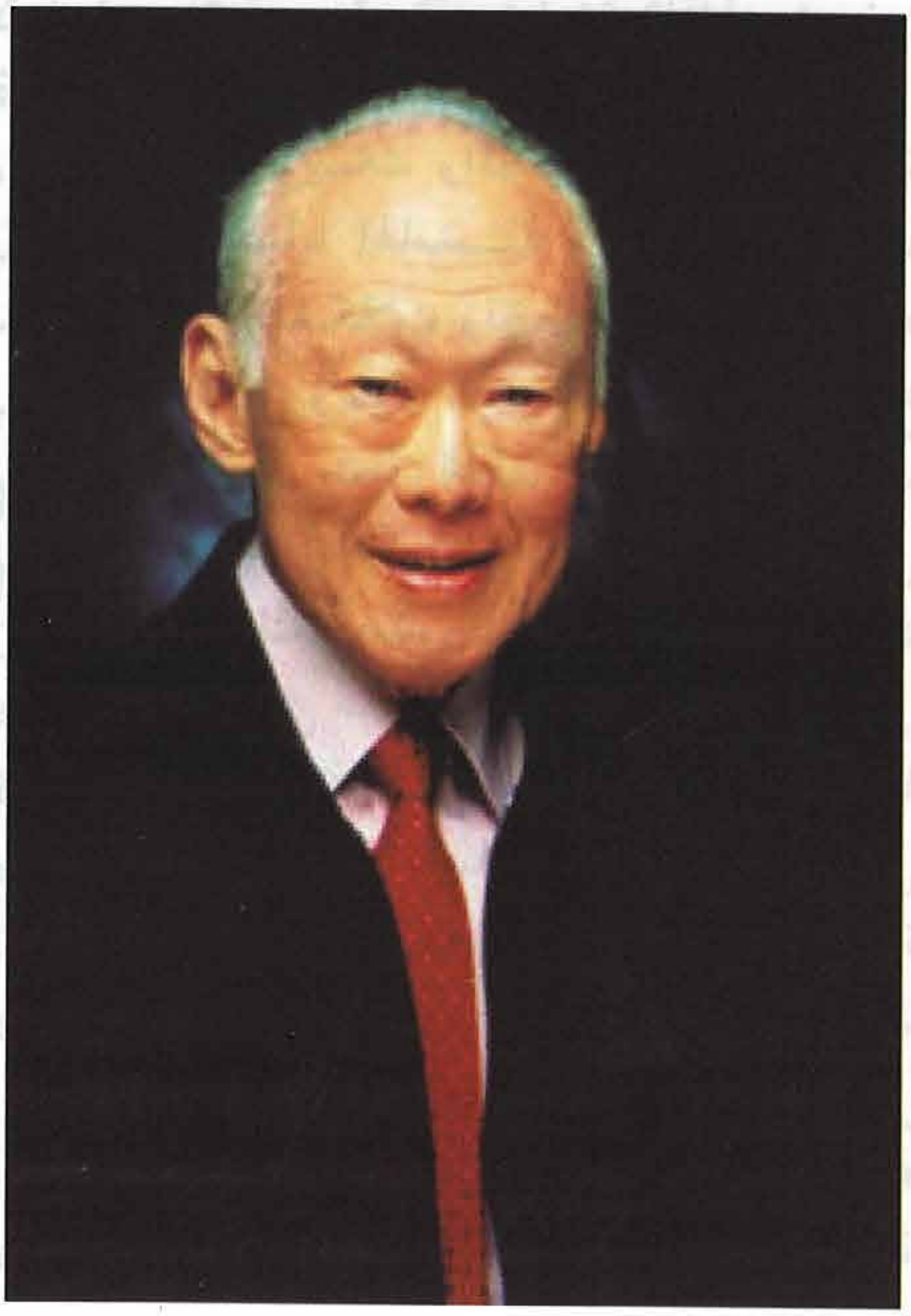

تستعرض الآيات القرآنية (١٣٦-١٥٠) من سورة الأنعام عدداً من البدع التشريعية عند مشركي مكة فيما يرتبط بالأنعام، فهذا حلال وهذا حرام، وهذا للآلهة، وهذا للكهنة.. إلخ القائمة. وقد أنكر الله سبحانه هذه التشريعات الزائفة وطالب المشركين بالإتيان بالبراهين على أنها من عند الله. قال تعالى: (وَمِنَ الأِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أم الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (الأنعام:١٤٣-١٤٤).

منعطف رائع:

إلا أن الملفت للنظر أن الله سبحانه حوّل القضية في الحديث عن التحريم بعد هذه الآيات إلى جوانب أخرى هي الأساس في تنظيم الحياة وتكوين الشخصية الإيمانية، فقال: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ* وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (الأنعام:١٥١-١٥٣).

إذاً.. إذا أردتم الحديث عما هو حرام، فهذه هي أولوياتكم، وهذه هي التي ترسم لكم معالم سلوككم، كما الانتهاء عنها يضعكم على جادة الحق، ويجنّبكم غضب الله.

انقلاب في سلم أولوياتنا:

وإذا أردنا أن نقيس معطيات التدين وفق المفهوم الدارج عند المسلمين، فسنجد ذات المشكلة تطفو على السطح: انقلاب في سلم الأولويات ومعايير تحديد التدين عند الأفراد. فالتركيز قائم على جانب محدد من الفقه الفردي، حتى أنك تجد الرجل بعد عمر مديد من الحضور في المساجد والحسينيات والأجواء الدينية في قمة الاحتياط والاهتمام بوضوئه وغسله وتفاصيل عباداته، وفي ذات الوقت في قمة سوء الخلق في علاقته بأسرته، الأمر الذي يمثّل ازدواجية في شخصيته الإيمانية، وبعيداً عن توصيات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لأهله).. (أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم خلقاً وخيركم لأهله).. وعن الإمام علي عليه السلام: (لا يكن أهلك وذوو ودك أشقى الناس بك) (الله الله في النساء وفيما ملكت أيمانكم فإن آخر ما تكلم به نبيكم أن قال: أوصيكم في الضعيفين: النساء وما ملكت أيمانكم) وعن الإمام الصادق عليه السلام: (رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته، فإن الله عزوجل قد ملّكه ناصيتها، وجعله القيم عليها).

وعلى المستوى العام نجد أن ما كان يدور في مجلس الأمة طوال سنوات من قضايا واستجوابات وتهديدات تعيش - في كثير من مفرداتها - ذات الحالة من انقلاب الأولويات والتركيز على القضايا الهامشية والهروب من المشكلات وقضايا التنمية الضرورية، الأمر الذي أدى إلى أن ينحل المجلس المرة تلو الأخرى، وفي كل مرة توصف تلك الدورة بأنها أسوأ المجالس على الإطلاق!!

ولا يختلف الأمر كثيراً بالنسبة إلى السلطة التنفيذية التي أضاعت بوصلتها منذ زمن غير قريب، فوجدت وسائل الإعلام في ذلك مادة دسمة جرّت من خلالها البلد إلى حالة اللاإستقرار السياسي.. في أجواء قريبة من تلك الأحاديث عما هو محرّم من الأنعام وما هو مباح.. بينما الوضع كله يعيش التخبط والتوهان.

التجربة السنغافورية:

(لي كوان يو) أول رئيس وزراء لسنغافورة، ترأس الحكومة من ١٩٥٩ الى ١٩٩٠. وقد شهدت سنغافورة خلال حكمه نقلة كبيرة تحولت فيه من بلد نام إلى واحدة من أكثر دول العالم تقدماً. فحين استقلت في العقد السادس من القرن العشرين كانت مجرد محطة تجارية نائية ثلاثة أرباع دخلها من عائدات القاعدة العسكرية البريطانية، و دخل الفرد الحقيقي أقل من ١٠٠٠ دولار في السنة.

ومن خلال العمل المدروس والجاد والوطني من قبل هذا الرجل أصبحت سنغافورة حاضرة عالمية مزدهرة تمتلك أنجح شركة طيران في العالم، وأفضل مطار جوي، وأنشط ميناء بحري، وتحتل مرتبة عالمية متقدمة جداً في متوسط دخل

الفرد حيث يبلغ ٣٠,٠٠٠ دولار أمريكي.

وقد اتخذ (لي كوان يو) عدة قرارات حازمة لتحقيق هذه النقلة النوعية:

١. تحديد النسل بشكل حازم، ولما تحقق الهدف وفق الدراسات العلمية غيرت الدولة سياستها السكانية وحفّزت المواطنين لزيادة النسل، مع تخصيص ميزانية تقد بـ ٣٠٠ مليون دولار.

٢. التعليم: بالتعميم والتحديث باعتماد أفضل المناهج في العالم، والآن تتصدر بلده الأولمبياد الدولي في امتحانات المواد العلمية.

٣. التوظيف: اعتمد بيروقراطية صغيرة الحجم ذات كفاءة عالية قوامها حوالي ٥٠ ألف موظف لا أكثر، وعلى درجة كبيرة من المهنية والتعليم والثقافة، على أن يتم التعيين في الوظائف عبر مناظرات عامة مفتوحة للجميع، ويحصل موظفو القطاع العام على رواتب تنافسية مثل القطاع الخاص إن لم يكن أعلى.

٤. اعتماد الشفافية وانخفاض نسبة الفساد الاداري والمالي إلى حد أن سنغافورة تتصدر المراتب الأولى لمؤشر الشفافية الذي تصدره منظمة الشفافية الدولية.

٥. قرارات صارمة حول البيئة والنظافة: وتعد سنغافورة الآن من أكثر بلدان العالم نظافة.

٦. تحقيق الأمن الوطني الداخلي.

كلمات معبرة:

ويعجبني في هذا المقام أن أنقل هذه الكلمات المعبرة حول إنجاز هذا الرجل كتبها منير فياض: (لي كوانِ يو، كان يحلم بأن يبني وطناً للناس وليس له. ولذلك بنى المصانع لا الإذاعات، وأمر الناس بالعمل لا بالإصغاء إلى الاذاعة. وأغلق السجون ليفتح المدارس. وطبّق حكم القانون لكنه لم يحوّل بلاده إلى سجن تُطعَم فيه الفئران كوجبات دسمة، كما لدى جارته بورما. وكان قبل أي شيء حريصاً على الكرامة البشرية، فحارب الفقر بالدرجة التي عارض فيها نفوذ أمريكا. وجعل لكل مواطن بيتاً بدل أن يكون لكل ألف مواطن كوخ من الصفيح. ويكاد لا يوجد في سنغافورة شيء لم يلحظه بصره أو ترقبه عيناه المتيقظتان: بدءا من اختيار النباتات والشتلات لتحويل سنغافورة إلي واحة خضراء غناء، وانتهاء بحثّ الشباب - بشكل سافر وصريح وجريء - على الزواج من فتيات على نفس مستواهم الثقافي).

نحن بحاجة إلى مثل هذه العقليات التي تريد أن تنتشل البلد مما هي عليه اليوم، في السلطتين التشريعية والتنفيذية، وبيد أبناء هذا الوطن تحقيق ذلك - لا من خلال اللامبالاة والبحث عن المصالح الضيقة - بل من خلال اختيار مَن يكون بهذا المستوى، وإلا ليس لأحد الحق في التبرّم من سوء أداء الجهازين. يقول الله سبحانه وتعالى (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (الروم:٤١).

لمـــاذا ألحـــــدت ؟

١٦ ربيع٢ ١٤٣٠ هـ / ١١ إبريل ٢٠٠٩



شـــاب خليجي عرّف نفسه في إحدى منتديات الإنترنت على أنه ملحد، وأخذ يشـــرح بإسهاب قصته التي من خلالها كفر بكل شـــئ.. إلا بالعقل ـ كمـــا يقـــول ـ ، فقد عاش في طفولته التناقض بين معتقده المذهـــبي الـــذي أخـــذه عن أسرته، والمعتقد الذي تطرحه كتـــب التربية الإســـلامية في بلده.. وإذا طرح فكرة أخذها عن المدرسة عنّفه أهله بشدة، وعندما يعـــرف التلاميـــذ والمعلمـــــون عن انتمائـــه المذهبي يواجهونه بالسخرية والنظـــرات المريبة (وكأن الله قد لعنـــني إلى أبد الآبدين لا مفر من هذا الشعور اللعين) هكذا قال.

وأضاف: (بدأ أهلي تعليمي الصلاة في ســـنٍ التاســـعة أو العاشرة تقريباً، وقبلها كانوا يأمروني بها فقط، ولكن بهذه الســـن بدأ تعنيفي وتهديدي وتخويفـــي وترعيـــبي بالنـــار والعذاب كي أصلي، فبدأت مـــن شـــدة الخـــوف أصلي.. وهكذا عشـــت مؤمنـــاً عادياً حتى وصلت المرحلة الجامعية في هذه الفترة انفجر التناقض

داخلي: كيف أصلي وأستمع للغناء؟ كيف أصلى وأشـــاهد الأفلام؟ كيـــف أصلي وأقلد الغـــرب في الملبـــس؟ كيـــف أصلي.. وكيف وكيف؟).

رحلة لاكتشاف الحقيقة:

ثم يشرح هذا الشاب كيف بدأ رحلة البحث عن الحقيقة بالتهام الكتب الدينية التهاماً (وأشك شخصياً في ذلك لأن الأخطاء الكتابيـــة واللغوية والنحويـــة فيمـــا كتـــب من تفاصيل قصتـــه لا تدل على أنه طالع هـــذا الكم الهائل) وكيف غدا أتعس إنسان عرفه التاريخ لأنه شاهد التناقضات في سلوك المتدينين، ولأنه دعا الله فلم يجد اســـتجابة، فأخذ يتســـاءل: (ما هذا التناقض؟! فكرت: هل الله خلق الإنسان ليتعذب ســـواء بالحياة أو بعد الممات؟ ولمـــاذا؟ ولماذا يخلقني بجســـد له احتياجاته ثم يمنع عني هـــذه الاحتياجـــات؟ ما

هذا؟ بدأت أفسر معنى الحياة بنفسي، وبعد أن عجزت وعجز الدين توجهت للفلسفة والتهمت الكتب التهاماً).

وهكذا يبسط القول في ما توصل إليه من خلال الفلسفة، التي حرّكت عقله (الذي كان مجرد علبة صدئة ومجمع نفايات!!) ولكنه لم يجد معنى للحياة.. فألحد وشعر بالحرية المطلقة!!

نموذج متكرر:

هذا نموذج متكرر لبعض الشباب في طريقة التعاطي مع الواقع، وفي نمطية تفكيرهم وتساؤلاتهم حول الدين والخالق والعقاب والثواب، ومن ثم اللجوء إلى الإلحاد أملاً في الخروج من هذه الدوامة.. فهل يشكل الإلحاد ظاهرة بين الشباب الكويتي؟

قد يدعي البعض ذلك مشفعين ادعاءهم بأن كثيراً من هؤلاء الشباب يخشون المجتمع فلا يظهرون حقيقة معتقدهم.. إلا أنه بالعودة إلى التعريف العلمي للظاهرة (كل ضرب من السلوك ثابت أو غير ثابت يعم المجتمع بأسره ويكون ذا وجود مستقل عن الصور التي يتشكل بها في الحالات الفردية) وللإلحاد (إنكار وجود خالق أعظم أو أية قوة إلهية ـ بمفهوم الديانات السائدة ـ لا يمكن إدراكه بحواس الإنسان) يمكن القول بصورة جازمة أن المسألة موجودة ولكنها لا ترقى إلى مستوى الظاهرة.. كما أنها ليست بالأمر الجديد في مجتمعنا، فالمسألة تعود إلى عدة عقود مضت، ولكنها أخذت منحى جديداً مع التطور المعلوماتي.

أسباب الحالة:

١ـ اتساع وسهولة التواصل مع مواقع تعمل على التشكيك في الدين ونشر الإلحاد، الأمر الذي يستدعي المتابعة الدائمة من قبل الأسرة بالحوار المتبادل مع أبنائهم في محاولة لاكتشاف تأثير الإنترنت عليهم من الناحية الفكرية والعقائدية، ومن ثم السعي لحل الإشكالات التي قد يطرحها الأبناء، أو اللجوء لمتخصصين يمكنهم المساهمة في ذلك.

٢ـ الطرح غير العلمي في بعض الخطابات الدينية، فهل يعقل أن يعرض منهج للتربية الإسلامية مرض الصرع كأحد أعراض المس الشيطاني، في الوقت الذي يمكن فيه لأي شاب أن يدخل المواقع العلمية ويكتشف أن المرض له مسبباته المعروفة والتي ترتبط بالدماغ وكيميائيته وما إلى ذلك؟! أو أن يصر بعض المشايخ على تسطيح الأرض وإنكار كرويتها، وتكذيب إمكانية غزو الفضاء... إلخ القائمة!!

إن التعارض بين ما يطرح في الخطاب الديني وبين ما يتوصل إليه العلم على نحو الجزم واليقين يزرع الشك في قلوب الشباب، لاسيما مع تكاسل بعض المشايخ عن المطالعة، واعتمادهم على قراءات قديمة، ومن دون بذل أي مجهود للبحث عن سند علمي أو منطقي لما يطرحون.. علماً بأنه لا يمكن أن يقع

التعارض بين الدين والعلم وبين الدين والعقل.. وما يُتصور أنه تعارض قد يعود إلى كون النص الديني غير ثابت، أو يحتاج إلى إعادة فهم، أو إلى كون المسألة العلمية في حد النظرية ولم تبلغ مرتبة اليقين، أو أن بعضاً من مقدمات الحكم العقلي خاطئة.

٣ـ الانتقام للنفس والتعطش لأي شكل من أشكال الحرية والتمرد على المجتمع أو الواقع الذي يعيشه الشاب نتيجة تجارب مرة في البيئة التي عاش فيها طفولته وشبابه.

٤ـ الميل إلى الانحلال الأخلاقي، فيأتي الإلحاد كمبرر لإراحة النفس من اللوم المستمر الذي يتخوف الشاب أن يعاني منه نتيجة الازدواجية بين التدين وارتكاب المعصية. وقد تكون الحالة معكوسة، فإن الإسراف في المعاصي قد يؤدي إلى فساد العقيدة كما نصت على ذلك بعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

٥ـ الاصطدام مع واقع الجماعات الإسلامية أو الأفراد المتدينين المزدوجي الشخصية أو المتطرفين فكرياً وسلوكياً، أو الذين يفيضون صفة القيمومة والقداسة على ما ليس بقيِّم ولا بمقدس إسلامياً.

٦ـ ردة فعل لأزمات عديدة وحادة في حيات الشاب، لا تنفرج ولا يُستجاب فيها الدعاء.

٧ـ التباهي بالعصرنة.



العلاج:

أهم خطوة نحو معالجة هذه المشكلة هي معالجة أسبابها، وبالتالي هي مسئولية متعددة الأطراف تشترك فيها الأسرة والمؤسسات الدينية والرسمية والإعلامية والتربوية.

عَمَه

٢٣ ربيع١ ٤٣٠ هـ / ١٨ إبريل ٢٠٠٩

يمكن تعريف البصيرة على أنها امتلاك رؤية واضحة وثاقبة يقيّم الإنسان من خلالها الأمور بشكل سليم، ولذا من جملة تعريفاتها في كتاب (لسان العرب) أنها: الفطنة، العبرة، الفهم. ويقابلها (العمَه)، كما أن العمى يقابل البصر.

وتتحقق البصيرة من عدة مصادر من بينها: العقل والعلم وتجارب الحياة وتزكية النفس، وهي من جملة الأمور التي سعى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتحقيقها من خلال التزكية والتعليم والتربية.

قال تعالى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (الجمعة:٢)، ومن امتلك البَصيرة امتلك خيراً كثيراً.

أسباب العمه:

فلنستعرض النصوص التالية للتعرف على بعض أسباب العمه:

١. (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) (الأنعام:١١٠)

٢. (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ) (الجاثية:٢٣)

٣. (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) (الحجر:٧٢)

٤. (ينبغي للعاقل أن يحترس من سكر المال وسكر القدرة وسكر العلم وسكر المدح وسكر الشباب، فإن لكل رياحاً خبيثة تسلب العقل وتستخف الوقار).. الإمام علي عليه السلام، والتعبير بالرياح - في الخبر - كناية عن التأثير.

٥. (سكرُ الغفلة والغرور أبعد إفاقة من سكرِ الخمور) الإمام علي عليه السلام.

٦. (واعلم أن الإعجاب ضد الصواب وآفة اللباب) الإمام علي عليه السلام.

٧. (الغضب ممحقة القلب الحكيم) الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

جمع النصوص:

مما سبق يتضح أن الطغيان وتجاوز الحد في المعصية أو في ظلم الناس أو في الاستكبار على الخلق، واتباع الهوى، وسكرة القدرة والغنى والقوة، ثم الغرور والعجب والغضب كلها تقف وراء حالة العمه التي تصيب البعض. قال المرحوم الشيخ هادي آل كاشف الغطاء مخاطباً حفيده:



كم من فتى أعمى بصيرتَه الهوى
لم يُجْـدِ فيه النصح والتحذير
غرته دنيا لا يدوم نعيمُها
ويُغَـرُّ فيها الجاهل المغرور
لا خير في عيش يعيش به الفتى
كالعبد وهو مقيَّـد مأسور

العمه العالمي:

وقـد يقـــع على الفردِ المصـاب بالعمه ـ شـخصياً ـ الكثـير من آثـار تخبطاته، إلا أن لـك أن تتخيل الآثار المهولـة التي سـتترتب على العالم بأسره إذا أصيبت دولة عظمى ـ كالولايات المتحدة ـ بالعمه.. وهذا ما حصل خلال السـنوات السـبع العجاف مـن عمـر الإدارة الأمريكية السابقة.. سـبع سنوات من الرعـب عاشـها العـالم مع صراع الحضارات والتقسـيم إلى محوريـن وقـرع طبـول الحرب والخسـائر الكبيرة في الأرواح والأموال..

٣ تريليـون دولار (وهـي تكفي كموازنة لدولة أفريقية متوسـطة الحال ولمـدة ألف سـنة!!) أنفقـت على حربي العراق وأفغانستان، فهل كان التخلص من كيان مهترئ في العراق وآخر غر في أفغانستان بحاجـة إلى إنفـاق كل هـذا المبلغ؟! لقد ولّى النظام البعثي إلى الجحيم بلا رجعة، وارتاح العالم من النظـام الطالباني المتخلّـف الذي شـوّه صورة الإسـلام، ولكـن الفاتـورة باهضة التكاليف جداً، وفوق ما تستحقه بكثير.

العمه الاقتصادي:

ولم يختلـف الحـال كثـيراً على المستـــوى الاقتصادي، فمجمـوعة القـرارات الاقتصادية التي اتخذتها تلك الإدارة أدخلت العالم في أزمة ماليـة حـادة انهـارت معها الكثير من الأسـواق والبنى الاقتصادية، وقدّر بنك التنمية الآسيوي أن الخسـائر المالية الحقيقية للعام ٢٠٠٨ بسـبب الأزمة الاقتصادية لامست ٥٠ تريليـون دولار (وهذا الرقم يساوي كل الإنتاج الاقتصادي العالمي السـنوي). ونصيب العرب منها ٢,٥ تريليون.

البنـك الدولـي يتوقع أن

يكون الناتج الصناعي العالمي بحلول منتصف عام ٢٠٠٩ أقل بنسبة ١٥ في المائة عما كان عليه عام ٢٠٠٨.

أما التجارة العالمية فهي على الطريق في عام ٢٠٠٩ نحو تسجيل أكبر تراجع خلال ٨٠ عاماً، مع وقوع أكبر الخسائر في شرق آسيا..

ووزير السياسة المالية والاقتصاد الياباني قال إن الأزمة الاقتصادية في بلاده هي الأسوأ منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

ولذا فإن الإنتخابات الأمريكية الأخيرة لاختيار الرئيس الجديد صوّت فيها العالم بأسره، وليس المواطن الأمريكي فقط، أملاً في وصول إدارة جديدة بعقلية لديها شئ من البصيرة لتلافي بعضاً من آثار تلك السنوات العصيبة.

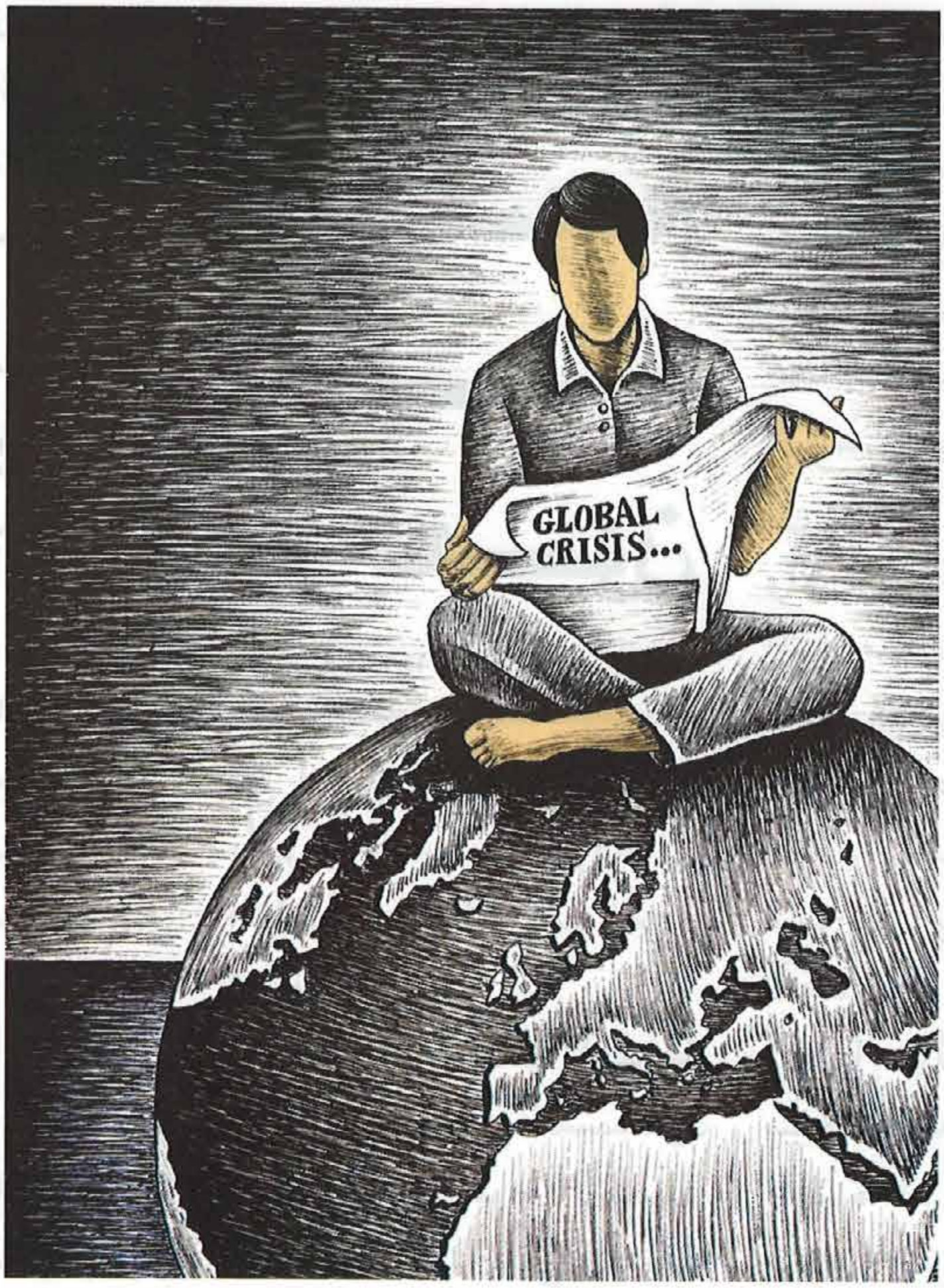

عمه برلماني:

وأما على المستوى المحلي، ونحن نعيش أجواء انتخابات برلمانية جديدة، فقد شهدنا حالات من العمه أصيب بها بعض المرشحين الذين نجحوا ـ لاسيما من نجح منهم لأول مرة ـ فأصيبوا بسكرة الفوز ونشوة القدرة، فسارعوا إلى القفز على الثوابت وإلغاء كثير من مقوّمات تماسك المجتمع ونهضته، في محاولة للاستئثار بالامتيازات لصالح فئات معينة، وهي ممارسات تعكس ضيق الأفق وفقدان البصيرة في العمل السياسي، مما أدخل البلد في صراعات جديدة وأزمات لا تنتهي، ولا تكاد تتخلص من واحدة حتى تقع في أخرى... كفاية.. ارحموا البلد.. واعملوا للتنمية والتطوير، لا للتخلف والتدمير.

عمد يهود المدينة إلى استخدام أساليب عدة أملاً في تحطيم كيان المسلمين، وقد تحدث القرآن الكريم عن بعض منها، فكان فيما ذكره من أساليبهم قوله عزوجل (وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَلا تُؤْمِنُوا إِلا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (آل عمران:٧٢-٧٤).

مكيدة اليهود:

وتتلخص مكيدتهم في إعلان بعض اليهود بأنهم طلاب الحقيقة، وأنهم دخلوا في الإسلام أملاً في تحقيق مبتغاهم. وقد تواصوا فيما بينهم بالحذر من فضح الأسرار وإلا فإن المسلمين سيكتشفون خطتهم، وخوفاً من أن يؤتى أحد من غير بني إسرائيل مثل ما أوتوا من النبوّة والرسالة، بعد أن يطلع (الأغيار) على خصائص الأنبياء وكيفية الاصطفاء الإلهي لهم!! وحذرا من أن يؤدي علم المسلمين بأسرار المعارف اليهودية إلى المحاججة عند الله ضد اليهود في يوم القيامة.

اخدعوهم لعلهم يرجعون

٣٠ ربيع٢ ١٤٣٠ هـ / ٢٥ إبريل ٢٠٠٩

وهكذا بدأت المكيدة، حتى إذا اطمئنّ المسلمون إليهم بدؤوا بطرح الأسئلة والتشكيكات على البسطاء منهم، ومن ثم يعلن هؤلاء اليهود أنهم ما وجدوا في الإسلام ما أرادوا، وأن الإسلام ملئ بالتناقضات، ولا يقترب من الحقيقة الخالصة، وأن دين اليهود أقرب منه إليها.

الفضيحة:

ولكنَّ الله فضحهم، وأمر النبي أن يردّ عليهم بالكلمة الحاسمة التي تضع القضية في نصابها الصحيح: فليس الهدى حالةً طارئة يحصل عليها الإنسان بأيّ ثمن.. ثم إن الفضل بيد الله يُعطيه لمن يريد، والله واسع في عطائه، عليم يعرف ما يصلح الإنسان وما يُفسده، فيوجهه إلى ما فيه الخير له في الدُّنيا والآخرة، انطلاقاً من رحمته التي وسعت كلّ شئ. والله هو الذي يختص برحمته من يشاء بحسب حكمته، ولا يرجع إليكم فيمن يختار للنبوة، أو فيمن يهدي إلى الحق. وليس لأحد غيره أيّ فضل.. فمنه الفضل وإليه يرجع كلّ شيء سبحانه وتعالى عمّا يُشركون.

المكيدة البرلمانية:

وهذا يفرض على المسلمين التحرّك الواعي من أجل رصد النماذج المماثلة سواء في الساحة الدينيّة أوالاجتماعيّة أوالسياسيّة، فقد يُحاول الكثيرون أن يخلقوا الارتباك والتشويش

والبلبلة بالأساليب المماثلة لهذا الأسلوب.

كما يجرنا إلى تساؤل مشروع انطلاقاً من التنبيه القرآني: هل ما وصلت إليه علاقة الناس بالمجلس من برودة وعزوف وتململ ناشئة في جانب منها عن خطة مماثلة؟ قد لا تكون هذه هي كل الحقيقة، ولكن كيف نفسر الإصرار على التهديد والوعيد والقيام بالاستجوابات من بعض قبل السادة النواب وعلى أبسط الأمور والبلد غارق في التخبط، والأولويات مفقودة، والسلطة التنفيذية بعيدة جداً عن مستوى الطموح ومتطلبات المرحلة؟ بل إن سلسلة التهديدات بالاستجواب وفركشة الوزارة القادمة امتدّت إلى السادة المرشحين، بل و قبل فتح باب الترشيح؟

إن الحديث الدائر عن كفر الناس بالمجلس والحياة البرلمانية، والعزوف عن الانتخابات ـ انتخاباً وترشيحاً ـ مؤشر خطير، لاسيما مع تأكيد القيادة العليا في البلد إيمانها بالحياة النيابية وضرورة استمرارها.

كفر بالمشاركة الشعبية:

مقالة على الانترنت

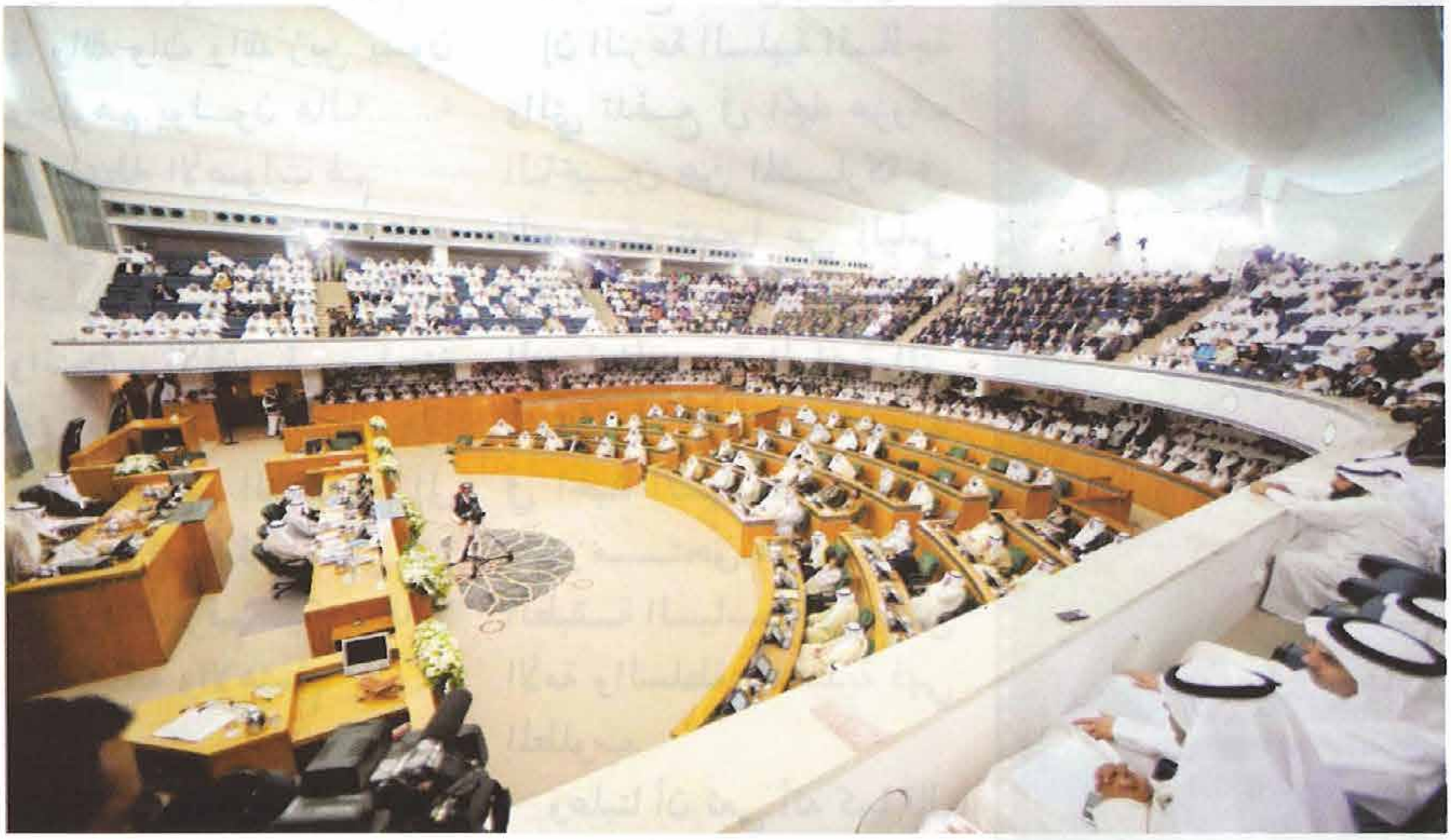

يعنونها صاحبها كالتالي: (العزوف عن الانتخاب بدأ يشق طريقه إلى عقول الناخبين) والتعليقات التي أعقبت المقالة من قبل القراء كانت كالتالي:

١. لا تلومونا يا ناس أننا

سوف نعزف عن المشاركة بالانتخابات القادمة لأننا لا نرى أناساً أكفاء وطنيين.

٢. شكراً لك الأخ الكريم «.....» وأعتقد أنت لا تلوم هالمواطن إللي تعب.

٣. أنا أحيي عزوف الناخبين عن الانتخابات هذه الأيام.

٤. والله والله زين يسون وخلوهم يولون هال».....» من إعطاء الأصوات لهم.

وجاءت خمسة تعليقات أخرى تطالب بالوعي وانتخاب الأفضل، وواحدة تجرّح في كاتب المقال.. فإذا ضممنا هذا النموذج إلى العازفين أصلاً فيما مضى عنِ المشاركة فالرقم سيكون قابلا للملاحظة والاهتمام.

تحليل واستنتاج:

استبيان من إحدى الجهات الأهلية تضمن سؤالاً واحداً هو: (هل ستصوت في انتخابات أمة ٢٠٠٩؟)، فجاءت النتيجة أن ٦٥ ٪ من المشاركين في الاستبيان عازفون عن المشاركة في الانتخابات!! وإن صح ذلك، فلابد من التعامل مع الموقف بنفس المنطق القرآني، أي من خلال بعث الثقة في نفوس المؤمنين بالقضية، والتأكيد على أنَّ هذه الأساليب لا تضرّ أحداً إذا كان على بيّنة من أمره، والتوعية المستدامة لئلا ينخدع الناس بما يثار.

إن النزعة السلبية الساذجة والتي تدفع في اتجاه عزوف الناخبين عن المشاركة في التصويت تعبيراً عن اليأس والإحباط مرفوضة، أما النزعة الموجبة الواعية التي تتمثّل في إحداث تجديد في الحياة السياسية، وإجراء تغيير مستحق على تركيبة الطبقة السياسية في مجلس الأمة والسلطة التنفيذية فهي المطلوب.

وعلينا أن نعي أنه كما قال الله تعالى أن الهدى راسخ في وجدان المؤمنين وعقولهم، وليس حالة عابرة وسطحية، فكذلك المشاركة الشعبية في الكويت حالة راسخة، وهي جزء من هوية الكويتي، وليست حالة طارئة سطحية يمكنهم أن يتنازلوا عنها.

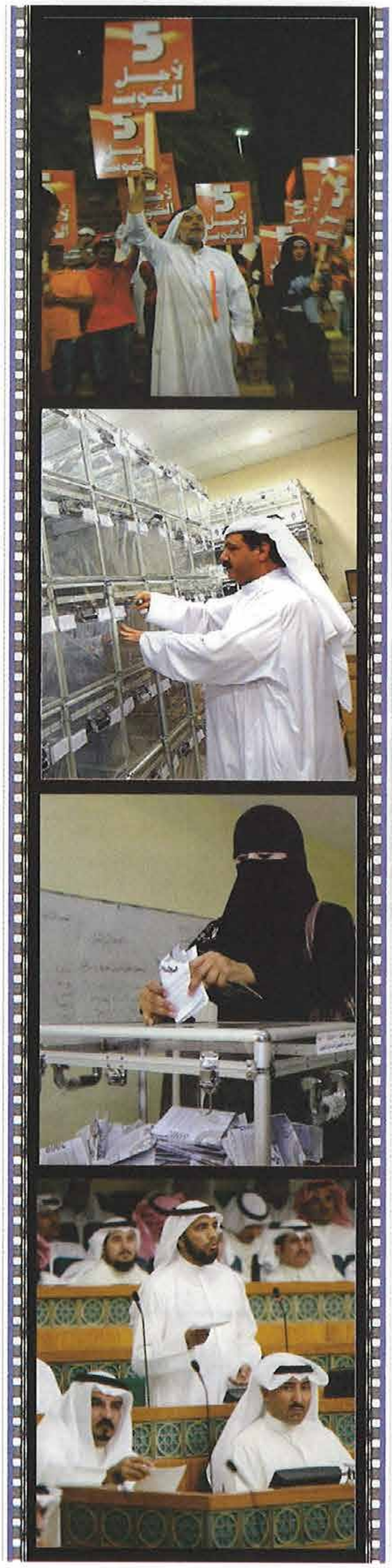

الثقافة الاقتصادية

٧ جمادى١ ١٤٣٠ هـ / ٢ مايو ٢٠٠٩

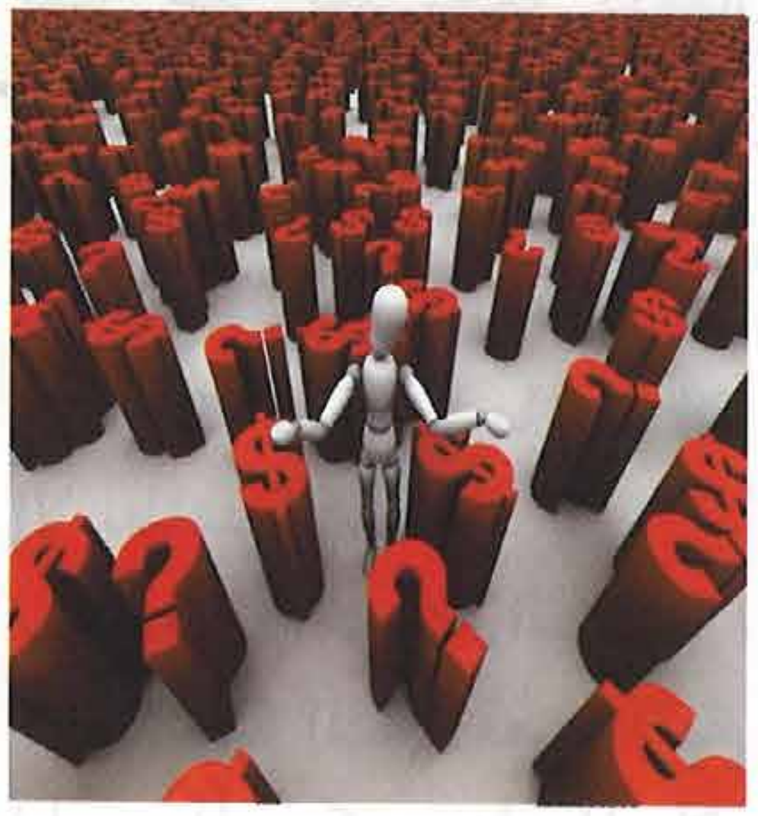

روي أنه مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسعد بن أبي وقاص وهو يتوضأ فقال: ماهذا السرف ياسعد؟ فقال: أفي الوضوء سرف ؟ قال نعم، وإن كنت على نهر جار.

ولربما يريد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كلمته الأخيرة أن يوجهنا إلى ضرورة امتلاك ثقافة اقتصادية تنشأ من تربية هادفة ومقصودة، لئلا تكون ممارساتنا الاقتصادية ـ من قبيل الإنفاق والادخار والإسراف والتقتير ـ عملية ميكانيكية خاضعة لحسابات الثواب والعقاب فقط، وبالتالي تتأثر بمدى تديّن الإنسان، أو إحساسه بالرقابة الإلهية أو الاجتماعية وما إلى ذلك، بل أن تكون تلك الثقافة تلقائية وجدانية ذاتية ونابعة من شخصية الإنسان.

التربية الاقتصادية:

يعرّف الدكتور حسين حسين شحاتة التربية الاقتصادية كالتالي: (تشكيل السلوك الاقتصادي للمسلم المنبثق من تكوينه الشخصي: إيمانياً وخلُقياً ونفسياً وثقافياً وفنياً ، ومن خلال تزويده بالثقافة الفكرية وبالخبرات العملية الاقتصادية وبما يتفق مع مقاصد الشريعة الإسلامية ، لتحقيق الحياة الرغدة الكريمة لتعينه على عمارة الأرض وعبادة الله عز وجل). ولهذه التربية والثقافة الاقتصادية آثار رائعة نلخّص جملة منها:

أولاً ـ إدراك المعادلات الإلهية في الرزق:

فلله سبحانه معادلات خاصة في توزيع الأرزاق بين العباد، ولا تقتصر المسألة فقط على الحسابات المادية التي يُعملها الفرد، فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم (إن الرزق لا يجره حرص حريص، ولا يصرفه كراهية كاره)، وعن الإمام علي عليه السلام (لو جرَت الأرزاق بالألباب والعقول، لم تعش البهائم والحمقى). ومن نماذج هذه المعادلات:

١ـ الإنفاق في سبيل الله لا يُنقص رصيدك: قال تعالى (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) سبأ:٣٩، وعن الإمام علي عليه السلام (استنزلوا الرزق بالصدقة).

٢ـ الصدق في المعاملة يجلب البركة: فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (البيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما).

٣ـ شكر النعم يبارك فيها: قال تعالى (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ

شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) إبراهيم:٧.

٤ـ المال الحرام يمنع الرزق: عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام (كثرة السُّحت يمحق الرزق).

٥ـ صلة الرحم تنمّي الرزق: كتب الإمام علي الرضا، وهو في مدينة مرو بخراسان، لابنه محمد الجواد، وهو في المدينة المنورة (يا أبا جعفر، بلغني أن الموالي إذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير، وإنما ذلك من بخل لهم لئلّا ينال منك أحد خيراً، فأسألك بحقي عليك لا يكن مدخلك ومخرجك إلا من الباب الكبير، وإذا ركبت فليكن معك ذهب وفضة، ثم لا يسألك أحد إلاّ أعطيته. ومن سألك من عمومتك أن تبرّه فلا تعطه أقلّ من خمسين ديناراً، والكثير إليك. ومن سألك من عماتك فلا تعطها أقلّ من خمسة وعشرين ديناراً، والكثير إليك، إني أريد أن يرفعك الله، فأنفِق ولا تخشَ من ذي العرش إقتاراً).

ثانياً ـ التمييز بين المعاملات المشروعة والمحرّمة:

ومن نماذج ذلك قوله سبحانه (وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا) البقرة: من الآية٢٧٥.

ثالثاً ـ التعرف على آداب التعامل الاقتصادي:

من قبيل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (رحم الله عبداً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا قضى، سمحاً إذا اقتضى). توضيح: (قضى أي وفى ما عليه ـ اقتضى أي طلب قضاء حقه).

رابعاً ـ التعامل الأفضل مع المتغيرات الاقتصادية:

وهي السياسة الاقتصادية التي انتهجها النبي يوسف عليه السلام بمراقبة الاستهلاك، قال تعالى على لسانه (تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ) يوسف:٤٧، وعن الإمام علي عليه السلام (ما عال امرؤٌ اقتصد).

خامساً ـ الرضا والقناعة الصادقة:

بما قسمه الله سبحانه له من رزقٍ بعد إعمال الجهد في الكسب والتطوير، مما يُكسب الفرد راحة نفسية إلى أبعد حد، ويجنّبه الوقوع في طرق الكسب غير المشروعة واللاأخلاقية كالاحتكار، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ألا وإنّ الروح الأمين نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحمل أحدكم استبطاء شئ من الرزق أن يطلبه بغير حله، فإنه لا يُدرَك ما عند الله إلا بطاعته).

سادساً ـ تجنب آفة البخل:

خشية الفقر، فعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: (إن للاقتصاد مقدارا، فإن زاد عليه فهو بخل).

سابعاً ـ تجنب الإسراف:

(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) الأعراف: من الآية٣١، ولا يقتصر الأمر على الأكل والشرب، بل يمتد ليشمل كافة المجالات، كما أن الوفرة لا تعني السماح بالإسراف، وما يُقنّن الإنفاق في المرتبة الأولى هو الثقافة التي يحملها الفرد نفسه بعيداً عن حسابات الثواب والعقاب.

ثم ابتسمت فاطمة..

١٤ جمادى١ ١٤٣٠ هـ / ٩ مايو ٢٠٠٩

إلحاحٌ عجيبٌ في عينيّ أم المؤمنين وهي ترقب الموقف.. شغفاً لتكشف سرَّ تلك التمتمات التي تجلّت من الفم الزاكي.. فاختزنتها أذنٌ واعية.. وتحدّرت من مآقيها(١) حبات كأنها الجمان المنضود..

لم تخطئ مشيتها مشية رسول الله.. هكذا كان وصْف أم المؤمنين لها.. وهي ليست المرة الأولى التي تشهد فيها مشية الزهراء.. ولكن لابد أنها لاحظت شيئاً في عينيّ رسول الله وهو يتابع تلك الخطوات.. فارتسمت الصورة في عقلها.. (كأنّ مشيتها مشية رسول الله).. وكأني به صلى الله عليه وآله وسلم يحدِّث نفسه (فداكِ أبوكِ يا أم ريحانتيّ)..

ولم تكن خطواتها ـ فقط ـ كخطوات أبيها.. وهي (أم أبيها) كما كان يحب صلى الله عليه وآله وسلم أن يناديها.. بل كانت أشبه الناس سَمتاً.. ودلاًّ.. وهدياً برسول الله(٢)..



وصْف أم المؤمنين لها.. وهي ليست المرة الأولى التي تشهد فيها مشية الزهراء.. ولكن لابد أنها لاحظت شيئاً في عينيّ رسول الله وهو يتابع تلك الخطوات.. فارتسمت الصورة في عقلها.. (كأنّ مشيتها مشية رسول الله).. وكأني به صلى

وكانت إذا دخلَتْ على رسول الله.. صلى الله عليه وآله وسلم.. قام إليها.. بعظمة شأنه وجليل مقامه.. فقبّلها.. وهو يشم فيها رِوح الجنة ورياحينها.. ولا يرضى لها مجلساً إلا مجلسه.. إعظاماً لشأنها.. وإجلالاً لمقامها.. ولم

يكن ليفعل ذلك مع سواها.. لأن لفاطمة.. في عقل أبيها.. وفي قلبه.. شأناً آخر.. لا يعرف سرّه إلا الله..

ما الذي دعا النبي ليطلب فاطمة في هذا الوقت بالذات؟ وقد أخذ منه المرض كل مأخذ.. والحمّى لا تكاد تفارق جسده الشريف.. وحوله نساؤه.. يخدمنه.. ويعللنه.. فلم يطلب من إحداهن أن تقترب منه ليسارّها بشئ.. ولم يفصح لهن جهاراً عمّا يجيش في مكنون صدره.. ثم إن فاطمة لم تغبِ عنه كثيراً..



فما الأمر الملحّ الذي طلبها لأجله.. ولا يقبل التأجيل؟! انكبّت فاطمة على أبيها.. بعد أن حيّاها وهو ينتزع ابتسامة طالما اعتادت على رؤيتها وهو يحيّيها.. (مرحباً بابنتي).. انكبّت هي عليه.. وقبّلته.. ولم تكن قد عهدت ذلك في لقياه.. فقد كان المرض يغالبه.. ولم يعد قادراً على أن يقوم كما كان يفعل ليحيّي حبيبته.. ويُجلسها مجلسه..

وأقبلت (أم أبيها) بكُلِّها عليه.. وحنانُها يفيض في المكان.. ليبعث في اللقاء دفئاً ترسم معالمه تلك الأنامل النحيفة التي طالما مسحت الدم والتراب عن وجه رسول الله.. في مكة حين كانت ترشقه قريش بأحجار الجحود.. وفي المدينة حين كان يعود أبوها من أرض المعركة منتصراً.. وتلك النظرات الحانية التي طالما ذكّرته بحنان خديجة.. (وأين مثل خديجة؟! صدّقتني حين كذّبني الناس، وأعانتني على ديني ودنياي بمالها). هكذا كان يذكرها صلى الله عليه وآله..

تغيّر وجه الزهراء.. ولفّ الحزنُ قسماته.. وجادت عيناها غيثا منهملا.. وهي تعي ما يقوله أبوها.. لقد كانت كلماته حاسمة.. (كان جبريل يعارضني بالقرآن كل عام مرة.. وإنه عارضني في العام مرّتين.. ولا أراني إلا قد حضر أجلي.. فاتّقي الله واصبري.. فإني نِعم السلف أنا لكِ)..

ساعد الله قلبكِ يا حبيبة المصطفى.. فأيُّ مصاب بعد هذا؟! وكأني بها وهي تستذكر الساعَات الأخيرة لرحيل أمها.. خديجة.. ولم تكن فاطمة إذ ذاك قد تجاوزت الخامسة.. من سنيّ عمرها.. ولكنها كانت تفوق ذوات الخمسين في وفرة عقلها وفي ثقل إحساسها بمسئولياتها.. ولذا كانت (أم أبيها)..

حينئذ.. كان المصطفى يلفّها بعظيم رأفته ورحمته.. فيملأ فراغ أمها الراحلة عن هذه الدنيا الفانية.. أما اليوم.. فمن ذا يمكنه أن يسد مسدّه؟ وأسلمَت الزهراء نفسها للبكاء.. (وا كرباه.. وا كرب أباه)..

وما لبث النبي أن جذبها إليه ليسارّها من جديد.. (إنك أول أهلي لحوقاً بي.. ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين؟).. فأخذت بعفوية تُكفكف دموعها وهي تبتسم.. بعد ذلك الحزن الشديد.. ويتهلل وجهها فرحاً لعظيم ما سارّها به.. فإنَّ جوار أبيها أحب إليها من هذه الدنيا وما فيها.. وهل تعلّقت فاطمة ـ يوماً ـ بزخرف الدنيا وزبرجها؟!

نهضت بَضعة أبيها تستشرف ما تخبؤه لها الأيام القادمة التي ستكون حتماً مليئةً بالأحداث.. وأحزانها أكثر من أفراحها.. وما لبثت أم المؤمنين أن نهضت مسرعةً لنهوضها.. ثم بادرت بسؤالها.. والعجب قد أخذ منها مأخذه.. (ما هذا الذي سارّك به رسول الله فبكيتِ، ثم سارَّك فضحكتِ؟! أخصَّكِ رسول الله بحديثه دوننا ثم تبكين؟!)..

حقاً إنه أمر عجيب.. إلا أنه سرٌّ خصَّه بها أبوها.. وعليها أن تكتمه.. ولا تتحدث به ما دام حياً.. إنه يكشف لها هي وحدها شيئاً من أسرار القَدَر.. (ما كنتُ لأفشي على رسول الله سرَّه).. بهذا الاختصار أجابت الزهراء.. وتابعت مسيرها نحو ما رسمه القدَر لقادِم أيامها.. حتى إذا حلَّ أمرُ الله.. واختار نبيَّه لجوَاره.. عادت أم المؤمنين لتسأل من جديد.. (أرأيتِ حين أكببتِ على النبي فرفعتِ رأسكِ.. فبكيتِ.. ثم أكببتِ عليه.. فرفعتِ رأسكِ فضحكتِ.. ما حملكِ على ذلك؟!)..

أمّا الآن فنعم.. ولو أفشت السر من قبل لكانت بذرةٌ(٣).. وأخذت الزهراء عليها السلام تحكي لأم المؤمنين سر تلك الدموع.. ثم سر تلك الابتسامة.. التي ما عادت تعرف إلى ثغرها طريقاً مذ أن ارتحل عنها أبوها.. وتركها تنتظر أيام اللقاء من جديد.. وهي قلائل.. في مقعد صدق عند مليك مقتدر(٤).

---

(١) المآقي والآماق: أطراف العين.

(٢) السمت والدل والهدي: الهيئة والطريقة وحسن الحال.

(٣) بذرة: ورد في الحديث أن الزهراء بررت امتناعها عن البوح بالسر لئلا تكون بذرة، والبذرة هي التي تفضي بالسر ولا تستطيع كتمانه.

(٤) توفيت فاطمة الزهراء عليه السلام بعد أبيها بخمسة وسبعين أو خمسة وتسعين يوماً أو ستة أشهر.

تتوزع الولاءات في يوم الانتخابات وفق عناوين عديدة، وكثير منها (معلَّب) وفق معايير ستعود بمجلس الأمة إلى سيرته الأولى، (ولا طبنا ولا غدا الشر)، ولو أن الناخب يعي تبعاتِ صوته الذي يُدلي به في لحظة مُستصغَرة من الزمن، لشعرِ بثقل تلك اللحظة، ولفكّر مِن قبل وتدبَّر فيمن يستحق أن يضع ثقته فيه، ويسلم أزمَّة البلد بيده.

الناخب المعلَّب

٢١ جمادى١ ١٤٣٠ هـ / ١٦ مايو ٢٠٠٩

القرآن والاصطفاف الممنوع:

يقول الله سبحانه وتعالى في توضيح أسس الولاء والبراء وبيان المقبول منها وما هو مرفوض (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) المجادلة:٢٢، بالطبع لا تصل الحالة فيما نحن فيه إلى الكفر والقتال والأجواء العنيفة التي كانت تحيط بنزول الآية الشريفة، ولكن المراد هو أن أساس الاصطفاف واتخاذ الموقف والموالاة لا يعتمد على الانتماء الأسري ولا القبلي ولا العرقي ولا يعود إلى المزاج والعاطفة المحضة، ولا على أساس الصداقة والمحسوبية الاجتماعية (وطلبتك عطيتك)، بل تقوم على أساس مَن هو الأجدر بهذا الاصطفاف، ومن هو الأصلح لينهض بمسئولية تمثيل المجتمع في المجلس، لاسيما في ظروف الإرتباك السياسي التي تمر بها البلد.

أنصار النبي يسترخصون العناوين:

وإذا كان البعض يستصعب تجاوز تلك العناوين، فعليه أن يستذكر الحالة التي عاشها أنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم يواجهون آباءهم وأبناءهم وإخوانهم وعشيرتهم في ساحات المعركة، فيَقتلون ويُقتلون، وقد استرخصوا كل شئ في طريق نصرة المبدأ وإحقاق الحق، ومن خلال ثباتهم هذا (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ).

الإمام علي يصف الوضع:

وللإمام علي عليه السلام كلمة يصف فيها ذلك الوضع الصعب، والإصرار الكبير الذي تحققت من خلاله الانتصارات، قال: (وَ لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَ أَبْنَاءَنَا وَ إِخْوَانَنَا وَ أَعْمَامَنَا مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلا إِيمَاناً وَ تَسْلِيماً وَ مُضِيّاً عَلَى اللَّقْمِ وَ صَبْراً عَلَى مَضَضِ

الْأَلَمَ وَ جِدّاً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ وَ لَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَ الْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا وَ مَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا فَلَمَّا رَأَى اللهُ

أساس الاصطفاف والموالاة لا يعتمد على الانتماء الأسري ولا القبلي ولا العرقي ولا يعود إلى العاطفةالمحضة

نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ وَ لَا اخْضَرَّ لِلْإِيمَانِ عُودٌ وَ أُمُ اللهِ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَماً وَ لَتُتْبِعُنَّهَا نَدَماً). (اللقم: الجادة الواضحة).

وخلاصة الكلام أن في هذا اليوم يمتاز ـ حقيقة ـ الناخب (المعلّب) عن الناخب الحر الذي يختار الأصلح لحاضر البلد ومستقبله، ولخيره وخير الأجيال القادمة.



الناخب الحر هو الذي يختار الأصلح لحاضر البلد ومستقبله، ولخيره وخير الأجيال القادمة



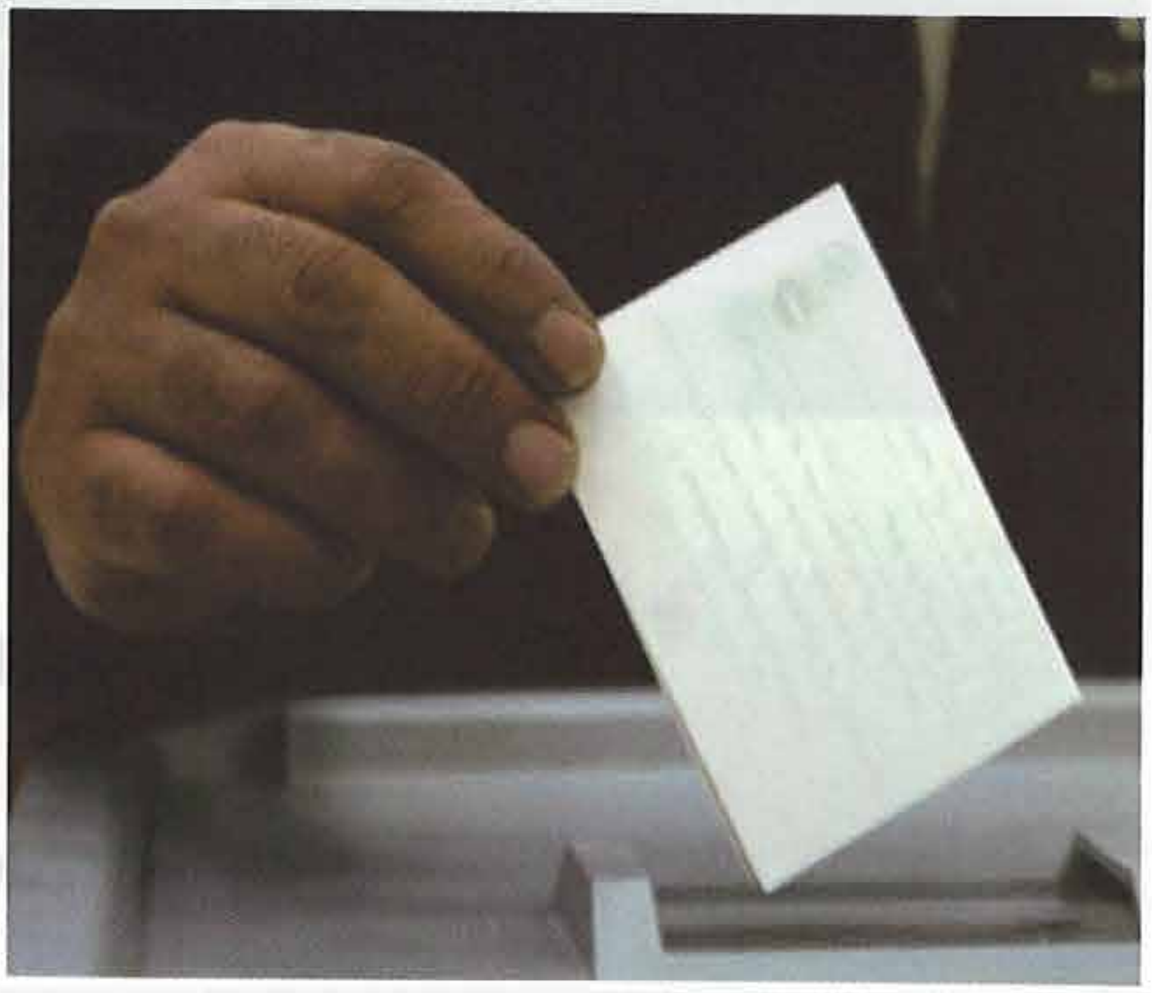

صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ وَ أَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِياً جِرَانَهُ وَ مُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ) ثم يصف حالة التخلي عن المبدأ وغلبة العاطفة والعناوين الاعتبارية على الحق: (وَ لَعَمْرِي لَوْ كُنَّا



إذا كان البعض يستصعب تجاوز تلك العناوين، فعليه أن يستذكر الحالة التي عاشها أنصار رسول الله



البـــــــداءِ

٢٨ جمادى١ ١٤٣٠ هـ / ٢٣ مايو ٢٠٠٩

الحوار حول بعض المفردات العقيدية بين أتباع المذاهب الإسلامية من شأنه أن يزيل الغموض واللّبس الذي يحيط بها، والذي يسبِّب ـ عادةً ـ نفوراً واستهجاناً متبادلاً، على خلاف ما ذهب إليه إمام الحرم المكي الشيخ الكلباني مؤخراً حين رفض في مقابلته على شاشة البي بي سي إقامة الحوار مع الشيعة معتبراً أن لا جدوى من ذلك، لأن الشيعي لن يصبح سنياً، ولا السني سيغدو شيعياً.. في حين أن دعاة الحوار بين المسلمين لا يقصدون ذلك، بل يطمحون لتقريب وجهات النظر وتخفيف حدة التوتر والاطلاع على خصوصيات المذاهب عن قرب لرفع اللبس وتفويت الفرصة على التكفيريين.

الخلاف حول البداء:

ومن القضايا التي شغلت المسلمين أخذاً ورداً عقيدة (البداء) التي يقول بها المسلمون الشيعة، والتي تتلخص بكل بساطة في قوله تعالى (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) الرعد:٣٩، ولا تخرج عن مفهوم الآية بتاتاً. ولذا فهي من صلب العقيدة الإسلامية لأنها مستقاة من النص القرآني الذي لا يأتيه الباطل، وهي ثابتة في سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل وراسخة في وجدان كل مسلم، وعليها يبنون بعض تصرفاتهم، ومن خلالها يأملون في تغيير واقعهم.

دلالة الآية:

قال القرطبي في تفسيره معنى الآية: (أي يمحو من ذلك الكتاب ما يشاء أن يوقعه بأهله ويأتي به. ويثبت ما يشاء، أي يؤخره إلى وقته.. وقال ابن عمر: [سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا السعادة والشقاوة والموت].. وعنده أم الكتاب الذي لا يتغير منه شئ... قلت: مثل هذا لا يدرك بالرأي والاجتهاد، وإنما يؤخذ توقيفاً، فإن صح فالقول به يجب ويوقف عنده، وإلا فتكون الآية عامة في جميع الأشياء، وهو الأظهر والله أعلم... وعن أبي عثمان النهدي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول: [اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبتني في أهل الشقاوة والذنب فامحني وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب]... وقال كعب لعمر بن الخطاب: [لولا آية في كتاب الله لأنبأتك بما هو كائن إلى يوم القيامة: يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب].. وقد تقدم في الصحيحين عن أبي هريرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: [مَن سره أن يبسط له رزقه وينسأ له أثره فليصِل رحِمه]).

وقال الشيخ مكارم الشيرازي في تفسيره الأمثل في معنى الآية: (يقول علماء الشيعة: إننا حينما ننسب البداء إلى الله جل وعلا فإنه يكون بمعنى «الإبداء» بمعنى إظهارٍ الشئ الذي لم يكن ظاهراً لنا من قبل ولم يكن متوقعاً. وإن ما يُنسب إلى الشيعة بأنهم يعتقدون أن الله يندم على عمله أحياناً، أو يُخبر عن شئ لم يعلمه سابقاً، فهذه من أكبر التهم).

البداء في سنة النبي:

روى الإمام البخاري في صحيحه: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من سره ان يبسط له رزقه أو ينسأ له في اثره فليصل رحمه). وروى الإمام أحمد في مسنده: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الرجل ليُحرَم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يردّ القدَر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البِر). وروى السيوطي في الإتقان عن ابن مردويه

عن علي أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال: (لأقرنّ عينك بتفسيرها، ولأقرنّ عين أمتي من بعدي بتفسيرها، الصدقة على وجهها، وبِر الوالدين واصطناع المعروف تحوّل الشقاء سعادة وتزيد في العمر).

علم الله والبداء في أحاديث أهل البيت:

روى الشيخ الكليني في الكافي، عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام: (لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء). وروى المجلسي في بحار الأنوار عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في تفسير قوله (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ): (فكَل أمر يريده الله، فهو في علمه قبل أن يصنعه، ليس شيء يبدو له إلاّ وقد كان في علمه، إنّ الله لا يبدو له من جهل. وقال: من زعم أنّ الله عزّوجلّ يبدو له من شيء لم يعلمه أمس، فابرأوا منه).

الاختلاف حول المصطلح:

من خلال ما سبق يتبين أن الاعتقاد بمضمون البداء متفق عليه بين المسلمين، وأن المشكلة في المصطلح ذاته، حيث يوهم البعض بخلاف معناه المراد، علماً بأن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هو أول من عبّر عن الفكرة بنفس المصطلح، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن النبي: (إنّ ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى، بدا لله أن يبتليهم...). وإذا كانت في كتب المسلمين الشيعة أحاديث قد يُفهم منها خلاف ذلك، فهي مرفوضة، لأن القاعدة عندهم ما جاء في حديث الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: (إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فردّوه)، ولا يأخذ الشيعة بكل ما جاء في كتبهم، فقد كثر الكذابة عليهم كما كثروا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفق ما روي عنهم.

حادثة طريفة:

كتب الشيخ جعفر السبحاني: (سألني أحد علماء أهل السنّة عن حقيقة البداء، فأجبته بإجمال.. فتعجّب عن اتقان معناه، غير أنّه زعم أنّ ما ذكرته نظرية شخصية لا صلة لها بنظرية ـ الشيعة ـ الإمامية في البداء، فطلب منّي كتاباً لقدماء علماء الشيعة، فدفعت إليه ـ كتاب ـ أوائل المقالات، و ـ كتاب ـ شرح عقائد الصدوق لشيخ الأمّة محمّد بن النعمان المفيد (٣٣٦ ـ ٤١٣) فقرأهما بدقة، وجاء بالكتاب بعد أيام وقال: لو كان معنى البداء هو الّذي يذكره صاحب الكتاب فهو من صميم عقيدة أهل السنّة ولا يخالفون الشيعة في هذا المبدأ أبداً).

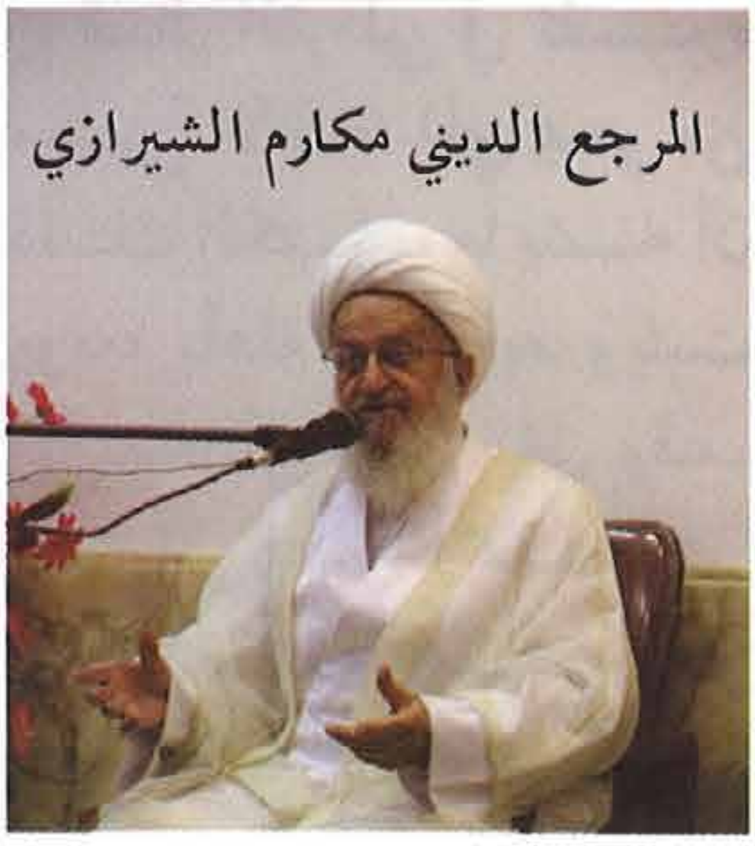
المرجع الديني مكارم الشيرازي

(... ترجع معرفتي بشـــيخ الأزهر المرحوم الشيخ محمود شلتوت إلى سنة ٤٩...) بهذه الكلمات افتتح الشـــيخ محمد جواد مغنيّة رحمـــه الله (ت١٤٠٠ هـ/١٩٧٩م) مقالاً حول لقائه بشيخ الأزهر أثناء سفره إلى القاهرة عام ١٣٨٣ هـ/١٩٦٣م.

صـــواريخ الشيـــخ شلتـــوت

٦ جمادى٢ ١٤٣٠ هـ / ٣٠ مايو ٢٠٠٩

وكلاهمـــا كانا من دعـــاة الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب والمتحمســـين في هذا الاتجاه والعاملين لتحقيقه، لا على طريقة الإخوة القائمين على (مبرة الآل والأصحاب) الذيـــن دأبـــوا علـــى تخطئة إخوانهم المســـلمين الشيعة على الـــدوام، بعيداً عن عقد اللقـــــاءات الحـــــوارية المثمـرة بـــين العلماء من المدرستين، وبحْث القضـايا المختلفـة بطريقة علميـة لتقريب وجهات النظـر، وتقديـــم مشـــــروع عملـــي وحقيـقي يعمل على رأب ما يتصـــدع في العلاقـــات بسـبب الإثارات من الجانبـــين، وبسبب إفرازات الساحة السياسية والانتخابيـــة، والأيـــادي الـــتي تعمـــل في الخفـــاء لإذكاء الخلافـــات للتكسب من ورائهـــا، ولو على حساب مصلحة الوطن.. بـــل كانت جهود الشـــيخين وإخوانهم العلماء رحمهم الله ـ آنـــذاك ـ قائمة على احترام الآخـــر ومتبنياتـــه، والتحاور معـــه بقلوب مخلصـــة ونيات صادقة، وبعيداً عن الحسابات السياســـية والمصـــالح الفئوية والنظرة الضيقة.

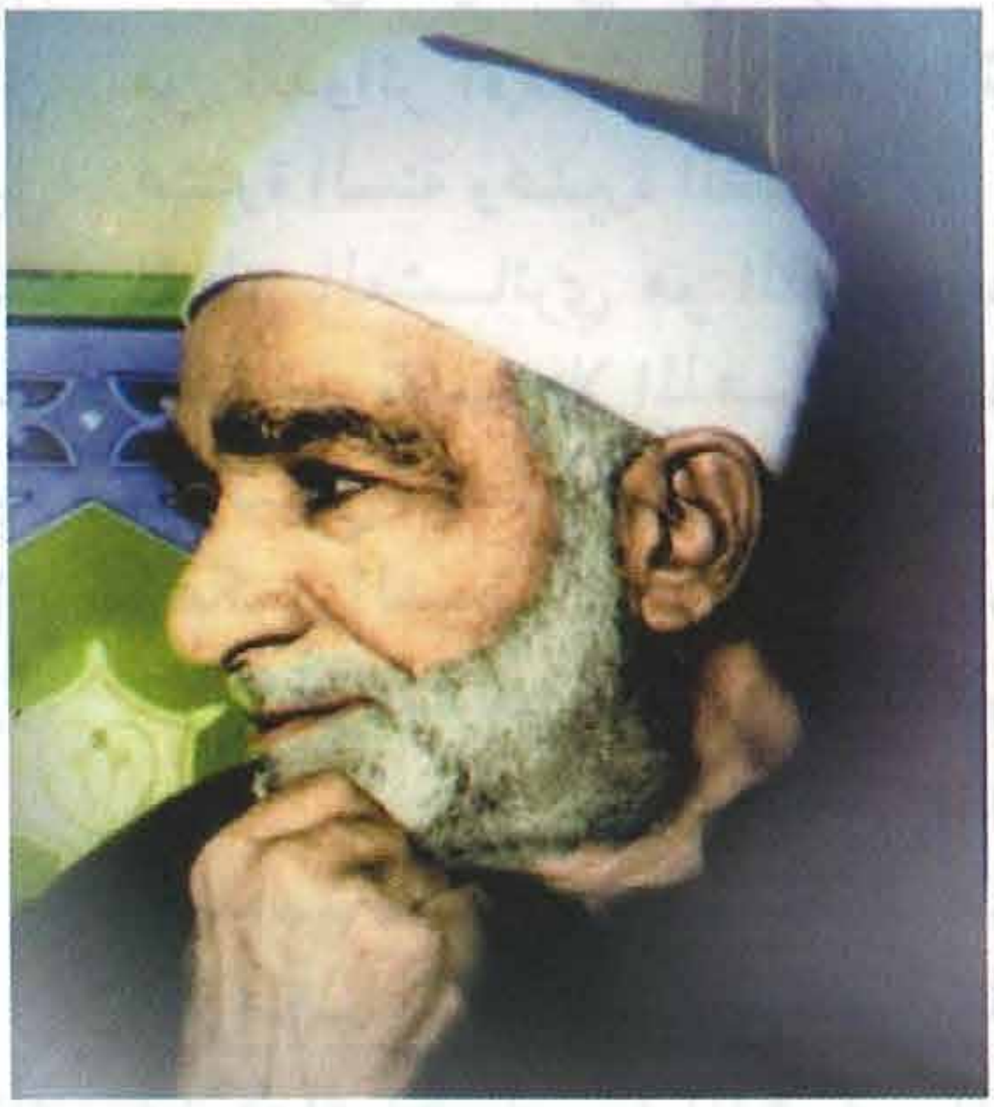

قصة شراب الليمون:

وفي ما كتبه المرحوم الشيخ مغنيـــة حـــول ذلـــك اللقاء: (اجتمعت بـــه في داره، فأهلّ ورحّـــب، واســـتقبلني أفضل اســـتقبال، وحـــين قُـــدِّم لنا شـــراب الليمـــون، أبى إلا أن نشـــترك في كأس واحـــد، فـــكان يشـــرب قليـــلاً، ويناولني الكأس، فأشرب من سؤره ـ أي ما تبقى من شُـــربه ـ وجرى بيننـــا حديـــث الشـــيعة والتشـــيـــع، فأثنـــى وأطنـــب، وقال في ما قال: إن الشـــيعة هـــم الذين أسســـوا الأزهـــر، وبقي أمداً غير قصـــير تُدرّس فيـــه علومهـــم ومذهبهم، ثم أعرض القائمـــون عليه عن هذا المذهب، فحُرموا من نوره الساطع وفوائده الجمة).

وخاطبه كاتب المقال رحمه الله: (إن مكانتكم عند علماء الشيعة كبيرة وسامية، وقد تظنون أنتم أو يظن غيركم أن السبب هو فتواكم بجواز التعبد بمذهب التشيع... أجل إن فتواكم هذه تُنبئ عن الجرأة وعدم المبالاة بلوم اللائمين في الحق والعدل، إن علماء الشيعة يحترمونكم لخدماتكم الدينية ونصحكم للإسلام، وإنهم مع كل من يناصر الدين وينصح له كائناً من كان... يقولون إن لدى الغرب صواريخ وقنابل ذرية، وما دروا أن لدينا نحن أهل الحق والإسلام قنابل وصواريخ أعظم أثراً وأشد خطراً على الباطل، ولكنها تحتاج إلى خبراء فنيين كالشيخ شلتوت، تماماً كما يحتاج إطلاق الصواريخ وإلقاء القنابل إلى أهل الاختصاص).

المشكلة النفسية:

إن بعضاً من مشكلة المسلمين في ما اختلفوا فيه في شؤون العقيدة والفقه لا يعود إلى أساس علمي بل نفسي، ولذا فإنه إذا اقترب أحدهم فاكتشف إمكانية صواب فكر الآخر، حاول أن يلف ويدور ويتكلّف تهرّباً من لوازم الاعتراف بالخطأ وإضافة (نقطة) إلى رصيد مَن يختلف معه! ما يجعله يقف عند مواقعه من دون أن يتحرك خطوة واحدة باتجاه الآخر، وليبقى الرفض المتبادل هو سيد الموقف. وبتعبير المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله حفظه الله: (نحن نتحرك بروح عشائرية في ما نتفق عليه في كل دائرة من الدوائر الإسلامية، هناك عشيرة السنة وعشيرة الشيعة، المنطق العشائري هو الذي يفرض نفسه لا المذهب الفكري السني أو المذهب الفكري الشيعي، في ما يعيشه الوجدان الشيعي أو السني).

حساسية مفرطة:

وهكذا يتحرك كل طرف من موقع الحساسية المذهبية التي لا تطيق النظر إلى وجهة النظر الأخرى في المذهب الآخر بموضوعية، بسبب التأثر بالرواسب التي انعكست على الطريقة في إثارة المسائل العلمية.. والأنكى في الأمر أن القضية لا تنحصر في عامة الناس الذين يتحركون بمشاعرهم لا بأفكارهم وعقولهم، بل تمتد لتشمل العلماء والباحثين والمفكرين الذين يفترض أن تكون المسألة لديهم مسألة مواجهة الفكر بفكر آخر، لا مواجهة الانفعال بانفعال، لأن العلماء لا ينفعلون.. بل يفكرون.

التخطيط المناسب:

وإذا استطاع العلماء أن يحصلوا على قاعدة فكرية تتقارب فيها الآراء، فإننا نستطيع أن نخطط لأوضاع شعبية عامة تتقارب فيها المواقف، باعتبار أن العلماء - في كثير من الأحايين - هم الذين يحرّكون المسائل الخلافية في القضايا المذهبية لدى عامة الناس... قال تعالى (وَقُل لِعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُم إِنَّ الشَّيطَان كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً) الإسراء/٥٣.

كتبت في الأسبوع الماضي عن دور العامل النفسي في وقوع الاختلاف بين علماء المذاهب الإسلامية حين تناولهم القضايا الخلافية بعيداً عن الموضوعية العلمية التي يستدعيها البحث المتجرد عن العاطفة، بل قد يدفعهم ذلك إلى اللجوء لطرح القضايا بانفعال مشحون بكثير من التهم والتخوين والتكفير والتشكيك في النيات والكلمات العنيفة، بل وحتى السباب «العلمي».. ومن الواضح أن لا مجال لانفتاح الطرف الآخر في مثل هذه الأجواء، بل وقد يلجأ إلى نفس الأسلوب أو أعنف، إلا أن تحجزه عن ذلك تقوى، أو يردّه عنه كريمُ خلُق. وهذا التشنج ينسحب أيضاً على الاختلافات التي تقع في دائرة أتباع المذهب الواحد وعلمائهم، ولذلك شواهد عديدة ومريرة عبر التاريخ البعيد والقريب.

التعالي والتكبر:

وهذا عامل آخر يخلق أجواء اللاتفاهم بين المسلمين، فعندما يعتبر الفرد (أو الجماعة) أنه فوق مستوى النقد، ويضفي على نفسه صفة العصمة الإلهية، ويعتبر نفسه مالكاً للحقيقة الكاملة، فإنه لن يتحمل أن يدخل في أجواء الحوار الهادف، لأن على الآخرين ـ دائماً ـ أن يأخذوا عنه، فبأي يحق يجرؤ أحدهم على أن يسائله في قضية، أو يشكك في شئ من متبنياته؟! والحال أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حرص على أن يتواضع للآخرين في أرائهم ونقدهم وأسئلتهم، وهو المسدّد من قبل الله سبحانه (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحَى) النجم:٣-٤.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي ولا التماس إعظام لنفسي، فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يُعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه. فلا تكفّوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني).

والغريب أن البعض يعيش هذه الحالة مع نفسه أيضاً، فالرأي الذي يتبناه لا يتنازل عنه وإن تبيّن له ـ في خلوة تفكير ـ أنه مخطئ، أو لعل

يقول: لا مساس

١٣ جمادى٢ ١٤٣٠ هـ / ٦ يونيو ٢٠٠٩

بعض المتغيرات الزمانية أو المكانية أو الظرفية توجب عليه إعادة النظر، فالذات عنده انتفخت حتى أعشت عينيه وأغلقت عليه منافذ التفكير!!

استثقال الحق:

كما يستثقل البعض إعادة النظر في متبنياته، لأنها بالنسبة إليه من البديهيات والضروريات التي يجب أن لا تُمس، فكيف يمكن لمثله أن يُقبل على الحوار، ويتقبّل النقد برحابة صدر، بل ويأخذ بالحق وإن كان عند الآخر..

وبالطبع فإننا لا نقصد من إعادة النظر حتمية التغيير، بل نعني أن يكون الدليل والحجة بوصلة لتحركاته وتحديد اتجاهاته.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (فإياكم والتلون في دين الله، فإن جماعة في ما تكرهون من الحق خير من فرقة في ما تحبون من الباطل. وإن الله سبحانه لم يعطِ أحداً بفرقة خيراً، ممن مضى ولا ممن بقي).

بديهيات مفتعَلة:

ثم إن كثيراً من المفردات التي هي بديهية وواضحة عند البعض، هي غامضة ومحل تساؤل وشك عند الآخرين، لأنها في واقع أمرها قضايا فرعية في العقيدة والشريعة والتاريخ، لم ينص القرآن عليها، أو ليست من محكماته بل متشابهه الذي يحتمل أكثر من معنى، كما لم تثبت نصوصها عن لسان النبي، بل أثيرت في مرحلة لاحقة من تاريخ الإسلام، لتتحول ـ في قناعة البعض ـ إلى أصولٍ ترسم حدود من يدخل في الإسلام ومن يخرج منه، بينما لا تتعدى أن تكون قضايا فرعية، وقد تكون خاضعة لاجتهادات تخطئ وتصيب. (أمثلة: رؤية الله بالعين ـ العصمة في معناها الشامل ـ عينية صفات الله ـ التوسل بالصالحين).

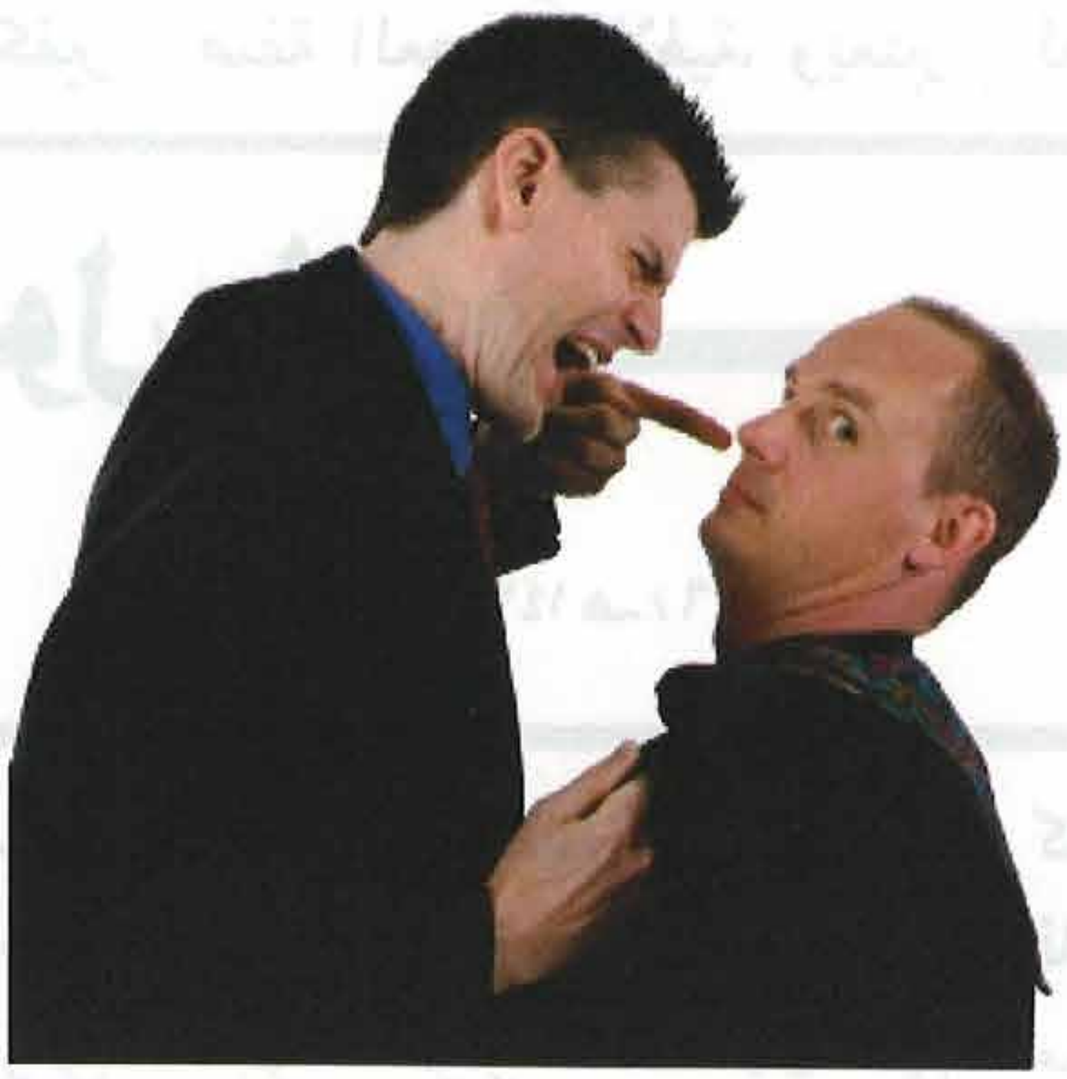

إن التصادم والصراع هو المصير المحتوم لكثير من حالات الاختلاف الفكري ما لم ننجح في مراعاة أسس الاختلاف وقواعده وآدابه، ومادامت الذاتية والسطحية والأحكام المسبقة والتعصب وضيق الأفق والشك في النوايا هي سيدة الموقف، وما دمنا قد انتزعنا الرحمة من أجواء العلاقات الإسلامية ـ الإسلامية، والحال أن الله جل وعز يقول: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُم)الفتح:٢٩.

التأثير السياسي على الإصلاح الديني

٢٠ جمادى٢ ١٤٣٠ هـ / ١٣ يونيو ٢٠٠٩

بعض دعوات الإصلاح الديني تكون نابعة من الرغبة في الإصلاح السياسي، وهذا ما يجعل العملية الأولى بعيدة عن التجرد العلمي، وخاضعة لضغوطات المتغيرات السياسية ومعطيات ساحتها، مما قد يفقدها قيمتها العلمية، لأنها معرّضة أن تصل إلى نتائج خاطئة، إما عن قصد، خدمةً للهدف الأساس، وهو الإصلاح السياسي، أو الوقوع ـ دون وعي وإرادة ـ تحت ضغط المؤثر السياسي.



الإصلاح مطلب ملحّ:

ولا يفهم القارئ مما سبق أنني لست مع العملية الإصلاحية، ومنه الإصلاح الديني، بل أزعم أنني من دعاته ـ بلا إفراط ـ لأن الإصلاح من عناوين حركة الأنبياء والأئمة عليهم السلام، ويُفترض على علماء الدين والمبلغين أن ينهضوا للإصلاح وإن وجدوا الخلل في عقر دارهم. قال تعالى على لسان نبيه شعيب عليه السلام: (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) هود:٨٨. وقال سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام: (وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمد صلى الله عليه وآله).

وعندما أتحدث عن الإصلاح الديني لا أعني به رفض المسلمات والتنازل عن المبادئ الثابتة بالحجة البالغة، بل أعني إصلاح البيت الديني، وتعديل الميل الحاصل بفعل البعض وباسم الدين والمقدّس الديني، وتصحيح الفهم (البشري) للدين، إذا ما قام الدليل على وجود خطأ فيه أو خلل.

الطريق شائكة:

ولا يظن أحد أن طريق الإصلاح سالكة ومفروشة بالورود، اغتراراً بما يُنشر في الكتب وفي الصحافة وعبر وسائل الإعلام من تعظيم وتفخيم للشخصيات الإصلاحية عبر التاريخ، فمأساة أمتنا أنها تبقى تحارب المصلحين ما داموا على قيد الحياة، فإذا ماتوا بكت عليهم وأقامت لهم الصروح

العظيمة، وكأنها لا تكتشف قيمة المصلحين إلا بعد أن (ترتاح) الأمة من إصلاحهم ودعواتهم حين تضم أضلاعُهم التراب!!

الشهيد الصدر:

وفي هذا الطريق عانى الشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمه الله فكتب حول مفردة منها، وتمثلت في محاربة البعض لمجلة (الأضواء) التي كان يصدرها في النجف الأشرف: (حملة هائلة على ما أسمع يشنّها جملة من الطلبة ومن يُسمى بأهل العلم أو يحسب عليهم، وهي حملة مخيفة وقد أدت على ما قيل إلى تشويه سمعة الاضواء في نظر بعض أكابر الحوزة، حتّى كان جملة ممن يسميهم المجتمع الآخوندي، مقدسين أو وجهاء لايتورعون عن إلصاق التهم بالأضواء وكل من يكتب فيها).

معاناة الإمام الخميني:

وذات الأمر تكرر مع الإمام الخميني رحمه الله حيث كتب: (وليس قليلاً خطر المتحجّرين والمزيفين الحمقى.. وإن الطعنة التي تلقاها أبوكم العجوز من هؤلاء المتحجرين لم يتلق مثلها من ضغط وقساوة الآخرين..

وعندما قام شعار فصل الدين عن السياسة وأصبح الفقه في منطق الجهلة غارقاً في الأحكام الفردية والعبادية ولم يكن يسمح للفقيه أن يخرج عن هذا الإطار ويتدخل في السياسة وشؤون الحكم، عند ذاك أصبحت حماقة العالم في طريقة معاشرة الناس فضَيلة. وعلى زعم بعضهم يصبح العلماء موضع احترام وتكريم الناس حين تأخذ الحماقة وجوده. بينما يعتبرون العالم الفاعل النشط المهتمّ بالسياسة إنساناً مدسوساً..



أصبح تعلم اللغات الأجنبية كفراً وتعلم الفلسفة والعرفان ذنباً وشركاً. وعندما شرب ابني الصغير المرحوم مصطفى الماء من اناء في المدرسة الفيضية، أخذوا ذلك الإناء وطهروه بالماء لأنني كنت أدرّس الفلسفة.

ولايخفى أنه لو استمرت هذه الأوضاع لأصبح وضع العلماء والحوزات كوضع كنائس القرون الوسطى).

التأثير السياسي:

عــودة إلى أصل الموضوع.. فالإصلاحان الديني والسياسي مطلوبــان، إلا أنــه لابد من التجرد عنــد معالجتهما، وهو مــا لم ينجح فيــه بعض دعاة الإصلاح السياســي، فوقعوا في المحظــور. ومثــال ذلك ما نجده عند بعض دعاة الإصلاح السياســي في إيران، من قبيل الدكتور عبدالكريم سروش، فعندما أرادوا التعريض بمبدأ (ولايــة الفقيه) انجــروا إلى أصل مبدأ ولاية الأئمة عليهم الســلام، وبما أن دعــاة ولاية الفقيه يســتندون في مقولتهم هــذه إلى أنها مــن متفرعات ولايــة المعصــومٍ ومســتمدة عنها، فلابــد إذاً ـ وفق هؤلاء ـ لســلب الشرعية عنهم من إنكار الإمامــة بالنص، وهذا مــا انعكــس في أطروحاتهم وآرائهم حول الإمامة بشكل قد لا يكون مسبوقاً في الساحة الفكريــة الشــيعية.. وهكذا انجر الأمر إلى مســألة الحدود والقصاص وتشريعات النص القرآني..

إن البحــــث العــلمــي والإصــلاح الديني بحاجة إلى التجــرد ما أمكن، ولاســيما عــن ضغوطــات العوامــل والمصالح السياســية، لضمان أقــرب النتائــج إلى الحقيقة، أو إلى مــا يمكــن التعويــل عليه وفق أســس الاستنباط والفهم البشــري، بعيداً عن أية حسابات هنا أو هناك.



الإمام علي الهادي

٢٧ جمادى٢ ١٤٣٠ هـ / ٢٠ يونيو ٢٠٠٩

قد لا يسعف الزمن الإنسان كي يقدِّم كل ما بوسعه من خير وعطاء، إلا أن عمره القصير قياساً إلى متوسط العمر يكون مباركاً وحافلاً بالمحطات التي يشرق فيها التاريخ بالعمل الصالح والكلمة الطيبة والسمو الروحي.. وهكذا كان الإمام أبو الحسن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام الذي لم يتجاوز عمره ٤١ سنة حين وفاته.

الولادة المباركة:

ولد الإمام الهادي عليه السلام في قرية صريا التي أسسها جده الإمام موسى الكاظم عليه السلام وتقع بالقرب من المدينة المنورة آنذاك، وكان مولده في الثاني من

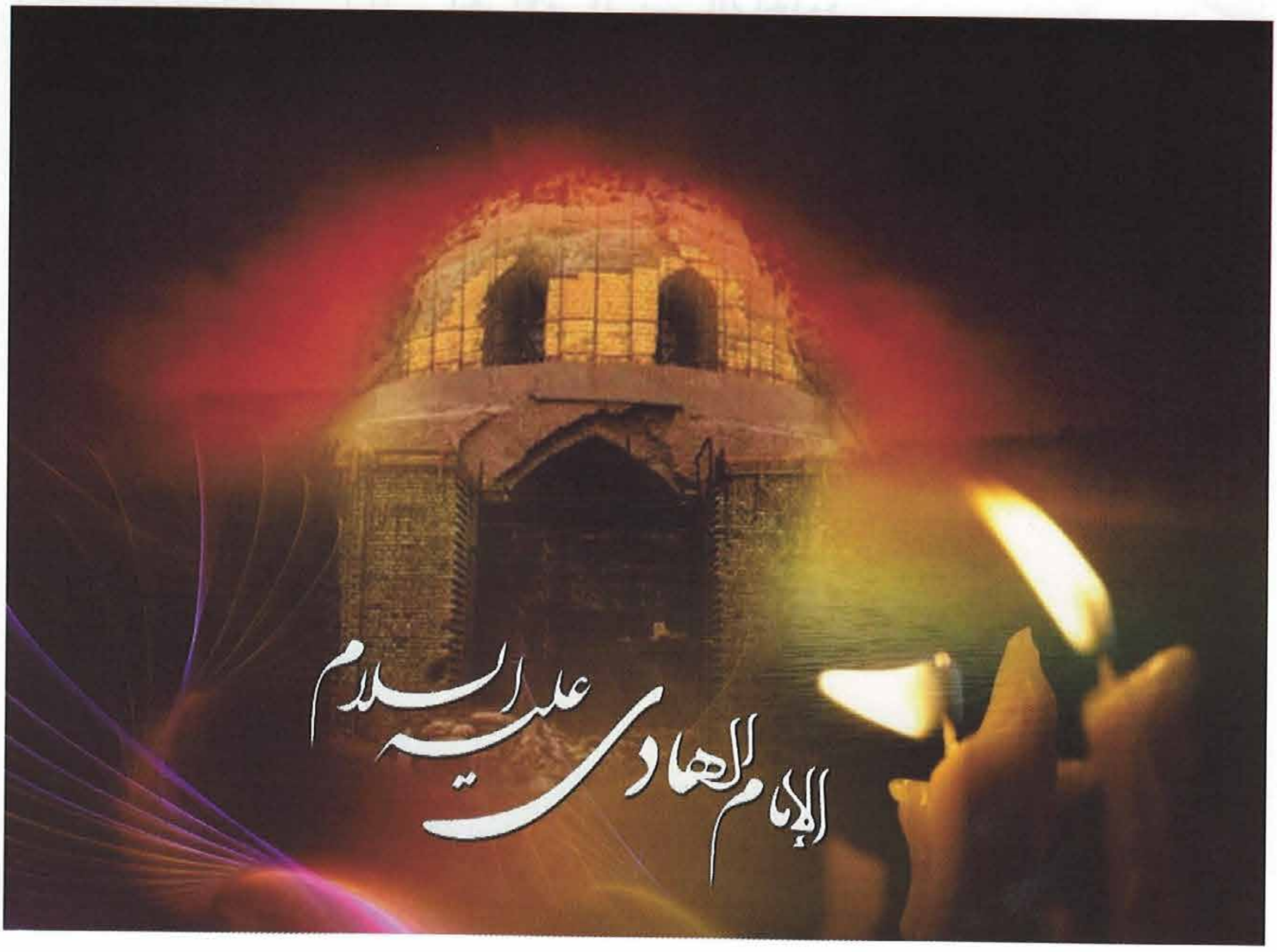

شهر رجب من عام ٢١٢ هـ.

كانت حياة الإمام حافلة بالعطاء العلمي، حتى ذُكر أن الذين رووا عنه علومه بلغوا ما يقارب ١٨٥ راوياً، والراوي عادة يمثل موقعاً ثقافياً متقدماً في ذلك الوقت، وليس مجرد ناقل للخبر. هذا علاوة على تصدّيه لمظاهر الانحراف الفكري والسلوكي في الأمة، فصدرت عنه عدة مواقف ورسائل وتصريحات في هذا النطاق نقلها رجال الحديث والتاريخ.

مع ابن حسكة:

مثّل علي بن حسكة شخصية منحرفة تدّعي الإيمان والارتباط بأهل البيت عليهم السلام، ولاسيما الإمام المعاصر له وهو الهادي، فكانت للإمام عدة مواقف منه تدرّجت وفق تطوّر الأحداث، وهو ما نتابعه من خلال النصوص التالية:

روى الكشي بإسناده عن أحمد بن محمد بن عيسى قال: (كتبت إليه عليه السلام في قوم يتكلمون ويقرؤون أحاديث ينسبونها إليك وإلى آبائك، فيها ما تشمئز منها القلوب، ولا يجوز لنا ردّها، إذ كانوا يروون عن آبائك عليهم السلام، ولا قبولها، لما فيها، وينسبون الأرض إلى قوم يذكرون أنهم من مواليك، وهو رجل يقال له علي بن حسكة، وآخر يقال له القاسم اليقطيني .ومن أقاويلهم إنهم يقولون إن قول الله تعالى: «إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» معناها رجل، لا سجود ولا ركوع، وكذلك الزكاة معناها ذلك الرجل لا عدد دراهم ولا إخراج مال، وأشياء من الفرائض والسنن والمعاصي فأوَّلوها وصيَّروها على هذا الحد الذي ذكرت لك.

لقد ملأ الإمام الهادي عليه السلام بأخلاقه العالية، وورعه وتقواه وزهده، ونسبه الوضّاح، القلوب مهابةً واحتراماً

فإن رأيت أن تبين لنا وأن تمن على مواليك بما فيه سلامتهم ونجاتهم من هذه الأقاويل التي تخرجهم إلى الهلاك؟ فكتب عليه السلام: ليس هذا ديننا فاعتزله).

الموقف الثاني:

وروى الكشي أيضاً بالإسناد عن محمد بن عيسى قال: (كتب إليَّ أبو الحسن العسكري ابتداء منه: لعن الله القاسم اليقطيني، ولعن الله علي بن حسكة...).

الموقف الثالث:

وروى بالإسناد عن سهل ابن زياد الآدمي، قال: (كتب بعض أصحابنا إلى أبي الحسن العسكري: جعلت فداك يا سيدي، إن علي بن حسكة يدّعي أنه من أوليائك وأنك أنت الأول القديم، وأنه بابك ونبيك، أمرته أن يدعو إلى ذلك، ويزعم أن الصلاة والزكاة والحج والصوم كل ذلك معرفتك، ومعرفة من كان في مثل حال ابن حسكة فيما يدعي من

البايـــة والنبـــوة، فهو مؤمن كامل ســقط عنه الاســتعباد بالصلاة والصوم والحج، وذكر جميع شــرائع الدين أن معنى ذلك كله مــا ثبت لك، ومال الناس إليــه كثيراً، فإن رأيت أن تمن علــى مواليك بجواب في ذلك تنجيهــم من الهلكة. قال: فكتـــب عليه السلام: كذب ابن حســكة عليه لعنة الله، وبحسبك أني لا أعرفه في موالي، ما له لعنة الله، فوالله ما بعث الله محمداً والأنبياء قبله إلا بالحنيفية والصلاة والزكاة والصيام والحج والولاية، وما دعا محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا إلى الله وحده لا شــريك له، وكذلك نحن الأوصيــاء من ولده عبيد الله لا نشــرك به شيئاً، إن أطعناه رحمنا، وإن عصيناه عُذِّبنا، ما لنا على الله من حجة، بل الحجة لله علينا وعلى جميع خلقــه، أبرأ إلى الله ممــن يقول ذلك، وأنتفــي إلى الله من هذا القول، فاهجروهم لعنهم الله، وألجؤوهم إلى ضيّق الطريــق، فــإن وجدت أحداً منهم خلوة فاشدخ رأسه بالصخر).

التحصين العقائدي:

ولم تكن مواقفه تقتصر على مواجهــة الأفــراد، بل شملت التحصــين العقائــدي الذي مارسه في تبيان وتعميق المفاهيم العقائديــة خاصــة، والدينية بشــكل عــام، والنصــوص التي أثِرَت عــن الإمام حول الرؤيــة والجــبر والتفويض والرد على الشــبهات المثارة حول القرآن تفيد تصدّيه لهذا الدور الحســاس في الساحة الإسلامية.

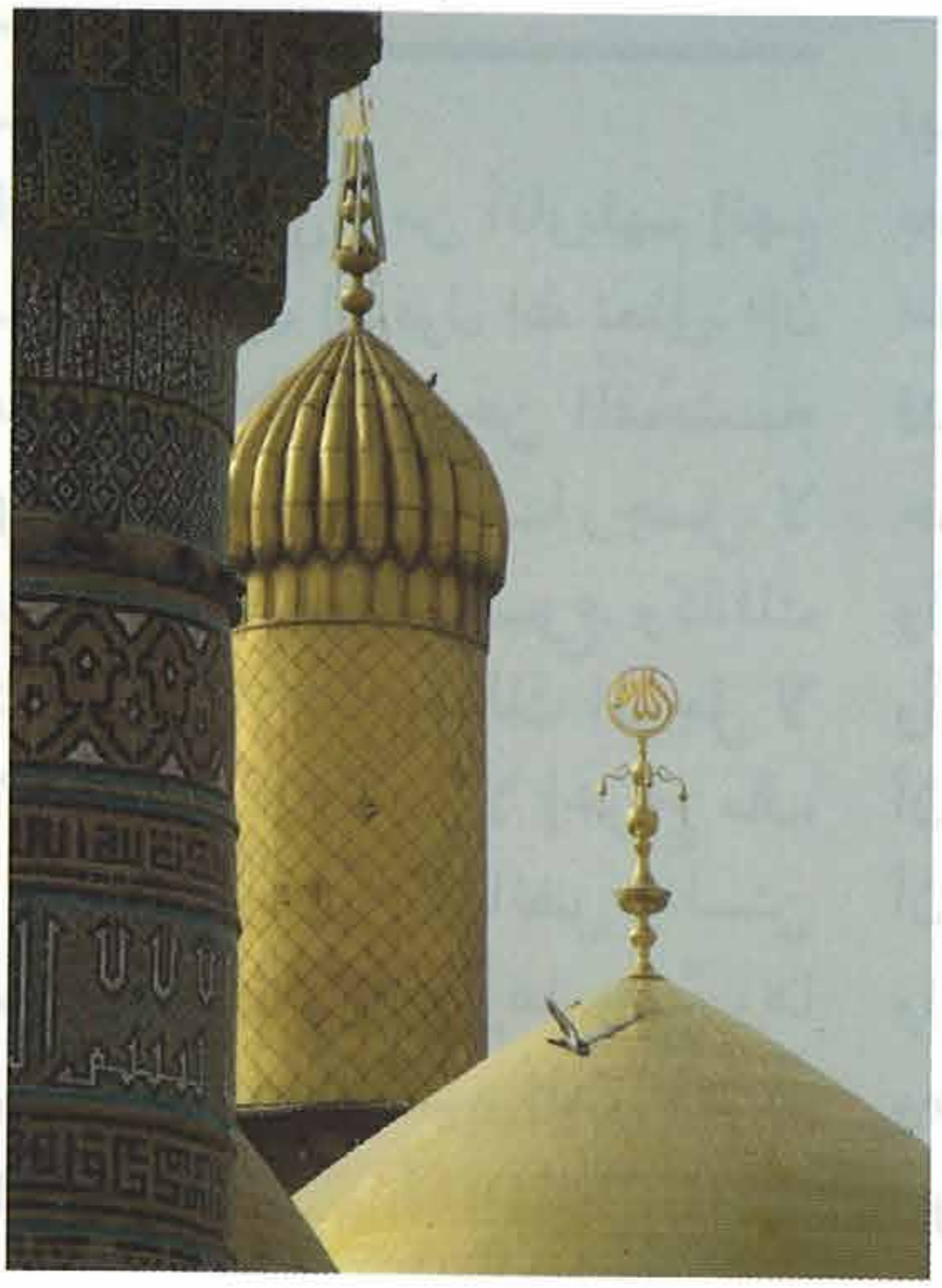

مهابة ملأت القلوب:

لقــد ملأ الإمام الهادي عليه السلام بأخلاقه العالية، وورعه وقواه وزهده، ونسبه الوضّاح، القلوب مهابةً واحتراماً، وهو ما نلحظــه في مواقف عديدة، منها ما رواه محمد بن الحسن ابــن الأشــتر العلــوي قال: (كنت مع أبي بباب المتوكل، وأنــا صبي في جمــع الناس ما بين طالــبي إلى عباســي إلى جندي إلى غير ذلك، وكان إذا جاء أبو الحسن ترجَّل الناس كلهم حتى يدخل.

فقــال بعضهــم لبعض: لم نترجل لهذا الغــلام؟ وما هو بأشــرفنا ولا بأكبرنا ولا بأسنِّنا ولا بأعلمنا؟

فقالــوا: والله لا ترجلنا له.

فقال لهم أبو هاشم: والله لترجلن لــه صَغاراً وذلة إذا رأيتموه، فما هو إلاّ أن أقبل وبصــروا به فترجّل له الناس كلهم، فقال لهم أبو هاشم: أليس زعمتم أنكم لا تترجلون له؟

فقالــوا: والله مــا ملكنا أنفسنا حتى ترجلنا).

نحو تطوير العلاقة مع المرجعية

٤ رجب ١٤٣٠ هـ / ٢٧ يونيو ٢٠٠٩

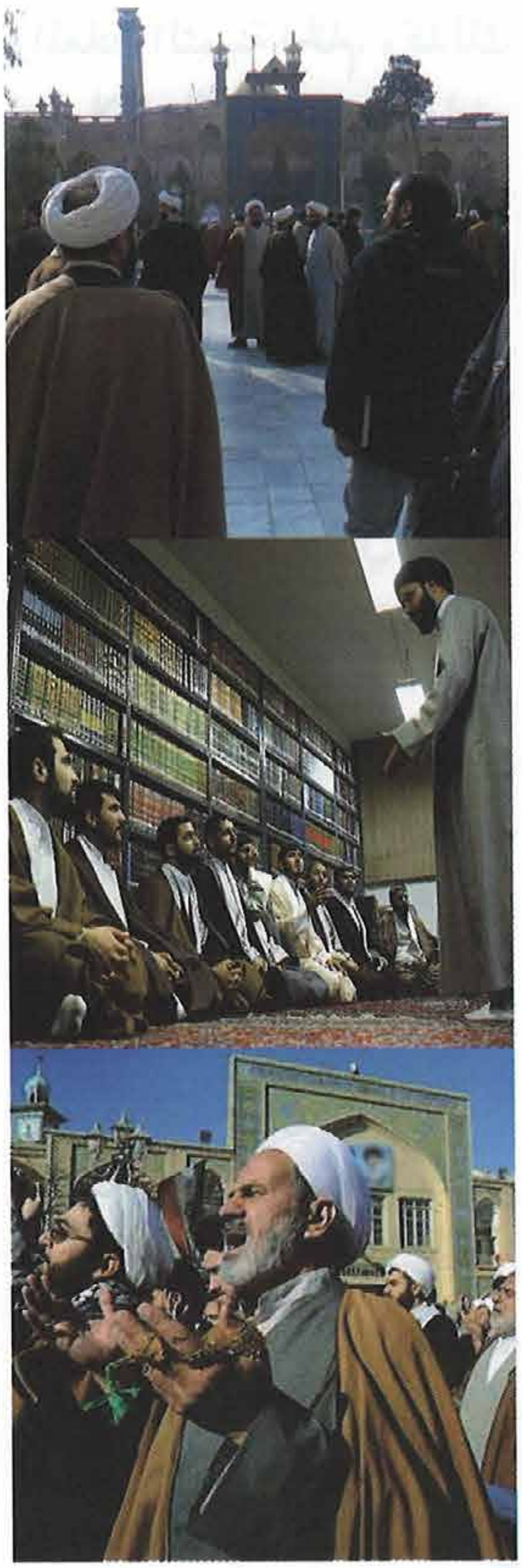

مفهوم التقليد في المصطلح الفقهي ـ باختصار وتبسيط ـ هو: رجوع غير العالم (الجاهل) إلى العالم والأخذ عنه في مجال الأحكام الشرعية. ولكن هل يعني هذا أن ليس من حق المقلِّد (العامي) البحث والسؤال وإبداء الرأي بشأن ما توصَّل إليه الفقيه في المسألة الشرعية، أو في فهم النص الديني؟

المعارضون:

البعض يقول بانحصار دور المقلِّد في التلقي المطلق بمعنى التسليم للتفسيرات الدينية التي يتبناها متخصصو الشريعة (الفقهاء) من دون الجرأة على مساءلتها، أي ينحصر دور المقلِّد في التلقي البسيط وليس له دور في فهم النص أو في دراسة حيثيات الفتوى وظروفها الموضوعية والعوامل المؤثرة في صدورها.

ويحتج أصحاب هذا الرأي بقولهم: كيف يكون للفرد العادي حق البحث والمساءلة وهو غير متخصص، ولا يدرك حيثيات ومقدمات وأبعاد الاستنباط؟!

المؤيدون:

وفي المقابل يذهب البعض إلى عدم الممانعة في البحث والمناقشة وإبداء الرأي المخالف ضمن الإطار العلمي، لا للتهريج الإعلامي أو إثارة الفوضى الفتوائية أو استعراض العضلات أو إلغاء دور المرجعية ووظيفة التقليد.

ويضيف هؤلاء بأن الفرد العادي قد يدرك من خلال المعاناة العملية بأن الدواء الموصوف له يزيد في تدهوره الصحي، دون أن يعرف تركيبته الكيميائية، فكذلك قد يدرك غير الفقيه ـ بمقتضى

الملاحظة العملية ـ وجود خلل ما في تنظير ديني محدد، وأنه لا يتناسب مع الهدف العام من التشريعات الإسلامية وهو دفع الضرر وجلب المصلحة للبشرية.

كما أن الخطاب القرآني عام لكل المتدينين، وهو يدل على إمكان أن يفهمه القارئ المخاطَب بالقراءة، كلٌّ حسب سعته وطاقته، إذ لا يُعقَل أن يكون الأمر بقراءة القرآن لمجرد البركة وإهداء الثواب للأموات. ولذا فإنه بالإمكان للفرد العادي أن يفهم ـ ولو بدرجة قليلة ـ النص وملابساته، وإن غفل عن التفاصيل.

افتراضات ونماذج واقعية:

ويضرب الموافقون المثال التالي: قد يصل خبراء السياسة إلى أن التنظير الفقهي الفلاني لا ينسجم والمصلحة الوطنية العامة، أو يؤجج الكراهية في المجتمع، أو يعمِّق الانقسام الطائفي، أو يشوِّه صورة الدين، أو يُحدث الفوضى في المجتمع، ويخل بالنظام العام، وذلك من قبيل الفتوى بإباحة بيع وشراء الأصوات في الانتخابات. فهل يسكت هؤلاء عن فتوى الإباحة ويستسلمون لآثارها وتبعاتها دون مناقشة علمية للفقيه؟

وهكذا الأمر في التنظير الفقهي الاقتصادي، فقد يتوصل الخبراء في عالم

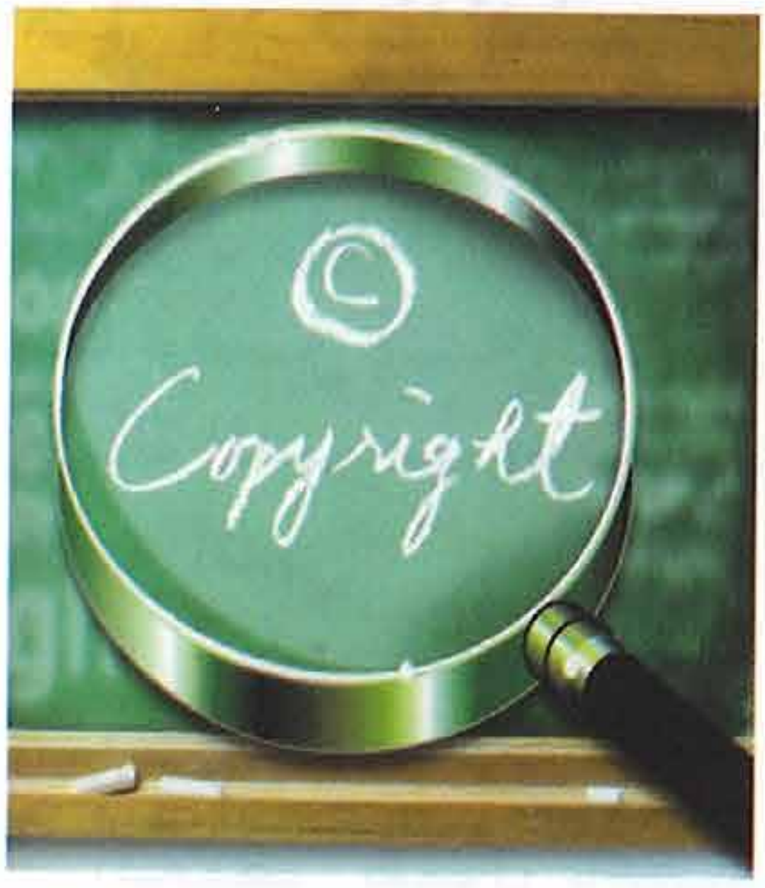

الاقتصاد إلى أن هذا التنظير يدمِّر اقتصاد البلد، ونحن لا نتكلم عن تنظير فقهي للأفراد فقط، بل التنظير على مستوى الدولة، وبالتالي هل نُفشل التجربة الفريدة في تطبيق الشريعة الإسلامية في الزمن المعاصر لمجرد أن الاستنباط قام على نظرة فردية، أو لأن الفقيه لم يحاول أن يعيد النظر فيه لأنه أمر لم يكن مورد ابتلاء لقرون مديدة؟

أمثلة اقتصادية:

ويمكن أن تكون الفتوى المتعلقة بامتلاك الموارد النفطية والمعادن الثمينة الخام، وكذلك امتلاك الأراضي الموات، والملكية الفكرية، وما شاكلها من القضايا المهمة التي هي بحاجة ماسة إلى إعادة النظر فيها، لا بمعنى تجاوز الأدلة الشرعية والقفز عليها، بل بمعنى إعادة قراءتها في محاولة لاستنباط أحكام شرعية أكثر قدرة على التعامل مع الواقع ومعطياته ومتغيرات مفهوم الدولة والعلاقات السياسية والمنظومة الاقتصادية وما إلى ذلك.

قضية التدخين:

ويمكن أن أضرب بفتوى حرمة التدخين مثالاً على تأثير النقاش العلمي على فتوى الفقيه، فقد كانت فتوى المرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازي قائمة على إباحة التدخين إلا في حال

ثبوت الضرر بنسبة معتد بها، إلا أن الدراسات التي قُدِّمت إليه في هذا الإطار من قبل المختصين دفعته إلى إصدار فتوى بالتحريم، وفيما يلي جواب سماحته علىٍ السؤال التالي: (تردد أخيراً في الأوساط المختلفة أنكم أفتيتم بحرمة السجائر، نود من سماحتكم أن تفصحوا أكثر عن رأيكم بهذا الأمر) فأجاب: (لقد أوردت هذه الفتوى سابقاً مشروطة وهي مذكورة في رسالة توضيح المسائل في حرمة التدخين ـ السجائر و ما شابهها ـ إن شهد أهل الاختصاص و الخبرة بضرره. و بالالتفات إلى الشهادة الأخيرة التي قدمها طائفة من الأطباء من ذوي الاختصاص والملتزمين من أساتذة الجامعات، و بالنظر إلى الإحصاءات المرعبة التي وصلتنا وهي تتحدث عن الوفيات الناشئة عن التدخين إلى جانب ما يؤدي إليه من أمراض خطيرة، فقد أصبحت مخاطر التدخين من الحقائق المسلمة التي لا يمكن إنكارها، بل إن الضرر ليعم حتى أبناء المدخنين ومن يجالسهم. و من هنا أفتينا بالحرمة المطلقة. و أسأل الله سبحانه أن يحفظ كافة مسلمي العالم ولا سيما الشباب الأعزاء الذين يذهبون ضحية هذه المصيبة الأليمة من شر هذا الخطر العظيم، و أن يجدّوا في

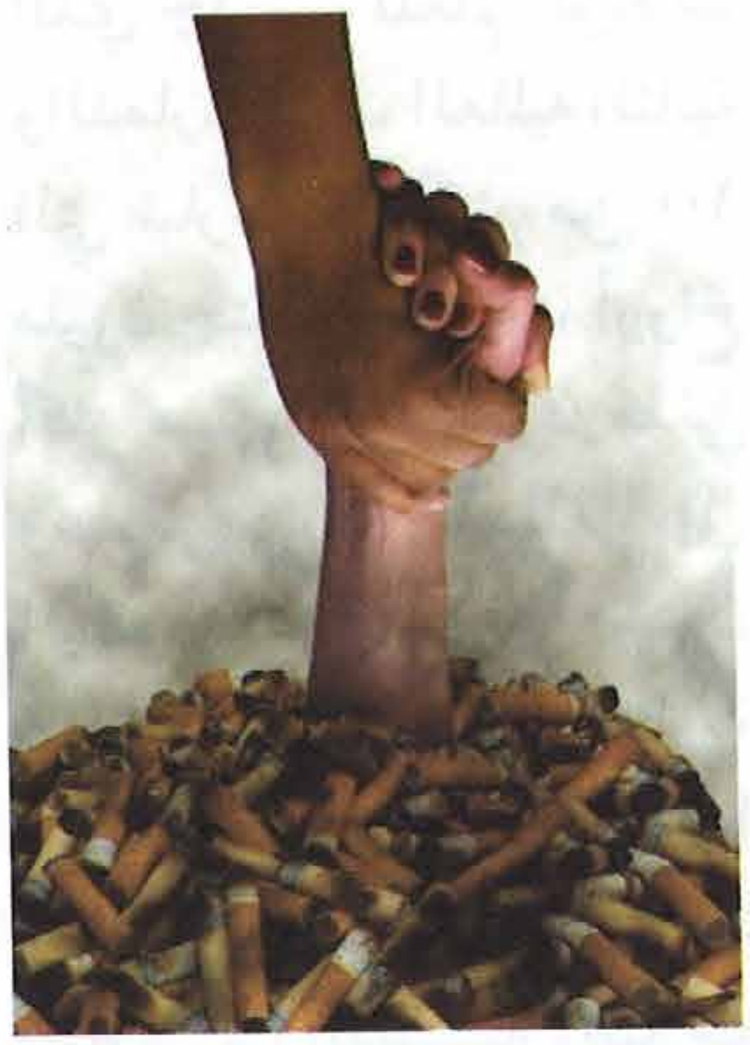

مراقبة أنفسهم و يحذروا من أصدقائهم. إن شاء الله نشهد اليوم الذي يطهر فيه مجتمعنا الإسلامي من هذا التلوث الخطير).

أخيراً:

إن طرح هذه التساؤلات والملاحظات والإلحاح فيها قد يفتح باباً للفقيه لقراءة النصوص من جديد، ولعله يتوصل إلى قناعة جديدة من خلال الأدلة، فهذه هي غاية فتح باب الاجتهاد، وهو مما نفتخر به في المدرسة الفقهية لأتباع أهل البيت عليهم السلام، ولأن الإبداع عادة لا يتأتى إلا في سياق البحث عنه والقناعة بالحاجة إليه، فالذي يكتشف الجديد في طريقة الحياة هو من يكون لديه طموح التغيير إلى الأفضل، وهو فقط من يكون لديه وعي بنواقص الحاضر، فما لم يشعر الفقيه بالحاجة إلى فهم جديد للنص فقد لا يكون له مدخل إلى ذلك الفهم. وهذا لا يعني إلغاء دور المرجعية ومسألة التقليد أو التعالي على الفقيه، بل يعني التواصل وتلاقح الأفكار وفتح آفاق جديدة أمام الفقيه في عملية الاستنباط.

وفي حالةٍ عدم تغيرٍ الفتوى يبقى المقلِّد ملزماً بها وفق تفاصيل أحكام التقليد المطروحة في كتب الفقهاء (الرسالة العملية).

بين عليٍّ وماركس والأشعري

١١ رجب ١٤٣٠ هـ / ٤ يوليو ٢٠٠٩

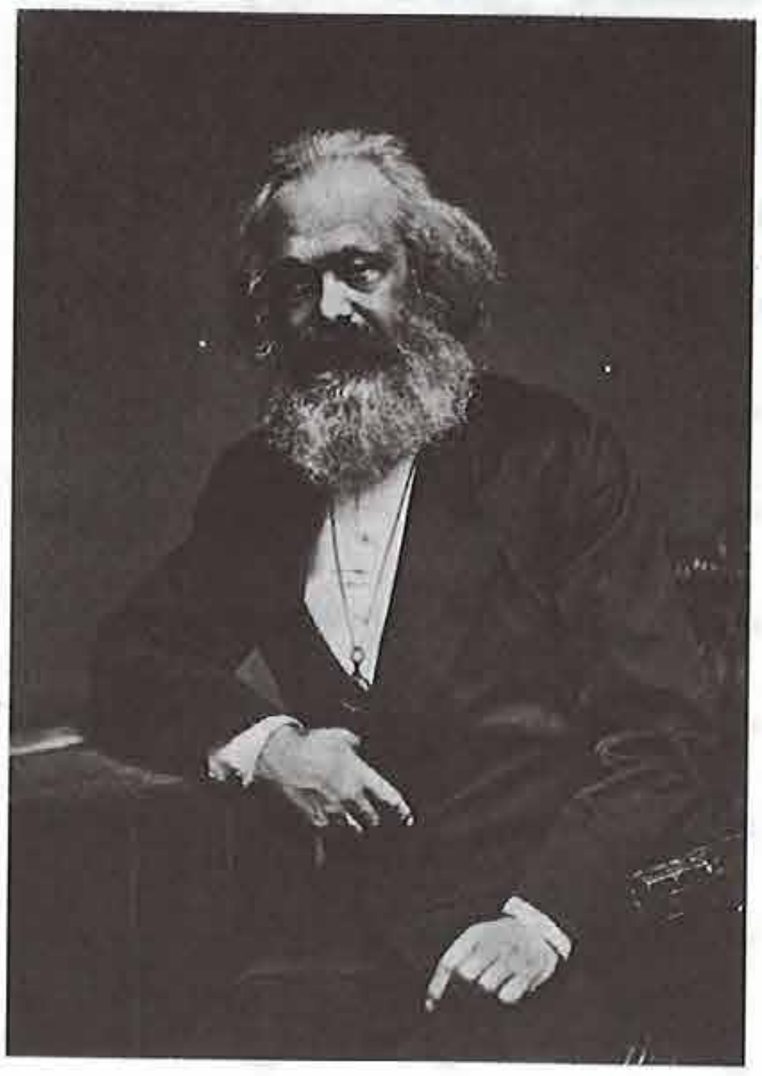

تحدث كثير من الفلاسفة عن الأخلاق وفلسفتها ومنشئها، فشرّقوا وغرّبوا.. نيتشه مثلاً نظر إلى حال أفراد المجتمع من الضعفاء المغلوب على أمرهم، فوجدهم يعيشون الصبر السلبي في مواجهة عديمي الأخلاق الذين يظلمونهم ويمتصّون دماءهم ويعيشون حياة الرفاه على ركام أجساد الفقراء، فاعتبر أن العزة في القوة، والقوة عند عديمي الأخلاق، فنادى: (الأخلاق من صنع الضعفاء ليحدّوا بها من قوة الأقوياء، وأن على الأقوياء أن يسحقوا الضعفاء، ويمشوا على جماجمهم!!). والنتيجة كانت الجنون النازي الذي جلب للعالم الويلات والدمار، الحرب العالمية الثانية التي شارك فيها أكثر من ١٠٠ مليون جندي، وزهقت أرواح أكثر من ٧٠ مليون مدني وعسكري. وما زال العالم إلى اليوم يتجرع غصص الجنون النازي، ومنه المحرقة النازية لليهود والتي يُبتز من خلالها العالم في عملية تهويل إعلامية ضخّمت القضية وصارت حائط المبكى الجديد الذي يتحقق عنده الولاء والبراء، وتُلعن عنده الأمم، وتُقدَّم من خلاله صكوك الغفران السامي.

ماركس والأخلاق:

أما ماركس فاعتبر أن الأخلاق من صنع الأقوياء اقتصادياً في المجتمع، ليخدِّروا بها المستضعفين ويبقوهم تحت سيطرتهم، والواجب على الضعفاء والفقراء أن يثوروا على الأخلاق بثورتهم على الأغنياء والمتسلطين. وفي همجية وحشية متمردة على كلِّ قيمة أخلاقية وبصورة يقلُّ نظيرها في التاريخ، راح قرابة الخمسين مليون إنسان ـ حسب بعض التقديرات ـ ضحية سياسات ستالين وحده!

الأشاعرة والأخلاق:

واعتبر أبوالحسن الأشعري أن الأخلاق من وحي السماء، ولذا فإن الفعل إنما يتصف بالخير إذا أمر الله عزوجل به، ويتصف بالشر إذا نهى الله سبحانه عنه.. ولو نهى عما أمر به أوَّلاً لتحوّل الخير إلى شر، والحسن إلى قبيح. فشريعة الله هي التي تصنع الأخلاق، ولا علاقة لها بطبيعة الحياة، ولا بفطرة الإنسان. ومن هنا كان الفهم البشري للنصوص الدينية، والأحاديث الموضوعة التي عجَّت بها كتب التراث

الإسلامي، يرسمان معالم الأخلاق، ويضفيان عليها الشرعية والقدسية مهما كانت بعيدة عن الفطرة والمنطق والعقل السليم. ووفق هذه الرؤية يمكن قبول ما روي عن رسول الله أنه قال:(يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنّون بسنّتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس. قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع). كما يمكن الأخذ بمقولة: (مَن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليومِ الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً، بَراً كان أو فاجراً).

الأخلاق عند علي:

أما الأخلاق عند علي عليه السلام فهي أصيلة في وجود الإنسان، وليست حالة طارئة وعرضية، بل هي من صلب الحياة، ومن طبيعة الإنسان وفطرته، ودور الدين هو البيان والتحفيز، لا الوضع والتقرير، فالعمل الذي يحقق النفع الشاملِ والصالح العام يوصفٍ حقيقة بالحسن والخير، وما يعطِّل المصلحة العامة أو يُلحق ضرراً بالجماعة أو الفرد فيوصف بالشر، فالقيم الأخلاقية صفات عينية قائمة في نفس الأفعال وطبائعها، ولا دخل في وجودها لأوامر الدين ونواهيه. ولذا قال علي عليه السلام: (فإنه لم يأمرك إلا بحَسَن، ولم ينهك إلا عن قبيح)، ومعنى هذا أن حُسن الفعل وقبحه سابقان لصدور الأمر والنهي، فالله أمر به لأنه حسن، ونهى عنه لأنه قبيح، والله خالق كل شيء سبحانه وتعالى.

الظلم ظلم:

وبهذا المنطق يُغلق الإمامُ البابَ أمام كل نص أو قانون أو تشريع لا يتوافق مع المبادئ الأخلاقية العامة التي تقرّها إنسانية الإنسان وتتوافق عليها فطرة الناس.. فالظلم ظلم ومرفوض وباطل وليس بشيء في ميزان الله، وإن ورد نص يروِّج له ويبرِّر فعله.. فإنَّ مَن خلق الإنسان وفطره على القيم الأخلاقية هو المشرِّع ذاته، وهو حكيم عدل ليس في فعله باطل، ولا في أمره حيف.

ثم يعطي للأمر بُعداً إنسانياً عاماً يؤكد من خلاله أن نتاج الظلم وإن كان في صالح الفرد أحياناً، إلا أن وباله يدوم ويعم الآخرين، ولذا قال في اليوم الثاني من تسلمه مقاليد الحكم: (ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان و كل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء، و لو وجدته قد تُزوِّج به النساء، و فُرِّق في البلدان لرددته إلى حاله، فإن في العدل سعة، و من ضاق عنه الحق فالجور عليه أضيق). لأنَّ مَن يظلم في مورد يؤسِّس للظلم في موارد ومواردٍ، فإذا عمَّ الظلم في ممارسات أفراد المجتمع أصيب به الجميع مرات ومرات، وفي مواردٍ لعلها أشدّ وطئاً وأعمق تأثيراً.

أدنى الشـــــرك

١٨ رجب ١٤٣٠ هـ / ١١ يوليو ٢٠٠٩

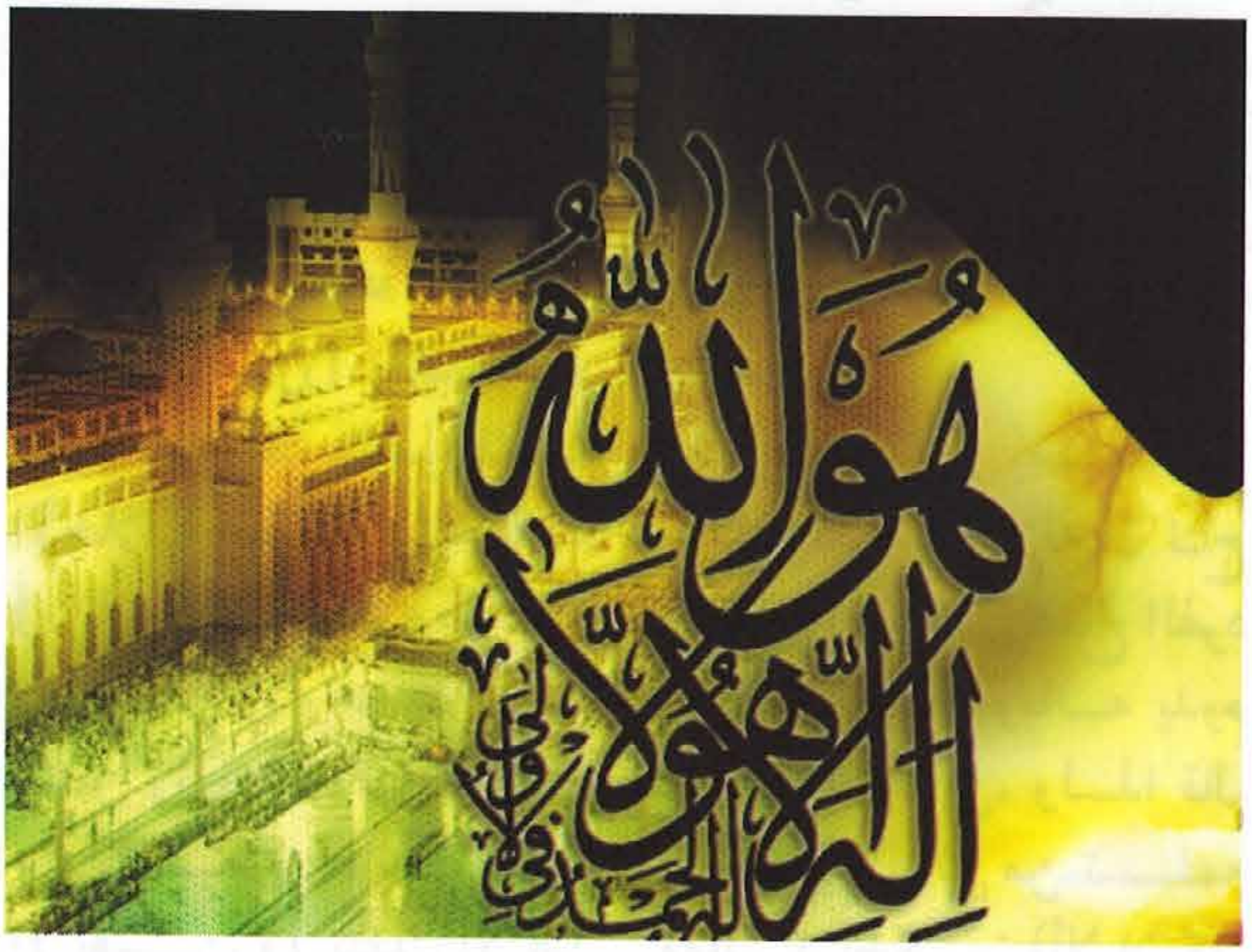

عـــن الإمـــام محمـــد الباقر عليه الســـلام أنه قال: (أدنى الشرك أن يبتدع الرجل رأياً، فيحبُّ عليه ويُبغض عليه).. استوقفتني هذه الرواية مفكّراً في دلالتها.. مـــاذا يريد الإمام عليـــه الســـلام أن يقول من خلالها؟ وحلّلـــت النص من خلال الخطوات التالية:

بين الإيمان والشرك:

مـــن الإيمان ما هـــو كامل، يتوجه من خلاله الإنسان إلى الله وحـــده، وفي المقابل هناك شرك كامل يتعلق من خلاله الإنســـان بغير الله ســـبحانه في كل شـــيءٍ، ولا يجعـــل لله إليه ســـبيلا.. وبينهما مراتب ومقامات.

فـــإذا كان الإنســـانُ مؤمناً فقد يشوب إيمانَه شركٌ خفي، وهذا ما ذكره صاحب تفسير الميزان العلامـــة الطباطبائي في تفســـيره للآيـــة (وَمَـــا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُـــمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ) يوســـف:١٠٦. قال رحمـــه الله: (والمراد بالشـــرك في الآية بعـــض مراتبه الذي يجامع بعـــض مراتب الإيمان، وهو المســـمى باصطلاح فن الأخلاق بالشرك الخفي). ثم جاء العلامة الطباطبائي بثلاثة نماذج للشرك الخفي:

النموذج الأول:

عن الإمام محمد الباقر عليه الســـلام في خصـــوص الآية الســـابقة: (قال شرك طاعة و ليس شـــرك عبادة، و المعاصي الـــتي يرتكبون فهي شـــرك طاعة أطاعوا فيها الشـــيطان فأشركوا بالله الطاعة لغيره و ليس بإشراك عبادة أن يعبدوا غير الله). وبعبارة أخرى هناك شرك نابع عن إيمان بالشرك وعن علـــم وعمـــد، وهناك شرك عملي ناشئ عن معصية أو عـــن جهل في ذات الوقت الـــذي يعتقـــد فيه الإنســـان بوحدانية الله سبحانه.

النموذج الثاني:

عـــن مالك بـــن عطية عن أبي عبـــد الله عليه الســـلام حـــول الآيـــة الســـابقة قال: (هو الرجل يقول: لولا فلان

لهلكت، ولــولا فلان لأصبت كذا وكذا، ولضاع عيالي. ألا ترى أنه جعل لله شــريكاً في ملكه، يرزقه ويدفع عنه؟ قال: قلت: فيقول: لولا أنْ منّ الله علي بفلان لهلكت؟ قال: نعم، لا بأس بهذا).

النموذج الثالث:

عــن زرارة بــن أعين قال: ســألت أبــا جعفــر عليــه الســلام عن قــول الله (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُــمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْــرِكُونَ)؟ قــالَ: (مِن ذلك قــولَ الرجــل: لا وحياتك). قال العلامة الطباطبائي رحمه الله: (يعني القسم بغير الله لما فيه من تعظيمه بما لا يستحقه بذاته).

عودة إلى النص:

وبالعــودة إلى النــص محل البحث حول أدنى الشــرك، ســتكون الصورة التي قدّمها الإمام عليه السلام هي صورةٍ الإنســان الذي يبتدع شــيئاً ويجعل له خصوصية في التولي والتبري والحب والبغض على خلاف المعايير الإلهية، فهو في هذه الحالة لم يُخلص في مشاعره وفي مواقفه لله، ولم يُقمها على الأســس الإلهية، وعليه يكون نوعاً من الشــرك، وهو شرك عملي وخفي، لأننا أشرنا فيما ســبق أن من صور الشــرك: عدم الإخلاص في النية أو في العمل الذي يقدّمه الإنسان.

في واقعنا أمثلة عديدة نعيش فيها التعصب والتولي والتبرّي والحب والبغض على أسس لم ينزل الله بها من سلطان

أمثلة من واقع الحياة:

فعلى المســتوى السياســي والحركي قد يبتدع الإنســانٍ كيانــاً سياســياً أو حركيــاً لتحقيــق نتيجــةٍ مــا علــى الأرض، وقد يكون مخلصاً لله في تأسيســه وأهدافه، ولكنه بالتدريج ونتيجة المواجهات والصراعات يجعــل الانتماء إليــه وتأييــده أو معارضتــه معياراً في تولّيــه وتبرّيه، وفي حبــه وبغضــه، وفي مناصرته ومعاداته، بغــض النظر عن أية قيمة إيمانية أو أخلاقية قد تجمعهما.

على المستوى الفكري:

وهكذا الأمر على المستوى الفكري الديــني، فقد يجتهد إنســان في بعــض القضايــا ويصل إلى استنتاجات، وهي ظنية محتملة الصحة، لا يقينية، ولكنه يتعصب لرأيه إلى درجة يجعــل التفاعل الإيجابي معها أو الســلبي معياراً في التولي والتبري، والحب والبغض.

بل وفي واقعنا أمثلة عديدة نعيش فيها التعصب والتولي والتــبرّي والحــب والبغض على أسس لم ينزل الله بها من سلطان.. فعلى مستوى اختيار مراجع التقليد هنــاك تولّي وتبرّي، وحب وبغض.. وعلى مستوى تشجيع الأندية هناك تولّي وتبرّي، وحب وبغض.. وعلى مستوى الانتماء القومي أوالعرقــي أوالوطــني وحتى المناطقي هنــاك تولّي وتبرّي، وحب وبغــض.. وفي المقابل فقد قال رســول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أوثق عُرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله، وتوالــي أوليــاء الله والتبري من أعداء الله).

مملكة اللّه

٢٥ رجب ١٤٣٠ هـ / ١٨ يوليو ٢٠٠٩

حب الله هو أسمى وأرقى أنواع العلاقة بين العبد وخالقه، أما علاقة أكثر المؤمنين به سبحانه فهي مبتنية على أساس المصالح الشخصية، فتركيزهم في الطاعات عادةً يكون على ما يترتب على الفعل من ثواب أو عقاب أخروي أو دنيوي، ولا أريد أن أخطئ ذلك أو أعتبره شركاً، فالخطاب القرآني في كثير من موارده قائم على هذا الأساس، لأن الله يعلم حقيقة الإنسان، ولكن أريد أن أقول أن علاقة الحب بين العبد وخالقه علاقة أسمى وأرقى.

ليس حباً سريالياً:

وهذا الحب ليس حباً سريالياً يعيش خارج نطاق الواقع ويهيم بصاحبه في عالم الخيال، بل هو قائم على أسس واقعية، لأنه حب المخلوق لخالقه والمنعَم عليه للمنعِم، كما أن له ثماراً عملية تتلخص في أنه متى ما أحب العبدُ ربَّه، ترك ما لا يرضيه وسار على درب الصلاح الذي رسمه له، والذي يتمثل في اتباع القرآن وما نزل على حبيب الله المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (آل عمران:٣١). فهو حب يؤدي إلى صياغة الإنسان ليكون إنسان الله.. الإنسان كما يريده الله سبحانه..

ثمار عملية:

كما أن هذا الحب يمثِّل علاقة تبادلية، فمن أحب الله أحبَّه الله.. وعندها تثمر العلاقة عن آثار أخلاقية وسلوكية وعقلية ومعرفية عدة، منها:

١. عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (من سره أن يعلم أن الله يحبه فليعمل بطاعة الله وليتَّبعنا، ألم يسمع قول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله: قل إن كنتم تحبون الله...).

٢. وعنه عليه السلام: (إذا أحب الله تعالى عبداً ألهمه الطاعة، وألزمه القناعة، وفقَّهه في الدين، وقوّاه باليقين، فاكتفى بالكفاف، واكتسى بالعفاف. وإذا أبغض الله عبداً حبَّب إليه المال، وبسط له الآمال، وألهمه دنياه، ووكله إلى هواه، فركب العناد، وبسط الفساد، وظلم العباد).

- وعن الإمام علي عليه السلام: (إذا أحب الله عبداً حبَّب إليه الأمانة). وعنه عليه السلام: (إذا أحب الله عبداً زيّنه بالسكينة والحلم). وعنه عليه السلام: (إذا أحب

الله عبداً ألهمه الصدق). وعنه عليه السلام: (إذا أحب الله عبداً ألهمه رشده ووفّقه لطاعته). وعنه عليه السلام: (إذا أحب الله عبداً وعظه بالعبر).

هل القلب مملكة الله؟



يقول البعض: يفترض بالمؤمن أن لا يجعل في قلبه حباً إلا لله سبحانه، فالقلب عرش الله ومملكته، والقلب الذي يحب سوى الله فهو قلب خالٍ من حب الله.. هل هذه المقولة متوافقة مع الطرح القرآني؟ وهل هذا الطرح عملي وواقعي متوافق مع فطرة الإنسان؟

بالعودة إلى آيات القرآن لا نجد آية واحدة تأمر بأن يكون الحب لله وحده، وأن يُخرج الإنسان ـ من قلبه ـ حبَّ كل موجود سواه. بل من الآيات ما يدل على أن المؤمن يحب مثيله، قال تعالى: (وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ) (الحشر:٩).. وتحدث القرآن عن حب النبي يعقوب لأبنائه (إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (يوسف:٨).. كما تحدث القرآن عن الحب العميق الذي يضفيه الله تعالى على الأزواج تكويناً وتفضّلاً (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) (الروم:٢١) و المودة عبارة عن الحب الظاهر أثرُه في مقام العمل.. بل وتحدث القرآن عن حب الممتلكات (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) (آل عمران:٩٢).. وفي الخبر عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه كان يتصدّق باللوز والسكّر، فسئل عن ذلك فتلا قوله تعالى: (لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا ممّا تحبّون). وجاء على لسان

النبي سليمان عليه السلام: (إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي) (صّ:٣٢).. فمَا هو الحَب المطلوب والمقبول وفق المنهج القرآني؟

معايير لحب غير الله:

أولاً: هناك نوعان من الحب، حب مطلق خالص غير متعلق بأي شرط، وهناك حب مشروط. فحب الزوجة لزوجها مثلاً مشروط بأن يُحسِن إليها ويعاشرها بالمعروف، ومتى ما اختل ذلك اختل الحب. وهكذا قِس باقي الأمثلة في العلاقات الإنسانية. أما حب العبد لربه فالمفترض أن يكون خالصاً غير مشروط، فسواء كان العبد منعّماً أو مبتلى، فالمفترض أن يبقى هذا الحب ويدوم. وفي رائعة الإمام زين العابدين عليه السلام (دعاء أبي حمزة الثمالي) ما يدل على ذلك: (إلهي لَوْ قَرَنْتَني بالأصْفادِ، وَمَنَعْتَني سَيْبَكَ مِنْ بَيْنِ الأشْهادِ، وَدَلَلْتَ عَلى فَضايِحي عُيُونَ الْعِبادِ، وَأَمَرْتَ بي إِلَى النّارِ، وَحُلْتَ بَيْني وَبَيْنَ الأبْرارِ، ما قَطَعْتُ رَجائي مِنْكَ وَما صَرَفْتُ تَأميلي لِلْعَفْوِ عَنْكَ، وَلا خَرَجَ حُبُّكَ مِنْ قَلْبي).

ثانياً: أن لا يُقدِّم حب أي موجود على الله سبحانه، (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (التوبة:٢٤).

ثالثاً: أن لا يجعل حب أحد موازياً لحبه لله سبحانه (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ) (البقرة:١٦٥) والند هو المثيل.

رابعاً: أن لا يُحب مَن منع الله من حبه. (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) (المجادلة:٢٢).

معالجة النصوص:

ومن هنا يمكننا معالجة النصوص المانعة عن حب غير الله سبحانه، فما صح منها لا يعني عدم حب غير الله، بل تعني أن لا حب حقيقي غير مشروط إلا لله، وأن لا نقدم ولا نوازي حب أحد مع حب الله، وأن لا نحب مَن منع الله مِن حبه. كما أن بعض النصوص، ومنها النص السابق غير معتبر من ناحية السند، وهو ما يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار في دراسة الموضوع.

وأما إذا طرحنا قضية حب الله بشكل خاطئ أو منقوص، فقد يؤدي ذلك إلى بعض النتائج السلبية، إذ سلك بعض المؤمنين طريق كراهية المجتمع والناس والابتعاد عنهم ـ حتى الزوجة والأولاد ـ أملاً في أن لا يُسكن قلبه حب سوى الله، مما أدى إلى تفكك الأسر وترتب المشاكل الكثيرة. وهكذا فعلت بعض الزوجات، مما أدى إلى الطلاق وغير ذلك، وهو ما ينبغي التنبّه إليه حين طرح مثل هذه الموضوعات ومعالجتها بحذر.

انعكاسات الحب الإلهي

٣ شعبان ١٤٣٠ هـ / ٢٥ يوليو ٢٠٠٩

حب الله له انعكاسات عديدة ذكرتُ بعضها في العدد السابق، وواحدة من الانعكاسات العملية في حياة المسلم هي الحب في الله والبغض في الله، بمعنى أن حبنا لله سبحانه يؤثر في تحديد طبيعة العلاقة مع الآخرين، وبحيث يكون التقرب إلى الله سبحانه هو الهدف من وراء تحديد طبيعة هذه العلاقة وشدتها.

ولذا جاء عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: (إن أوثق عرى الإسلام أن تحب في الله وتبغض في الله) فالعلاقة التي تنبني على أساس الحب في الله والبغض في الله ستكون أمتن علاقة يمكن أن تؤسَّس بين اثنين، حتى روي عن علي عليه السلام أنه قال: (المودة في الله أقرب نسب) وأنه قال: (المودة في الله آكد من وشيج الرحم).

تشريعات وآداب:

ولم يأتِ هذا من فراغ، فقد جعل الله تعالى لهذه العلاقة مجموعة من التشريعات على مستوى الواجبات والمحرمات والمستحبات والمكروهات، فنظّمها بها، ومَن يلتزم بها ـ بل حتى مجرد الاطّلاع عليها ـ سيدرك لم هي أوثق العرى وآكد من وشيج الرحم. وقد تكون لنا مناسبة قادمة أطرح فيها هذا الموضوع بشيء من التفصيل بإذن الله.

ترجمة عملية:

وقد اعتبر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في الخبر التالي أن الترجمة العملية للإيمان تتحقق من خلال تطبيق هذا المنهج في العلاقات، فقد روي أنه قال لبعض أصحابه: (يا عبد الله، أحِب في الله، وأبغض في الله، ووال في الله، وعاد في الله، فإنه لا تُنال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان ـ وإن كثرت صلاته وصيامه ـ حتى يكون كذلك، وقد صارت مؤاخاةُ الناس يومَكم هذا أكثرَها في الدنيا، عليها يتوادون، وعليها يتباغضون).

كما حث الإسلام على التنافس في شدة هذه الحب الإيماني المتبادل، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: (ما التقى مؤمنان قط إلا كان أفضلُهما أشدَّهما حبا لأخيه). واعتبر أن هذا الإخلاص في الحب يصلح أن يكون وسيلة معيارية وتقييمية للشخص نفسه. لاحظ ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام: (إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر إلى قلبك، فإن كان يحب أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خير، والله يحبك، وإن كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خير، والله يبغضك، والمرء مع من أحب). سواء وصلك ضرر من أعداء الله أم لم يصلك، وسواء وصلتك منفعة دنيوية

أو أخروية ممن تحب أم لم تصلك.

أدب الحب في اللّه:

وهناك جانب آخرٍ، وهو مما يمتاز به الإسلام كثيراً، وهو اهتمامه في جانب الآداب، فلكل شئ أدب وإتيكيت، وهناك أدب لإظهار المحبة في الله. وقد روي أن رجلاً قال للإمام علي زين العابدين عليه السلام: (إني لأحبك في الله حباً شديداً، فنكس عليه السلام رأسه، ثم قال: اللهم إني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي مبغض، ثم قال له: أحبك للذي تحبني فيه).

ونلحظ هنا جانبين في هذا الأدب: الأول يرتبط في العلاقة مع الله، وهو ما بحثناه في المقالة السابقة، فالأساس هو حب الله تعالى والذي يجب أن يكون مطلقاً ولا يساويه شئ، ولذا قال عليه السلام (اللهم إني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي مبغض)، وإلا فما قيمة الحب في الله في حين أن الله مبغض للمحب نفسه؟! فالأول في شئ الثاني، فإذا كان الأساس باطلاً، فما قيمة الفرع؟!

أما الجانب الثاني فهو التفاعل مع مشاعر الطرف الآخر، فردّ عليه الإمام (أحبك للذي تحبني فيه)، مع بيان السبب وراء هذا الشعور المتبادل والدافع له، وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أنه يحبه).

يا عبد اللّه، أحب في اللّه، وأبغض في اللّه، ووال في اللّه، وعاد في اللّه، فإنه لا تنال ولاية اللّه إلا بذلك...
النبي الأكرم

إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر إلى قلبك، فإن كان يحب أهل طاعة اللّه ويبغض أهل معصيته ففيك خير، واللّه يحبك...
الإمام محمد الباقر

ما التقى مؤمنان قط إلا كان أفضلُهما أشدَّهما حباً لأخيه...
الإمام جعفر الصادق

البشارة:

وأما البشارة للمتحابين في الله فقد جاءت في الخبر التالي، فعن الصادق عليه السلام أنه قال: (إن المتحابين في الله يوم القيامة على منابر من نور، قد أضاء نور أجسادهم ونور منابرهم كل شئ، حتى يُعرفوا به، فيقال: هؤلاء المتحابون في الله).

و في الكافي عن الإمام علي ابن الحسين عليهما السلام أنه قال: (إذا جمع الله عزوجل الأولين والآخرين، قام مناد فنادى يسمع الناس فيقول: أين المتحابون في الله؟ قال: فيقوم عنق من الناس فيقال لهم: اذهبوا إلى الجنة بغير حساب. قال فتلقاهم الملائكة فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة بغير حساب، قال: فيقولون: فأي ضرب أنتم من الناس؟ فيقولون: نحن المتحابون في الله. قال: فيقولون: وأي شئ كانت أعمالكم؟ قالوا: كنا نحب في الله، ونبغض في الله. قال: فيقولون: نعم أجر العاملين).

هل اليهود وراء الاعتقاد بالمهدي؟

١٠ شعبان ١٤٣٠ هـ / ١ أغسطس ٢٠٠٩

تناول عدد من الباحثين دعوى أن عقيدة ظهور المهدي المصلح العالمي في آخر الزمان، وفق التصورين الشيعي والسني، من الإسرائيليات التي غزت الفكر الإسلامي، فللقضية ـ وفق هؤلاء ـ جذور يهودية ومسيحية غير خافية. قال علي السائح الليبي في كتابه (تراثنا وموازين النقد): (ومن هنا نلاحظ أن فكرة الغيبة والعودة فكرة مشتركة عند اليهود والنصارى، وتأثر التفكير الشيعي بهذين المصدرين غير مستبعد)، وقال آخر حول روايات المهدي: (إنها أخبار آحاد لا تصل إلى حد التواتر وإن فكرة المهدي المنتظر هي فكرة يهودية وقد أدخل اليهود هذه العقيدة في المسلمين في الروايات عن المهدي المنتظر). ولا يخفى على الباحث أن المستشرقين تحدثوا قبل ذلك عن أسطورية هذه العقيدة وأنها دخلت التراث الإسلامي من خلال عقائد الأمم السابقة ومنهم اليهود، وهو ما صرح به المستشرق المجري جولدزيهر في كتابه (العقيدة والشريعة في الإسلام). وسنناقش الفكرة من خلال عدة محاور:

عالمية الاعتقاد بظهور المنقذ:

لا يمكن إنكار أن فكرة المنقذ العظيم الذي سينشر العدل بظهوره في آخر الزمان ويقضي على الظلم أمر قديم قدم الأمم والحضارات التي سادت البشرية، فقد آمن بها قدامى المصريين والصينيين والفرس والبوذيين، كما آمن بها اليهود والنصارى، بل وكانت عقيدة عدد من الفلاسفة الغربيين ومنهم الفيلسوف الانكليزي (برتراند راسل) الذي قال: (إن العالم في انتظار مصلح يوحّد العالم تحت علم واحد، وشعار واحد).



وهذا لا يعني بالضرورة أن ما سبق يمثل المصدر لعقيدة المسلمين بذات الفكرة، فللعقيدة الإسلامية مصادرها الخاصة بها ضمن النصوص القرآنية والحديثية، ووجود المشتركات مع بعض الأمم السابقة لا يصادر تلك النصوص. فهل يصح أن نقول أن إيمان المسلمين باليوم الآخر نشأ عن تأثرهم بالأمم السابقة كالمصريين أو النصارى لمجرد الاشتراك في ذات العقيدة؟ من الواضح أن المسألة لا تعالَج بهذه الصورة، وأن وجود المشتركات لا يعني إلغاءها من قاموس العقيدة

أو الشـــريعة أو الفكر، وإلا لاضطررنا إلى إلغاء كثير من مفرداتهـــا لاشـــتراكها كما لا يخفى على كل مطّلع، من قبيل الصلاة والصوم والحج وذبح القرابين (الأضاحي) والإيمان بالملائكة والجن والجنة والنار وغير ذلك. والمنهج الصحيح هـــو أن نـــدرس النصـــوص الإســـلامية الخاصة بالموضوع لنرى مدى أصالتها أو تأثرها بغيرها.

أصالة المهدوية:

لا تستطيع أدلة إنكار أصالة الاعتقـــاد إســـلامياً بالمصلح والمنقذ العالمي الذي سـيملأ الأرض قسطاً وعدلاً في آخر الزمـــان أن تصمد أمام النقد لعدة أسباب:

١ـ تصريـــح علماء الإســـلام علـــى مـــر العصـــور وعلى اختلاف مذاهبهم بأصالة هذه العقيدة، وفي ذلك قال الشيخ صدّيق حسن خان القنوجي البخـــاري في كتابـــه (الإذاعة لمـــا كان وما يكـــون بين يدي الســـاعة): (اعلم ـ رحمك الله ـ أنّـــه لا ريب في أنّ أحاديث خروج المهـــديّ عليه الصلاة والســـلام متواترة، بإجماع من يعتدّ به من أهل العلم وأئمّة الحديـــث، فإنكار هـــذا الأمر المتواتر جرأة عظيمة في مقابل النصوص المستفيضة المشهورة البالغة إلى حدّ التواتر).

وقد ذكر الشيخ عبدالمحسن العباد في دراسته حول أحاديث المهدي عند أهل السنة أن رواة



حديـــث المهدي من الصحابة ستة وعشرون راوياً، أما الأئمة الذيـــن خرّجـــوا الأحاديث والآثـــار الـــواردة في المهدي فيبلغ عددهم ثمانية وثلاثون. أقول: أما عند الإمامية فالأرقام تتضعاف عن ذلك بمراتب.

٢ـ اعتبـــار فقهاء المســـلمين أن منكر هـــذه العقيدة منكر لضـــروري مـــن ضروريات الإســـلام.. بالطبع لست هنا في مقـــام تأييد هـــذه الفتاوى من حيث المضمون والتطبيق، إلا أن الهدف هـــو بيان مدى أصالة هذا المعتقد عند علماء المســـلمين علـــى اختـــلاف مذاهبهم، فقد سُـــئل شـــيخ الإســـلام ابن حجر الشافعيّ عمّـــن أنكر المهـــدي الموعود به؛ فأجاب: (أنّ ذلك إنْ كان لإنكار السُـــنّة رأساً فهو كفر يُقضَى على قائله بسبب كفره وردّتـــه فيُقتـــل، وإن لم يكن لإنكار السُـــنّة وإنّما هو محض عناد لأئمّة الإسلام فهو يقتضي التعزيـــر البليـــغ والإهانة بما يراه الحاكم لائقاً بعظيم هذه الجريمة، وقبح هـــذه الطريقة، وفساد هذه العقيدة، من حبس وضرب وصَفْـــع وغيرها من الزواجـــر عن هَـــذه القبائح، ويرجعه إلى الحقّ راغماً على أنفه، ويردّه إلى اعتقاد ما ورد به الشـــرع ردعاً عـــن كفره).

وأما من علمـــاء الإمامية فقد أجاب شـــيخ الإســـلام محمّد بهاء الدين العاملي عن هذه المسألة بقوله: (الأظهر أنّه من ضروريّـــات الديـــن، لأنّه ممّا انعقد عليه إجماع المســـلمين، ولم يخالف فيه إلا شرذمة شاذّة لا يُعبأ بهم، لا يعتمد عليهم

ولا بخلافهم، ولا يقدح خروج أمثال هؤلاء من ربقة الإجماع في حجّيّته، فلا مجال للتوقّف في كفرهم إن لم تكن لهم شبهة محتملة).

٣ـ وأما اعتماد كثير من منكري المهدوية على مقولة ابن خلدون الذاهب إلى ضعف نصوصها الحديثية، فمردود بأنّ ما تناوله لم يتجاوز ثلاثة وعشرين حديثاً ومن كتب أهل السنة فقط، علماً بأنه لم يحكم بتضعيفها جميعاً بل انتهى إلى الحكم بصحة بعضها، مع أن بعض ما ضعّفه ليس من الضعيف كما قرّره عدد من علماء الفريقين.

٤ـ كيف تكون الفكرة من الإسرائيليات وهي تنص ـ عند المسلمين ـ بأن المهدي والمسيح عليهما السلام سيلتقيان ليقضيا على اليهود؟! ففي مسند الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث طويل: (ثم ينزل عيسى بن مريم.. فينطلقون فإذا هم بعيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فتقام الصلاة، فيقال له: تقدم يا روح الله، فيقول: ليتقدم إمامكم فليصل بكم، فإذا صلى صلاة الصبح خرجوا إليه، قال فحين يرى الكذاب ينماث كما ينماث الملح في الماء فيمشي إليه فيقتله، حتى

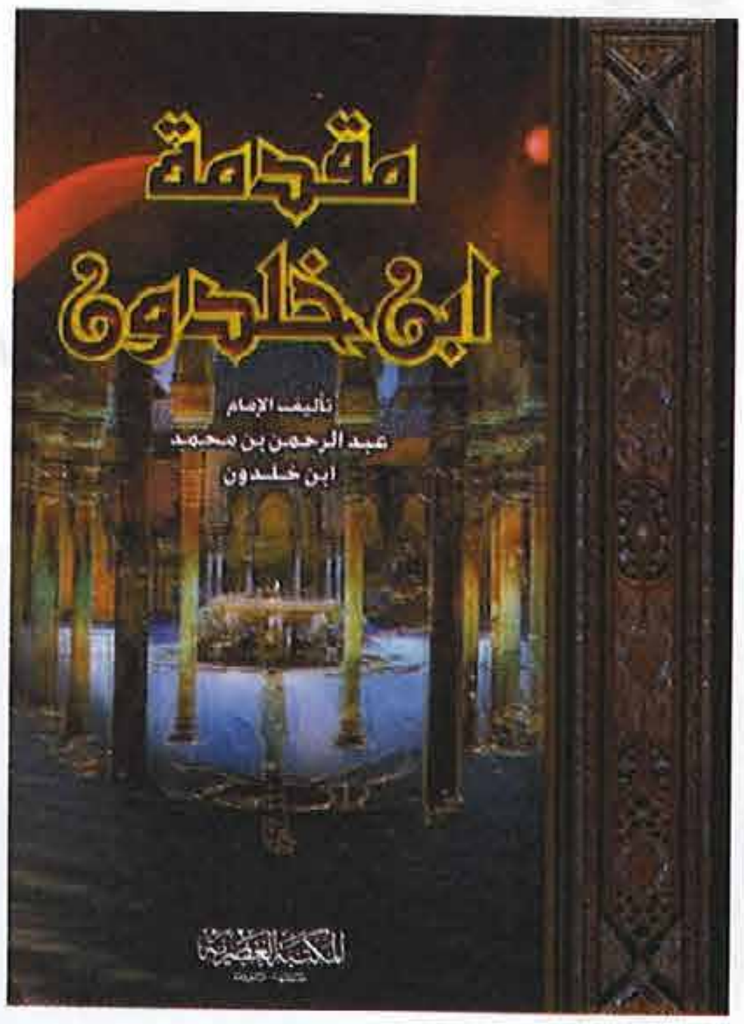

أن الشجرة والحجر ينادي يا روح الله هذا يهودي، فلا يترك ممن كان يتبِعه أحداً إلا قتله).

٥ـ إن المنتظَر عند اليهود هو المسيح عليه السلام، أما عند المسلمين فإن الأحاديث تنص على اختلاف شخصية المهدي عن المسيح، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟) وقد قال السيوطي في (الحاوي للفتاوي): (صلاة عيسى خلف المهدي ثابتة في عدة أحاديث صحيحة بإخبار رسول الله وهو الصادق المصدَّق الذي لا يخلف خبره). وقد كتب بعض علماء الإمامية ما ينفي ـ وبالأدلة ـ اتحاد المسيح بالمهدي.

ثم أقول أي ضير في اشتراك الأمم ـ عبر تاريخ البشرية ـ بهذا الاعتقاد الذي يعني أن وراء هذا الكون حكمة بالغة في التدبير، لا يمكن أن تدع الظلم والفساد يسودان بين العباد، دون أن يكون للعدل حصة في التطبيق على الأرض التي خلقها الله ليرثها الصالحون في نهاية المطاف، فالعدل لا بدّ له أن يسود، وإن طال الزمن. (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) (الأنبياء:١٠٥). (الصديقون يرثون الأرض ويسكنون فيها إلى الأبد) (المزمور ٣٧).

نصوص عديدة تطرقت للحديث عن أنصار المهدي الذين سيحلّقون حوله، ويقودون حركته العالمية، بل إن بعض تلك النصوص تحدثت عن عدد قادتهم وخصائصهم وصفاتهم.

رجال حول المهدي

١٧ شعبان ١٤٣٠ هـ / ٨ أغسطس ٢٠٠٩

ففي صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (.. إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم. هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ). وأخرج أبوداود عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (.. فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق، فيبايعونه بين الركن والمقام).

وروى النعماني في غيبته عن علي عليه السلام: (إن أصحاب القائم شباب لا كهل فيهم، إلا كالكحل في العين أو كالملح في الزاد، وأقل الزاد الملح).

وفي إعلام الورى للطبرسي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: (.. فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة واجتمع إليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا..).

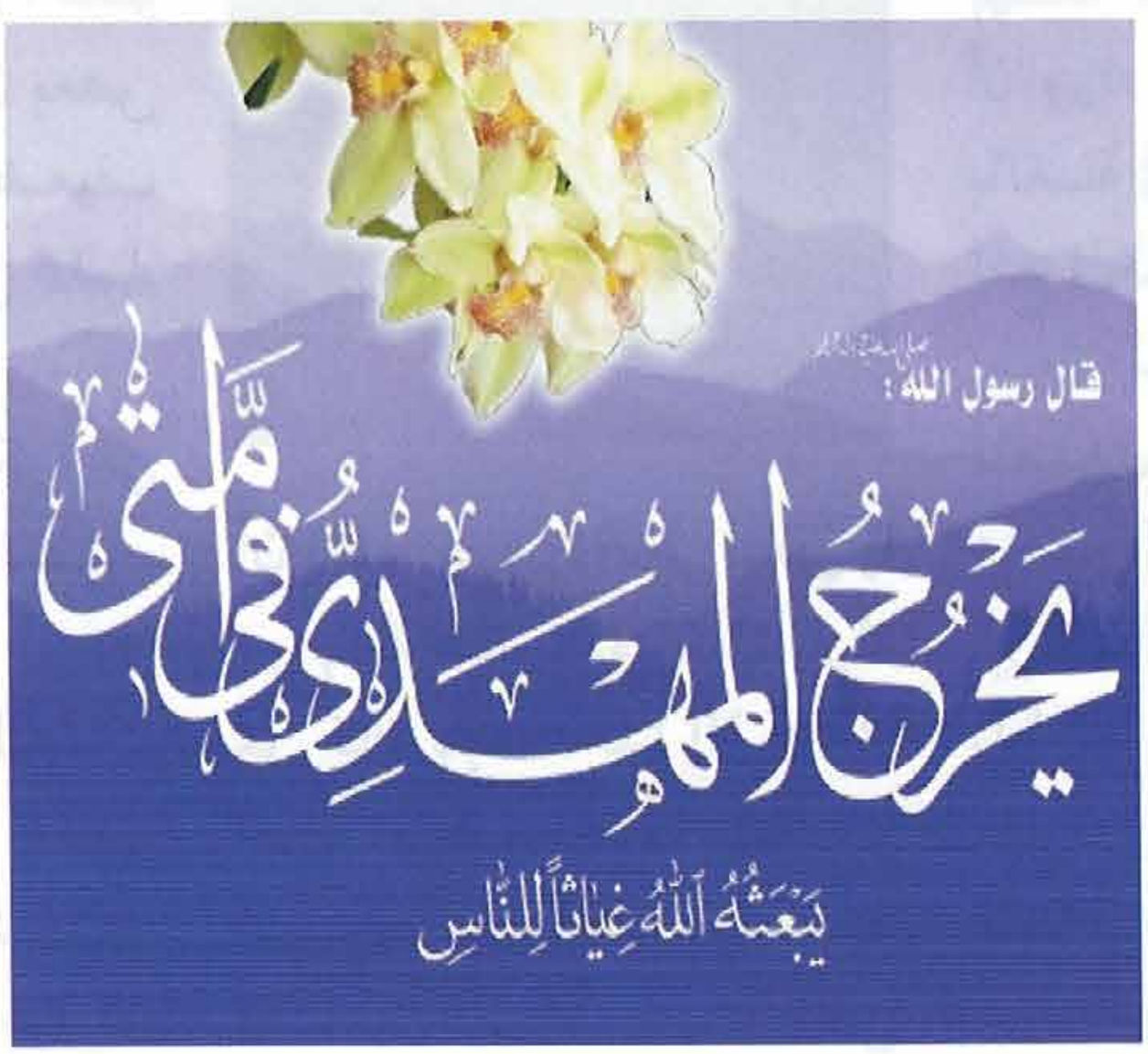

أنصاره رساليون:

ومِن أهم صفات أنصار المهدي هي الرسالية، فهم كما جاء في الآية القرآنية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (المائدة:٥٤)

فالإسلام عندهم ليس حالة ذاتية انكفائية، بل حركة في الداخل تحرّك عقولهم وأرواحهم وجوارحهم، وحركة في خارج الذات تملأ الحياة من حولهم بالحيوية والقوة في اتجاه التغيير لتحقيق العدل وإحقاق الحق، لا يهتزّون أمام أية قوة قد تواجههم، ولا يترددون في

المضي نحو أهدافهم وإن اتحد العالم ضدّهم، ومصالحهم الشخصية لا تمثّل بالنسبة إليهم أية قيمة، بل تُقدَّم كقرابين أمام عزة الإسلام ولتحقيق المصحلة العامة تماماً كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (ووالله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة). وأما انتماءاتهم القومية والعرقية والحزبية والطائفية فلا تتعدى أن تكون خصوصيات شخصية لا تشكّل دافعاً أو عائقاً في تحركهم نحو الهدف الكبير الذي سخّروا أنفسهم لتحقيقه تحت راية المهدي الذي يخرج ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

هل نحن رساليون؟

إن الذين يأملون أن يكونوا من أنصاره لو خرج في زمانهم، والذين يتطلعون لظهوره في زمن قريب ليجتمعوا تحت لوائه، عليهم أن يسألوا أنفسهم: هل هم رساليون؟ هل يحملون همّ الإسلام؟ هل انعدام العدل خارج نطاق دائرة حركتهم في الحياة وفي ما لا يتعارض مع مصالحهم يمثّل مشكلة بالنسبة إليهم؟ هل يقدّمون مصلحة الإسلام والمصلحة العامة على مصالحهم الشخصية؟ هل هم على استعداد للتنازل عن مكتسابتهم الذاتية وتقديم الآخرين على أنفسهم في المواقع القيادية والمناصب العليا لو تطلب الأمر ذلك؟

كان العالم المسلم ـ في ذات الوقت الذي ينشغل فيه بكسب العلوم ـ الإنسان صاحب المشاعر المرهفة والغيرة المتجذّرة التي لا تسمح له أن يرى الظلم فيصمت، ويرى الباطل فيكتفي بالاسترجاع

إن التدين وحده لا يعني بالضرورة أن المتدين إنسان رسالي.. واكتساب المعارف الدينية والتخصص الشرعي لا يجعلان من العالم شخصية رسالية.. والانتماء إلى الأحزاب والحركات الإسلامية ليس معياراً لتقييم مدى رسالية المسلم.. وكم من متديّن لا يرى للدين موقعاً إلا في زوايا المساجد.. وكم من عالم منكفئ على نفسه أو يعتبر علمه حالة أكاديمية لا أكثر.. وكم من حزبي أطّر حركته بمصالح حزبه فكانت حزبيته مقدَّمة على إسلاميته.

إن الرسالية ليست بالعناوين ولا بالمناصب ولا بالانتماءات ولا بمجرد العلم ولا بالتدين فقط، بل كما كان المسلمون في عصور مضت حيث كان إسلامهم دعوةً ـ كممارستهم له ـ وبصورة عفوية انطلاقاً من الإحساس العميق بأن الإسلام يجب أن يملأ الحياة بمبادئه وتطبيقاته.

نماذج رسالية:

لقد كانت الشخصية الرسالية حاضرة بقوة في شخصية المسلم في تلك العصور.. فلم تمنع انشغالات التاجر المسلم في تجارته وتحقيق أرباحه المادية من أن يكون داعيةً إلى الله سبحانه قولاً وعملاً، في حِلّه وترحاله، ولو ببناء مسجد صغير أو بيتٍ للقرآن أو مشروع خيري..



ولـــذا كان في طـــولِ تجارته مسلماً رسالياً.

وكان المحاربِ المسلم رسالياً في حـــــربه، يستغل فترات الهـــــدنة أو السلـم ليشعر أن مهمتـــه لم تنتهِ بانتهـــاء الحرب، بـــل يجد مســئوليته قد بدأت بذلـــك، لأن قضية الحرب عنده ليســـت هي فتح البلاد للســـلطة وللاستعمار، بل هي من أجل إفساحِ المجال لكلمـــة الله أن تُقال وتُمارِس دورها في الإقناع بحرية وقوة.

علماء الإسلام:

وكان العـــالم المســـلم ـ في ذات الوقـــت الذي ينشـــغل فيه بكســـب العلـــوم وتنمية مهاراته والترقـــي في مراتب المعرفة ـ لا يكتفي أن يُشـــار إليه بالبنان كشـــخصية تمتاز علمياً عمن ســـواها، بل كان الإنســـان صاحب المشـــاعر المرهفة والغيرة المتجذّرة التي لا تســـمح له أن يرى الظلم فيصمت، ويرى الباطـــــل فيكتفي بالاسترجاع.

ومـــن خلال ذلـــك أصبح الإســـــلام بمبادئه العظيمـــة وتشريعاته السماوية دعوة تمتد إلى أقاصي العالم من البلـــدان الـــتي لم تصلهـــا الفتوحات ولم يبلغها الحكم الإســـلامي في بدايـــات عهد الإســـلام.. بل ربمـــا انطلقت الدعوة من المسلمين المغلوب على أمرهم للغـــزاة الذين يغزونهـــم ويحتلـــون أرضهم، فلم يلبثوا أن يدخلوا في الإسلام بفضل الدعـــاة المسلمـــين الذين فتحـــوا قلوبهم لله وأفكارهم لشـــريعته، مما جعـــل الغزاة البرابـــرة كالمغـــول يتحوّلون إلى الإســـلام ويعمـــلون له ويحاربون من أجله.

نصرة المهدي:

إن من يريد أن يكون من أنصـار المهدي يجب أن يكون رسالياً، لأن حركة المهـدي حركة رسالية من أجل بســـط العدل ونشر كلمـــة التوحيـــد، ورسالة الإســـلام هي رســـالة العدل ورســـالة التوحـــيد، وهي مسؤولية المســـلمين كلهم في الدعـــوة إليهـــا وفي الالتزام بهـــا، وفي تقويـــة مواقعها ومواقفها، وفي الامتداد بها إلى العالم كله، ليكون العالم كلّه، بجهدنـــا وبما نملـــك من طاقة، إســـلامياً.. تلك هي مهمتنا، لأن الله أرسل الرسالة للعالم كله (وَمَا أَرْسَـــلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً)(سبأ: مـــنَ الآية٢٨) كما ســـيخرج المهـــدي عليه الســـلام لينقذ العالَم كلّه.

قال تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْس شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ) البقرة:٤٨.. هل تتعارض هذه الآية مع اعتقادنا بالشفاعة، وهو اعتقاد نابع من نصوص أخرى قرآنية وبعض الأحاديث المشهورة عن النبي وآله عليهم السلام، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (ادخرتُ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)؟

الرهانة و الإقامة و الخلود في سجن النار، و أما ما يتقدم عليه من أهوال يوم القيامة وعظائمها فلا دليل على وقوع شفاعة فيها، لو لم تدل الآية على انحصار الشفاعة في الخلاص من رهانة النار.. فتحصّل أن المتحصَّل من أمر الشفاعة وقوعها في آخر موقف من مواقف يوم القيامة باستيهاب المغفرة بالمنع عن دخول النار، أو إخراج بعضِ

لله وحده، قال تعالى (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً) الزمر: من الآية٤٤.

٣. الآيات التي تثبت الشفاعة لغير الله تعالى بإذنه وارتضائه، كقوله سبحانه (يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً) طه:١٠٩.

فالآيات من القسم الثاني تُثبت الشفاعة لله وحده لا شريك له بنحو الأصالة، فلا تتنافى بالتالي مع الآيات من

ولا يُقبَل منها شفاعة

٢٤ شعبان ١٤٣٠ هـ / ١٥ أغسطس ٢٠٠٩

شفاعة الآخرة:

بدايةً لابد من التنبيه إلى أن موضوعنا يتعلق بالآيات التي تحدثت عن الشفاعة في الآخرة، وهي إنما تكون في آخر موقف من مواقف يوم القيامة، قال العلامة الطباطبائي: (فالآيات دالة على توصيف مَن تناله الشفاعة و مَن يُحرَم منها، غير أنها تدل على أن الشفاعة إنما تنفع في الفك عن هذه

مَن كان داخلا فيها، باتساع الرحمة أو ظهور الكرامة).

ثلاثة أقسام:

ويمكن تقسيم الآيات القرآنية التي تحدثت عن الشفاعة في الآخرة إلى ثلاثة أقسام:

١. الآيات النافية لوقوع الشفاعة، كالآية السابقة.

٢. الآيات التي تثبت الشفاعة

القسم الثالث التي تثبتها لغيره سبحانه، لأنها شفاعة بالإذن الإلهي وليست بالأصالة.

وأما الآيات التي تنفي الشفاعة في يوم القيامة فقد قال فيها بعض المفسرين أنها جاءت لتنفي الشفاعة على نحو الاستقلال وبدون الإذن الإلهي، لا مطلق الشفاعة.. إلا أن الآية لربما في صدد نفي الفهم الخاطئ السائد في ذلك

الزمان، والذي يسود في أذهان البعض اليوم، وخلاصته: أن البعض يتصور أن قضية الشفاعة قضية شخصية، فإذا أتيتُ بعمل إيجابي تجاه من أرجوِ شفاعته، فإني سأحمّله جميلاً يدعوه ـ استحياءً ـ في يوم القيامة إلى أن يشفع لي، فكيف يردّني ـ حينذاك ـ وأنا الذي ذكرته في الدنيا وأحسنت إليه؟! وهذا الجميل قد يكون من قبيل زيارة مرقده أو إقامة مجلس ديني باسمه أو التصدق نيابة عنه.

فهم خاطئ:

فكأن الآيات تقول: هذه ذهنية من يتعامل مع الملوك وليس مع الله ومع الشافعين، لأن ـ وفق المنظور القرآني ـ علاقتنا بالشفعاء ليست شخصية، بل قائمة على أساس الدينٍ، فمتى ما كان الإنسان مؤمناً مستقيماً صالحاً، فعندها يستحق أن يُشفع له في بعض ذنوبه الكبيرة التي لم تُمح من سجل أعماله، لا أن يأتي الإنسان بما شاء من فواحش ومعاصي وموبقات، ثم ينتظر شفاعة الشافعين لأنه يحبهم، أو لأنه أتى بعمل خير باسمهم.

ولذا قال تعالى (وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) (الانبياء: من الآية٢٨) وفسرها الإمام الرضا عليه السلام حيث قال: (إلا لمن ارتضى الله دينه). أي على الإنسان أن يهيئ الأرضية والمقدمات بالإيمانٍ والتقوى والعمل الصالح أولاً، ومن ثم يرجو شفاعة الشافعين.

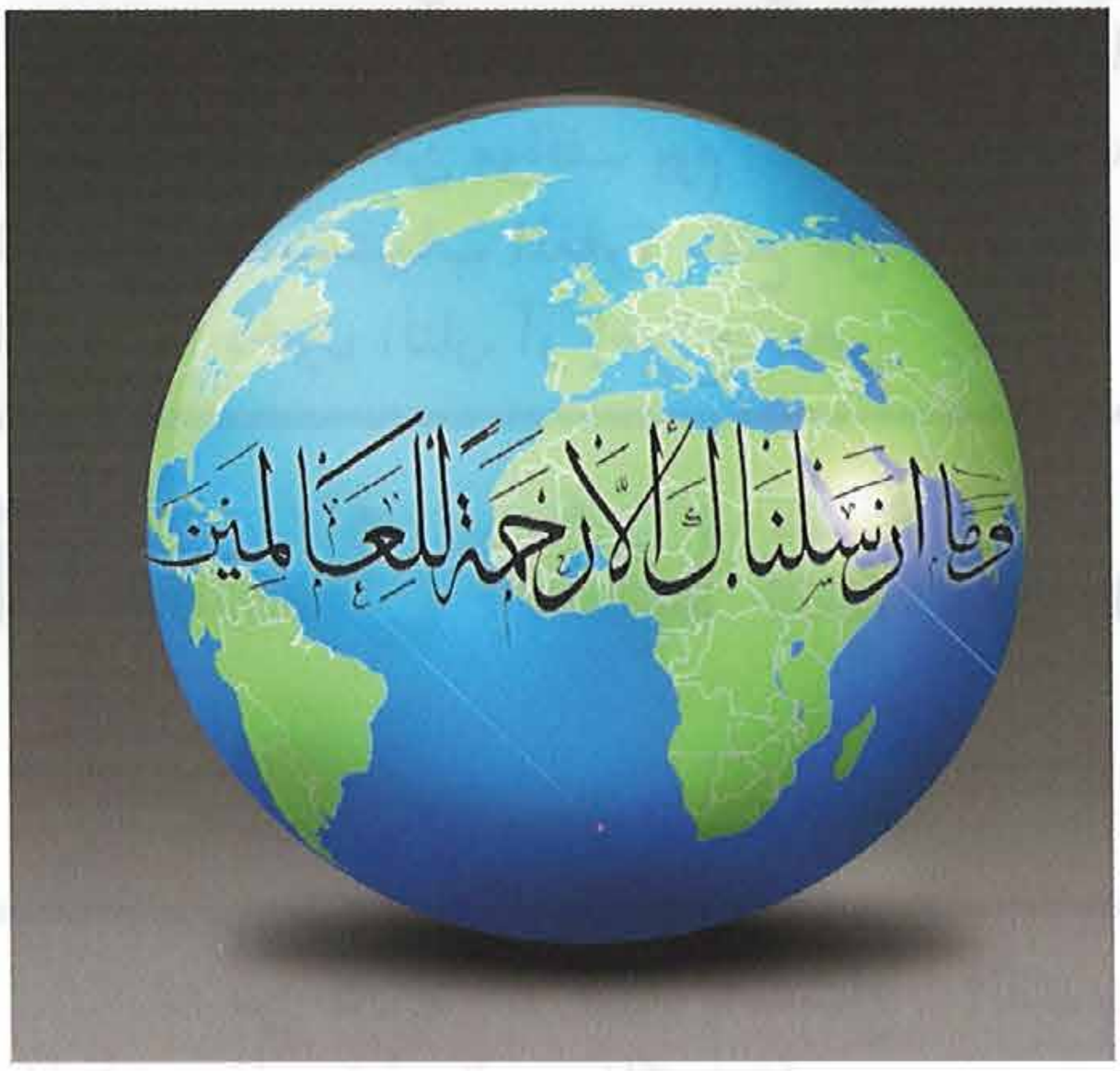

الصلوات الشعبانية:

وفي الصلوات الشعبانية المروية عن الإمام زين العابدين عليه السلام ما يدل على الارتباط الوثيق بين الأمرين: (اللهم وَهذا شَهْرُ نَبِيِّكَ سَيِّدِ رُسُلِكَ، شَعْبانُ الَّذي حَفَفْتَهُ مِنْكَ بِالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوانِ، اَلَّذي كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَدْأَبُ في صِيامِه وَقِيامِه في لَياليهِ وَأَيّامِه نُجوعاً لَكَ في إكْرامِه وَإعْظامِه إلى مَحَلِّ حِمامِه.

اللّهُمَّ فَأَعِنّا عَلَى الاسْتِنانِ بِسُنَّتِه فيهِ، وَنَيْلِ الشَّفاعَةِ لَدَيْهِ، اللّهُمَّ وَاجْعَلْهُ لي شَفيعاً مُشَفَّعاً وَطَريقاً إلَيْكَ مَهيعاً، وَاجْعَلْني لَهُ مُتَّبِعاً حَتّى أَلْقاكَ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَنّي راضِياً، وَ عَنْ ذُنوبي غاضِياً، قَدْ أَوْجَبْتَ لي مِنْكَ الرَّحْمَةَ وَالرِّضْوانَ، وَأَنْزَلْتَني دارَ الْقَرارِ وَمَحَلَّ الأَخْيارِ).

رمضـــــان الغضـــــب !!

١ رمضان ١٤٣٠ هـ / ٢٢ أغسطس ٢٠٠٩

أنا غاضب.. فإذا أنا صائم!! بالفعل.. ما العلاقة بين شهر رمضان وازدياد حدة الغضب؟ فمن المفترض أن الصيام يهذب سلوكيات الإنسان، فلم يكون الواقع خلاف ذلك؟

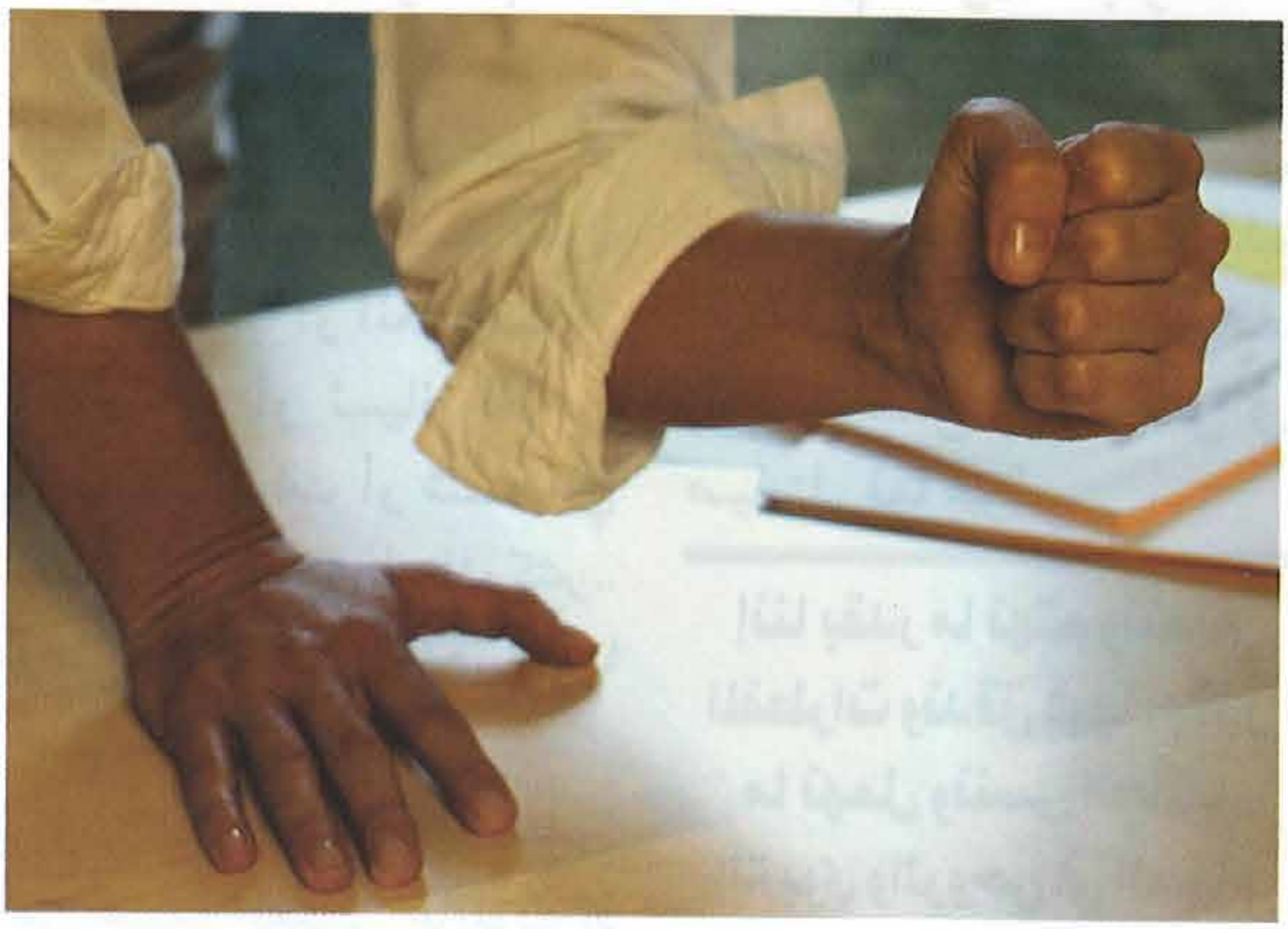

التطهير الروحي:

لو رجعنا إلى التشـــريعات الإســـلامية لوجدناها تهدف إلى عـــدة أمـــور، مـــن أهمها تربية النفس. قـــال الله تعالى بخصـــوص تشـــريع الوضوء والغُسل والتيمم: (وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَـــفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَـــدٌ مِنْكُمْ مِـــنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْـــتُمُ النِّسَـــاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَـــاءً فَتَيَمَّمُـــوا صَعِيـــداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْـــهُ مَـــا يُرِيـــدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُـــمْ مِـــنْ حَـــرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُـــمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُـــمْ تَشْكُرُونَ) المائـــدة:٦، ومن المعلوم أن من يريد أن يتنظف لا يســـتخدم التراب لهـــذا الغـــرض، بل إن الإنسان يســـتقذر التراب عـــادةً، وخصوصاً وضعه على الوجـــه.. ومع هـــذا فإن الله ســـبحانه يعتبر أن استخدام التراب من خلال فعل التيمم هو تطهير للإنســـان.. فالمسألة إذاً لها علاقـــة بتطهير النفس من الكِبر والغفلة والعجب، مع التذكير بأصل الإنســـان ومرجع الإنسان..

محرمات الإحرام:

وهكـــذا في الحج والعمرة، هناك مجموعة مـــن المحرمات، قســـم منها تهدف إلى تدريب الإنســـان على السيطرة على القـــوة الغضبيـــة، وتحويلـــه إلى شـــخص مســـالم مسيطر علـــى نفســـه، لا يعتدي على الآخرين، بل حتى على سائر الموجودات. وهذا ما نلاحظه

في تحريم السب أثناء الإحرام، وتحريم حمل السلاح وإخراج الدم والصيد بل وحتى قتل هوام الجسد!

وهكذا سائر العبادات التي لا تخلو من هدف تطهير النفس البشرية من خلل أو مرض نفسي ما، قد يكون كِبراً أو عجباً أو انغماساً في الشهوات، أو نسياناً للآخرة أو حباً للذات أو شحاً في العطاء وغير ذلك كثير.. وعلى كل حال يصدق عليها جميعاً عنوان التطهير..

ومن المؤسف أن أكثر الناس عن هذا المعنى غافلون، إذ ينصبّ تركيزهم على البُعد التشريعي الفقهي في العبادة (جسد العبادة)، ويهملون الجانب الآخر الذي هو بمثابة الروح من الجسد، لتتحول العبادة إلى مجرد حركات أو عملية حرمان مؤقت لا عمق له ولا معنى.

لعلكم تتقون:

وبالعودة إلى الحديث عن الصيام فالمفترض أن العنوان الرئيسي للصيام هو تحصيل التقوى أو تقوية هذا الجانب. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(البقرة:١٨٣) ومن الواضح أن التقوى لا تتناسب مع سرعة الغضب في غير مورده المناسب، وأن الحِلم أقرب إليه وأكثر انسجاماً.. إذاً لابد من وجود خلل في صيامنا.. فما هو؟

إننا بقدر ما نهتم ونتعلم المفطرات وندقق فيها، بقدر ما نهمل وننسى الجانب التربوي والروحي في الصيام

عاملان رئيسيان:

بتصوري أن أهم سببين يتمثلان في عدم الارتياح النفسي من الصيام.. وكأن الإنسان في اللاشعور غاضب على أصل التشريع.. لماذا هناك شيء اسمه صيام يغيّر علينا روتين الحياة، ويحرمنا من التنعم ببعض الملذات؟ وهو غاضب على نفسه.. لماذا يلتزم بهذا التشريع؟! وبالتالي يفرّغ كل هذا الغضب المحتقن على مَن حوله ولأتفه الأسباب، بل وبدون سبب.

هذا أولاً.. وأما ثانياً.. فالأمر يعود إلى تركيزنا على البُعد الفقهي (الجسد) من العبادة فقط، أي أننا بقدر ما نهتم ونتعلم المفطرات وندقق فيها، بقدر ما نهمل وننسى الجانب التربوي والروحي في الصيام، وهو ما يحوّل العبادة إلى جسد بلا روح ويفرغها من مضمونها الأصلي.

خارطة طريق:

ويمكن أن نقول أن النصوص الشريفة التي تتحدث عن تقديم النبي الطعام لتلك الصائمة التي شتمت جارتها ـ على الرغم من أن المفطرات الشرعية لا تتضمن هذا العنوان ـ والنصوص التي تتحدث عن مفطّرية الغيبة والكذب والنميمة وما إلى ذلك، وأن الصائم لا يعود من صيامه بنتيجة سوى الجوع والعطش، كل هذه من شأنها أن تساعد الصائم في رسم خارطة الطريق لصيام يكون أقرب لتحقيق الهدفً العام، وهو التقوى.

كذبة وصدّقناها

٨ رمضان ١٤٣٠ هـ / ٢٩ أغسطس ٢٠٠٩

(الشيعة لا يحبون الصحابة..) كذبة وصدقناها.. حتى بات ذكر صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين نصروه وعزروه واتبعوا النور الذي أنزل معه غريباً في مجالس الشيعة إلا ما ندر.. تماماً ككذبة أن (السنة لا يحبون أهل البيت..) والتي انطلت على كثيرين وانعكست حتى على المناهج التربوية عندنا في الكويت فلا تكاد ترى ذكراً لهم إلا ما ندر على الرغم من الآية القرآنية (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ في الْقُرْبَى)(الشورى: من الآية٢٣).. وكأن كل فئة ـ نكايةً بالأخرى ـ تهمل ذكر هذا أو ذاك، لأنه من مختصات الطرف الآخر الذي تحمل عليه في وجدانها الكثير من المواقف السلبية وموروثات النزاع الطائفي الأليم.

الإمام يوضح الصورة:

روى الشريف الرضي رحمه الله عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قوله: (انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم، واتّبعوا أثرهم فلن يُخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى. فإن لبدوا فالبدوا وإن نهضوا فانهضوا. ولا تسبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا. لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما أرى أحداً يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً وقد باتوا سُجّداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم. كأنّ بين أعينهم ركب المِعزى من طول سجودهم. إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجرِ يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء الثواب).

نعم.. نحن لا ننكر أن الشيعة لا ترى عدالة كل الصحابة، ولهم في ذلك ما يستدلون به، إلا أن هذا لا يعني نكران تاريخهم والبطولات التي حققوها والتضحيات الجسام التي قدّموها تحت راية الإسلام، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الإطار واضح وجليّ.. فلم الإهمال والتغاضي؟!

بين يدي الرسول الأعظم:

في السبعينيات من القرن الماضي، وكنت حينها في المرحلة المتوسطة، كانت سلسلة (بين يدي الرسول الأعظم) الأدبية التاريخية لمؤلفها السيد محمد بحر العلوم من أوائل الكتب التي طالعتها ومازلت أحتفظ بنسخة منها أعطيتها لأحد أبنائي ليطالعها، و عشت من خلالها سيرة العديد من صحابة النبي المخلصين الذين أشرق التاريخ الإسلامي بمواقفهم، من قبيل عاصم بن ثابت ورفاعة بن أبي رافع و عبيدة بن الحارث وبريدة بن الحصيب وغيرهم.

ويعجبني هنا أن أنقل جانباً من مقدمة المؤلف حيث كتب: (وكما هي عادتي في عرض السيرة والتاريخ، أسجل الأحداث الهامة التي ترتبط بالعقيدة، ليكون كل فرد على معرفة تامة بها، ووعي كامل بمضامينها، وخاصة تلك الجوانب التي أفرزت ـ نتيجة التضليل التاريخي ـ تخلفنا في استيعاب الحقائق الهامة، وتغيير مسار الواقع في تدوين التاريخ الإسلامي لصالح التعصب الأعمى والتطرف الأرعن على حساب الفكر والإيمان).

معالجة الخلل:

إلا أنه للأسف باتت أمثال هذه المؤلفات غير رائجة في وسطنا الشيعي بسبب ما ذكرته آنفاً، والأمر يحتاج إلى معالجة.

كما كنا وما زلنا نلح ونطالب إخواننا أهل السنة بمعالجة إهمالهم لسيرة أهل بيت النبي عليهم السلام الذين أوصى بالتمسك بهم، ففي صحيح مسلم كتاب (فضائل الصحابة) باب (من فضائل الإمام علي) بسنده عن يزيد بن حيان قال: (انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد ابن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيتَ يا زيد

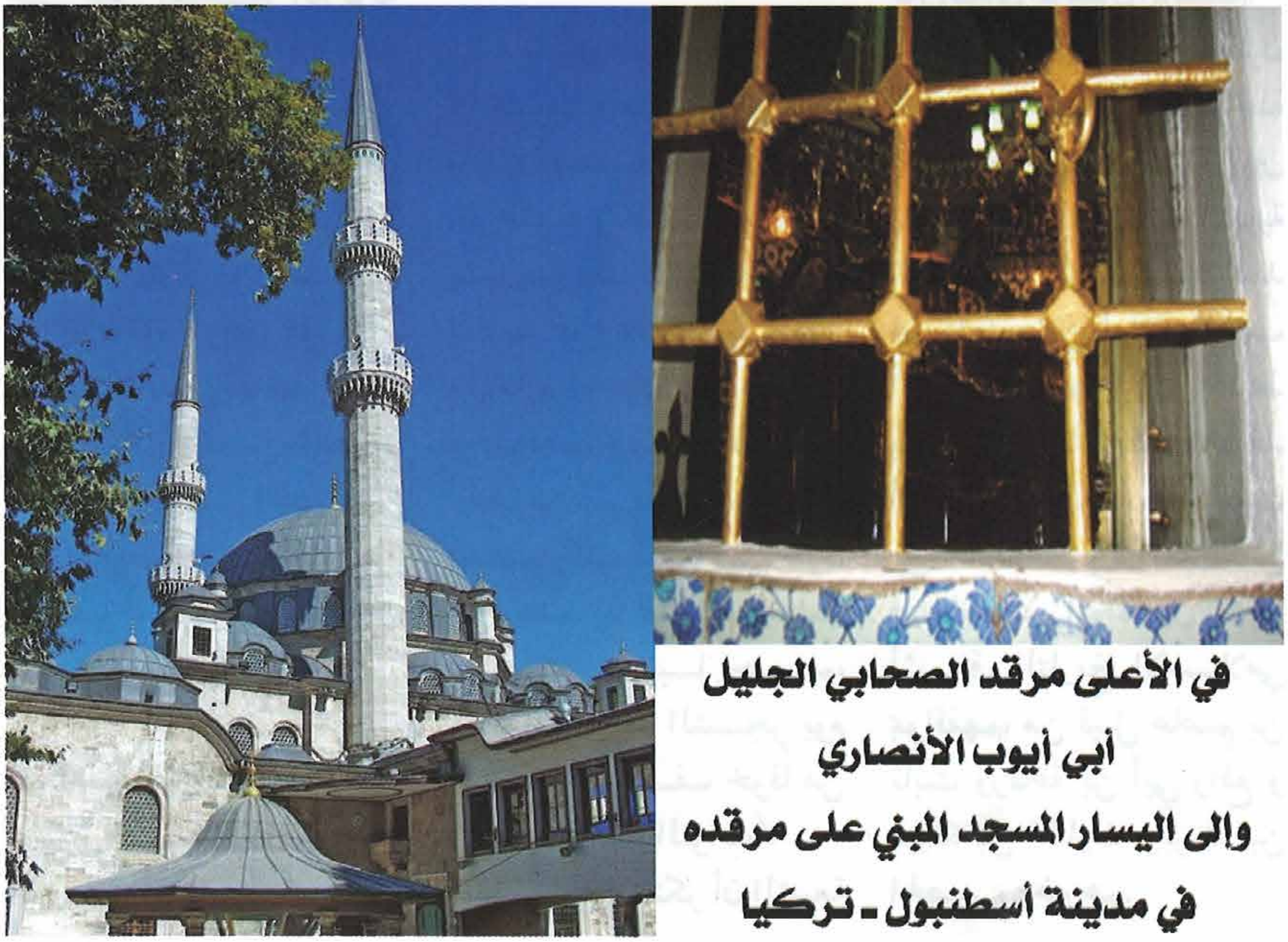

في الأعلى مرقد الصحابي الجليل
أبي أيوب الأنصاري
وإلى اليسار المسجد المبني على مرقده
في مدينة أسطنبول ـ تركيا

خيراً كثيراً، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه، لقد لقيتَ يا زيد خيراً كثيرا، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: يا ابن أخي، والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفونيه.

ثم قال: قام رسولٍ الله صلىٍ الله عليه وسلِم يوماً فينا خطيبا بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال:

أما بعد ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك ان يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به.

فحث على كتاب الله ورغّب فيه ثم قال: وأهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي).

لا تُخلوا الساحة للمتطرفين:

إن الاهتمام بسيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنٍ يجعل المسلم الشيعي سنياً يؤمن بعدالة كل الصحابة، كما أن الاهتمام بسيرة أهل البيت عليهم السلام من قبلٍ المسلم السني لن يجعله شيعياً يؤمن بضرورة كون الخلافة في أهل البيت فقط ويتخلى عن عقيدته بأن الخلافة ليست بالضرورة فيهم.. كما يؤمن بذلك الشيعة.

وأما إذا أخلينا الساحة للمتطرفين والمغالين من الجانبين فلن يعود ذلك على أمة الإسلام بأي خير، وهي التي كانت وما زالت تواجه تحديات من الداخل بقدر ما تواجه تحديات الخارج.. في صور الأحقاد والتمزقٍ المذهبي الذي مازال آخذاً في التطرف مع انتشار الخرافة وغياب العقل وضياع الكثير من قيم الحياة الكريمة والعادلة.

دعاء لأصحاب النبي:

وهذا مقطع من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في الصلاة على أتباع الرسل ومصدقيهم: (اللهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحابة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالاته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، وانتصروا به، ومن كانوا منطوين على محبته يرجون تجارة لن تبور في مودته، والذين هجرتهم العشائر إذا تعلقوا بعروته وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظل قرابته. فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك، وارضهم من رضوانك وبما حاشوا الخلق عليك وكانوا مع رسولك دعاة لك إليك واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم، وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه، ومن كثرت في إعزاز دينك من مظلومهم).

التجـــــربة الأفشـــــارية

١٥ رمضان ١٤٣٠ هـ / ٥ سبتمبر ٢٠٠٩

تحقيق الوحدة أو التقريب أو التعايش السلمي بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم بحاجة إلى أسس وقواعد مهمة تقوم عليها لتكون راسخة في وجودها، وممتدة في الزمن. ومن أهم الأسس في هذا الإطار الحوار العلمي الصادق القائم على النوايا الحسنة، مع الجدّية في الطرح، والمصارحة حول القضايا ذات الأولوية التي تحول دون تحقيق الهدف، لا حوار الشعارات والخطب الرنانة التي لا تتجاوز في مداها جدران قاعة الاجتماع.

إلا أن العامل الآخر المهم هو أن لا يكون منطلق هذه المشاريع سياسياً، لأنه لن يكون رهن البحث العلمي والمصالح الحقيقية للأمة بقدر ما سيكون رهن المصالح والتجاذبات والمتغيرات السياسية التي تجعل عدو الأمس صديقاً، وصديق اليوم عدواً. ويمثل مشروع الملك الإيراني نادر شاه أفشار (١١٠٠هـ ـ ١١٥٩ هـ) خير دليل على أهمية مراعاة هذا الأساس لئلا تذهب الجهود أدراج الرياح، على الرغم من المساعي التي بذلها والتنازلات التي قدمها لإنجاح مشروعه كما سنرى.

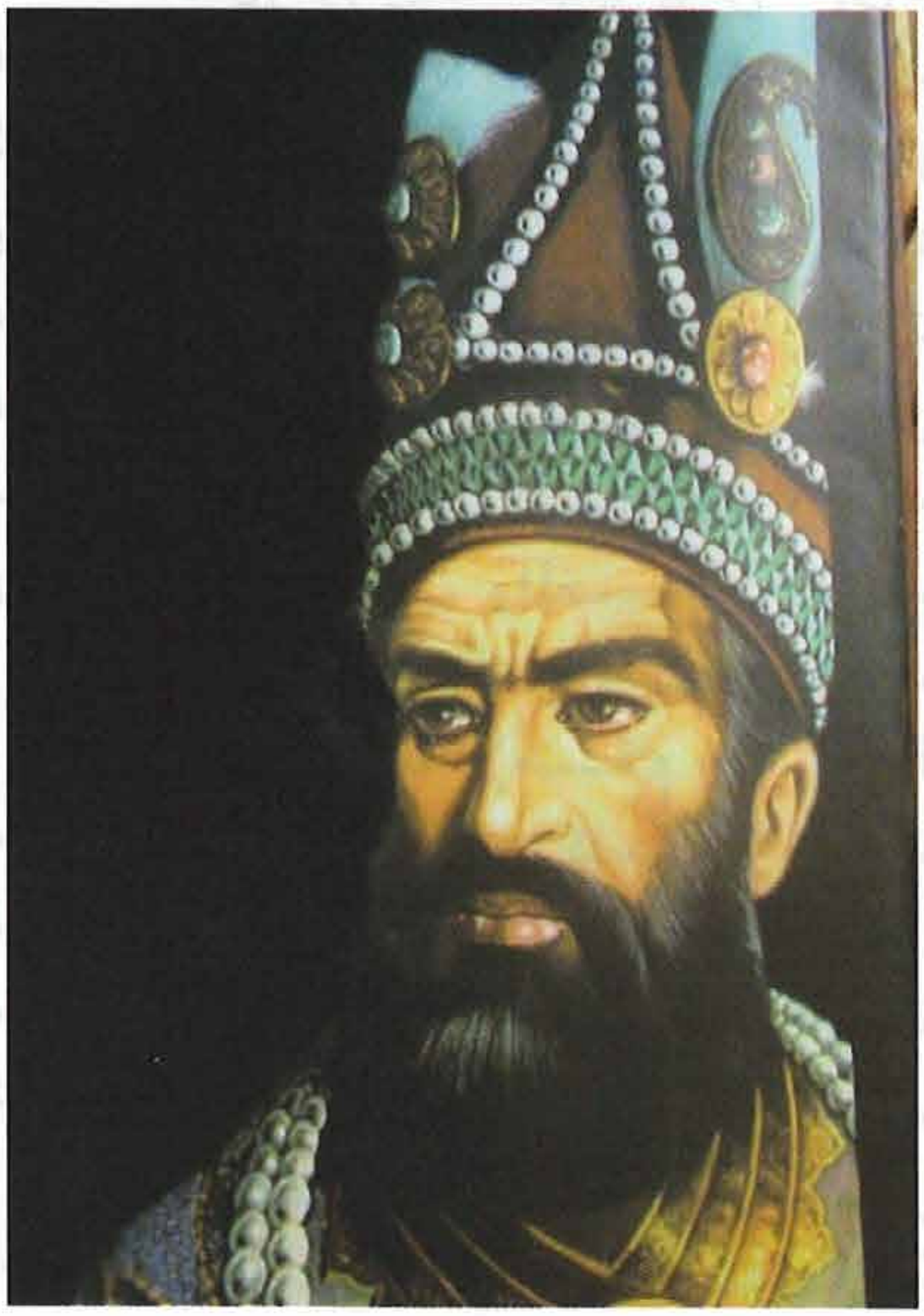

مشروع نادر شاه:

بعد سقوط الدولة الصفوية على يد محمود الأفغاني، ثم انتصار القائد العسكري الإيراني نادر قلي خان على الأفغان وطردهم من العاصمة أصفهان، ومحاولته الفاشلة في إعادة الحكم إلى الصفويين، تم تتويجه ملكاً على إيران عام ١١٤٨ هـ، بدأ نادر شاه حروبه الطويلة لبسط نفوذ الدولة الإيرانية والاستمرار في

الصراع القديم مع العثمانيين. وهكذا استطاع أن يسيطر على الهند وبلخ وبخارى وأفغانستان والتركستان، فأصبح ملكاً على أربعة دول ذات امتداد جغرافي واسع، وبقوميات ومذاهب متنوعة.

ويمم نادر شاه وجهه نحو العراق التي كانت تحت سيطرة العثمانيين، فنجح في ضم أجزاء واسعة منها إلى حكمه، ولكنه لم يفلح في إسقاط العاصمة بغداد. وطوال فترة غزوه للعراق كان نادر شاه يراسل والي بغداد (أحمد باشا) سعياً لتحقيق صلح بين السنة والشيعة يقوم على أساس الاعتراف بالمذاهب الخمسة، بما فيها الشيعة الإمامية، وتعيين مقام خاص بهم في الحرم المكي أسوة بالمذاهب الأربعة الأخرى، إلا أن محاولاته جميعها باءت بالفشل.

مؤتمر النجف:

وفي عام ١١٥٦ هـ صمم نادر شاه على الذهاب لزيارة العتبات المقدسة في العراق، وأن يستفيد من فترة وجوده لطرح الأمر مجدداً على الوالي العثماني، فاصطحب معه عدداً من الفقهاء من مختلف المذاهب ومن القوميات المتعددة التي كانت تحت حكمه، فزار مراقد الأئمة عليهم السلام في النجف وكربلاء والكاظمين بالإضافة إلى قبر الإمام أبي حنيفة في الأعظمية، ثم أقام مخيمه الملكي في النجف الأشرف، وطلب من علماء العراق على اختلاف مذاهبهم الحضور للمشاركة في هذا المؤتمر، فبلغ المجموع سبعين فقيهاً، كما أرسل الوالي العثماني علامة العراق وشيخ الإسلام العثماني الشيخ عبدالله السويدي العباسي (ت١١٧٤ هـ).. ووفق تعبير بعض المؤرخين فإن نادر شاه لم يترك وسيلة في التقريب بين السنة والشيعة إلا توسل بها لإنجاح اللقاء والوصول إلى نتائج عملية.

نتيجة الحوار:

وهكذا بدأت جلسات الحوار في المخيم، وتناولت قضايا الإمامة والخلافة، حتى إذا تمت الجلسات في الرابع من شوال ١١٥٧ هـ، ختم الحاضرون لقاءاتهم بالتصافح وكان أحدهم يقول للآخر (أهلاً يا أخي).. ولك أن تتخيل عزيزي القارئ إلى أي مدى بلغ التنافر بين أتباع المذاهب الإسلامية حتى كان النداء بالأخوة أمراً ملفتاً للنظر!!

وفي اليوم التالي كُتبت وثيقة بشهادة نحو الستين ألفاً ممن حضروا المجلس بجوار مرقد الإمام علي عليه السلام، وأعقب ذلك احتفال قال عنه الشيخ السويدي في كتابه (الحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية): (وبعث الشاه بالحلويات في صواني الفضة ومبخرة من الذهب مرصعة بالجواهر فيها العنبر، فتبخرنا وأكلنا، ووقف الشاه تلك المبخرة على حضرة سيدنا علي، ثم أرسل إليّ وقرّبني وقال لي: جزاك الله خيراً، وجزا أحمد خان (باشا) خيراً، فما قصّر في إصلاح ذات

البين وحقن دماء المسلمين، أيّد الله سلطان آل عثمان وزاده عزاً ورفعة. ثم قال: أريد أن تبقى غداً لأني أمرت بصلاة الجمعة في مسجد الكوفة وأن تُذكر الصحابة على المنبر على الترتيب ويُدعى لأخي الكبير سلطان آل عثمان ثم يدعى للأخ الصغير - يعني نفسه -...).

فشل المشروع:

وللأسف فإن كل الجهود التي بذلت في هذا الطريق والتقارب الذي تحقق لم يكتمل بسبب التعصب الذي أبداه البعض حين أرسل نادر شاه مبعوثاً من قبله هو السيد نصرالله الحائري ليكون إماماً في الحرم المكي مع سائر أئمة المذاهب الأخرى، وليكون ترجمة عملية لما جاء في الوثيقة، وأرسل معه هدايا إلى شريف مكة، حيث سعى بعض أهل مكة لقتله، ومنعوا الشريف من الموافقة على المشروع، فجاء الأمر بمغادرته مكة إلى إسطنبول، إلا أن الحائري لم يلبث أن اغتيل على يد بعض المتعصبين، فانتهت بذلك جهود التقارب، وفشل مشروع نادر شاه، ليبقى علامة في التاريخ تشهد على ضرورة معالجة مسألة التقريب بعيداً عن أروقة السياسيين وحساباتهم.

لوحة تصور إحدى معارك نادر شاه



ميـــــزان الحـــــق

٢٢ رمضان ١٤٣٠ هـ
١٢ سبتمبر ٢٠٠٩



في خضم إشـكاليات الحياة وتفاصيـل الواقع ومعطيات حركـة التاريـخ، غالبـاً ما تضيع صورة الحقيقة، ويكون اللايقـين هو سمة الموقف عند كثـير من النـاس. ولعل من أجل ذلك قـدّم النبي الأكرم صلـى الله عليه وآله وسـلم أفـراداً مـن أمتـه ليمثلوا الفيصل في الموقف، والفرقان بين الحق والباطل.

تقتله الفئة الباغية:

مثّلت كلمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحق الصحابي الكبير عمار بن ياسـر (ويح عمـار، تقتله الفئـة الباغية يدعوهم إلى الجنـة ويدعونه إلى النار) (صحيح البخاري) كلمة الفصل في الموقف عند جماعة مـن المقاتلين في معركة صفين، فقد كانت هذه الحرب فتنـة في دوافعهـا ومفاهيمها وآثارها وأحداثهـا، وتلبّس الأمر على هذه الجماعة، حتى إذا استشـهد عمار رضي الله عنـه انجلى الغمام واتضحت الصـورة عندهـم، وتحـول شكهم إلى يقين. قال النووي: (وكانت الصحابة يوم صفين يتبعونه حيث توجه لعلمهم بأنه مـع الفئـة العادلة، لهذا الحديث).

يرضى لرضاها:

وهكـذا كانـت الزهـراء فاطمة عليها السـلام ميزاناً للحق، لقـول النبي صلى الله عليه وآله وسـلم لها: (إن الله يغضـب لغضبـك ويرضى لرضـاك) (المسـتدرك على الصحيحين ومجمع الزوائد) وليس في الأمر مجاملة، ولا هو موقـف عاطفي تجلى في لحظة غضب أو رضـا، بل هو قولٌ فصلٌ قدّمه النبي لأمته ليكون الفيصل في الحكم حين تلتبس على الناس الأمور. وهو - في ذات الوقـت - ميزان عام لا يُحـد في موقـف ولا يؤطّر في زمن، بخـلاف حديث (تقتله الفئة الباغية). ولعل ترسـخ هذا المفهوم عند المسلمين هو الذي دفع الخليفة أبا بكر إلى عيادة الزهراء عليها السـلام قبـل وفاتها أملاً في كسـب رضاها بعـد موقفه من قضية فدك، ووجْد فاطمة عليه كما جاء في صحيح البخاري.

لا يحبه إلا مؤمن:

ولم يختلـف الأمـر مـع الإمـام علي بـن أبي طالب عليه السـلام، فقد أكد النبي بكلمات متعددة وبأساليب متنوعة على حقيقة كون علي ميزاناً للحق، فمما روي عنه قوله: (الفـاروق بين الحق و الباطل علي) (المستدرك على الصحيحين)

ـ (علي مع القــرآن والقرآن مع علي) (مجمع الزوائد)
ـ (علي مع الحــق والحق مع علي) (منتخب كنز العمال)
ـ عن الســيدة أم سلمة رِضي الله عنها: (سمعتُ رســولَ الله صلى الله عليه وســلم يقول لعلــي: لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق) (مســند الإمام أحمد). ومن هنــا كان بعض الصحابة يتحــرون المنافقين مــن خــلال موقفهــم مــن الإمــام علي.. قال أبو ســعيد الخدري رضــي الله عنه: (كنا نحن معاشــر الأنصار نعرف المنافقين ببغضهــم لعلي بن أبي طالب) (سنن الترمذي). كمــا أكّد الإمام علي بنفســه على هــذه الحقيقة حيث قال: (لو ضربت خيشــوم المؤمن بســيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بجملتها علــى المنافق على أن يحبــني مــا أحبني وذلــك أنه قضــي فانقضى على لســان النــبي الأمي صلــى الله عليه و آله وســلم أنه قال: يا علي لا يبغضــك مؤمن، ولا يحبك منافق) (شرح نهج البلاغة).

سر العلاقة:

ولك أن تســأل عن ســر العلاقة بين العاطفة والحقيقة، فربما ينبــض قلبك بحب من يختلــف معك، وربمــا ينبض قلبك ببغض من يتفق معك، ولربما تفترض أن يحب المنافق عليــاً لصفاته، فهو الشــجاع البطل وهو العالم العادل!

إلا أن الســر يكمن في أن حب علي عليه الســلام ليس مسألة تتصل بالقلب في بساطة المشاعر، بل تتصل بالعقل في عمق الوعي والإيمان، لأن علياً كان إيماناً كله، ولذلك فالمؤمن الــذي يعيش حقيقــة الإيمان لابد أن يحب عليــاً، والمؤمن الذي أحب الله الذي آمن به علي وعرفه وجاهد في سبيله، لابد أن يحب عليــاً، والمؤمن الذي أحب رســول الله لابد أن يحب عليــاً، والمؤمن الذي أحب الإســلام لابد أن يحب علياً، فلا انفصــال بين علي وبين النبي وبين الإسلام وبين الحق. أما المنافق الذي اختزن الكفر في قلبــه، وكان الإيمان خداعاً وتلبيساً للحقيقة، فإنه يبغض الإيمان ويبغض أهله، فلابــد أن يبغــض علياً، لأن علياً هو الإيمان كله، تماماً كما قال رسول الله حين برز علي لعمرو بن عبد ود في الخندق: (برز الإيمان كله إلى الشــرك كله).

ومــا أجمل تحليل ابن حجر في كتابه (فتح الباري شــرح صحيح البخاري) حيث قال: (وقوله: في الحديثين: «إن علياً يحب الله ورســوله ويحبه الله ورســوله» أراد بذلك وجود حقيقة المحبة، وإلا فكل مسلم يشترك مع علي في مطلق هذه الصفــة. وفي الحديث تلميح بقولــه تعالى: «قــل إن كنتم تحبــون الله فاتبعوني يحببكم الله» فكأنه أشــار إلى أن علياً تام الاتباع لرســول الله صلى الله عليه وســلم حتى اتصف بصفة محبة الله له.

ولهــذا كانــت محبته علامة الإيمــان وبغضه علامة النفاق كما أخرجه مسلم من حديث علي نفســه قال «والذي فلق الحبة وبرأ النســمة إنه لعهد النبي صلى الله عليه وســلم أن لا يحبــك إلا مؤمــن ولا يبغضك إلا منافق»).

عملية تجميل

٢٩ رمضان ١٤٣٠ هـ
١٩ سبتمبر ٢٠٠٩

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (المائدة:٢٧- ٣٠)

بهذه الصورة الفظيعة والمأساوية قدّم القرآن نموذج أول حالة حسد في تاريخ البشرية.. فكانت مصداقاً لتخوّف الملائكة (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ) (البقرة:٣٠)، فقد تكون هناك بعض المفاسد في ما قدّره الله في ما يتصل بالوجود، كما في الزلازل والبراكين، ولكن المصالح الكامنة فيها، والحاصلة منها، أكثر أهمية، وأقوى تأثيراً، لأن النظام الكوني لا تجد فيه خيراً إلاّ ومعه شر، كما لا تجد فيه شراً إلاّ وهناك خير في داخله، لتكون المعادلة غلبة هذا الجانب على ذاك في مسألة أفضلية الوجود على العدم، أو أفضلية العدم على الوجود.

هل هو إحساس طبيعي؟

وهكذا وجد الحسد مع وجود الإنسان الأول، وكان قتْل النفس (الرحمية) المحرمة أول ثمراته، حتى اعتبر المؤرخ الفرنسي (فوستيل دولا كولونج) أن (الإحساس الأكثر طبيعية، الذي يُفترض أن يشعر به الإنسان، وهو يقف متفرجاً على ثراء غيره، ليس الإحساس بالاحترام ولكن الإحساس بالحسد!!).



ونحن وإن كنا لا نوافقه على ذلك، (لأن طبيعية الشئ تعني توافقه مع الفطرة الإنسانية، ومما نعتقده أن الله يخلق الإنسان على فطرة سليمة، والعوامل التربوية والبيئية ومتغيرات الحياة هي التي تغيّر في هذه الفطرة) إلا أن هذا هو التقدير الطبيعي لحال الإنسان حين يتخلى عن التقوى ويغيب عقله وضميره.

سوء فهم:

ويعود الحسد في كثير من حالاته إلى سوء فهم لطبيعة الفروقات بين الناس والتي عبّرت عنها الآية (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)(الزخرف:٣٢) أي لتتوزع المهام والوظائف بين الناس لتتكامل صورة الحياة من خلال ذلك. كما يعود الحسد إلى سوء تقدير حال الآخرين بإغفال الصعوبات التي يواجهونها والتركيز على جانب التنعّم، ونسيان ما نتقاسمه جميعنا في هذه الحياة من مشتركات، وأنها في نهاية المطاف حياة عابرة لا تعدو أن تكون مجازاً لحياة آخرى.

إن الذي يعيش الحسد بصورة متكررة بحاجة إلى تعزيز الثقة بالله سبحانه وتقديره للأمور (حسن الظن بالله)، بالإضافة إلى تقوية الثقة بالنفس، والتركيز على نقاط القوة التي يمتلكها، والنعم الكثيرة التي يرفل فيها، وأن يعكس اتجاهه اهتمامه وحبه لذاته، فبدلاً من أن ينصب على تمني زوال النعم من الآخرين، فلينصب باتجاه الرأفة بنفسه بترسيخ حالة الطمأنينة والراحة النفسية، لأنه لا راحة لحسود، حتى قال أمير المؤمنين عليه السلام: (ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحسود، نفس دائم وهمّ لازم وقلب هائم).

بئر أم وادي؟

قدم المحلل النفسي (سافيريو توماسيلا) صورة بديعة للحالة النفسية للحسود، قال: (الأمر هنا يتعلق بإدمان التملك. إنه مثل بئر بلا قعر، يتمنى صاحبها لو يضع فيها كل شيء وأي شيء تقع عليه عينه، لكنه مهما وضع فيها لا تمتلئ أبداً، حتى يصل إلى درجة أن يفقد كل شيء معناه، وحيث لا يبقى مكان للجوانب الروحية). وقريب منه تعبير النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: (لو كان لابن آدم وادياً من مال لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب).

وجه قبيح:

إذاً مرة أخرى يطل علينا الوجه القبيح لتطرف (الأنا)، ليكون هو السبب وراء شقاء الإنسان.. ومعطيات شهر رمضان المعنوية بإمكانها أن تعالج موطن الخلل هذا، وأن تطفئ النار المتقدة قبل أن تحرق صاحبها تماما، وذلك حين يعيش الإحساس بآلام الآخرين وينعم في رحاب العطاء للمحرومين في حالة من الإيثار تجمّل شيئا من ذلك الوجه القبيح.

توضيح بخصوص هلال العيد

٧ شوال ١٤٣٠ هـ / ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٩

توضيحاً لما أثير حول ثبوت هلال شهر شوال ١٤٣٠ هـ وفق المبنى الفقهي للمرجع الراحل السيد أبوالقاسم الخوئي، حيث أشيع ـ خطأً ـ أنه وفق مبناه الفقهي فإن يوم الأثنين هو أول الشهر، فإنني أود أن أطلع القراء الكرام على المعطيات التالية التي تؤكد أن يوم الأحد كان هو الأول من شوال، علماً بأنني في مسجد سيد هاشم بهبهاني أقوم كل عام بعمل عرض للمصلين في آخر جمعة من شهري شوال ورمضان، ويتضمن أفلاماً حول كيفية تكون الهلال وأوجه القمر ومعنى بداية الشهر من الناحية الفلكية وإحداثيات رؤية الهلال في الكويت والعالم واحتماليات الرؤية وفق فتاوى عدد من مراجع الدين وبالاعتماد على تقارير الفلكيين وبعض الخرائط والصور التوضيحية، وأما المعطيات فهي كالتالي:

١. أكد الفلكيون على أن الهلال لا يرى بالعين المجردة في الكويت والعراق وإيران وبلاد الشام وأكثر أنحاء الجزيرة العربية. قال الخبير الفلكي المهندس محمد شوكت عودة رئيس المشروع الإسلامي لرصد الأهلة **icoproject** (رؤية الهلال ممكنة بالعين المجردة بسهولة من أقصى جنوب القارة الأفريقية ومن قارة أمريكا الجنوبية، في حين أن رؤية الهلال ستكون صعبة بالعين المجردة، وقد لا يرى الهلال إلا باستخدام التلسكوب في كل من وسط أفريقيا وأمريكا الوسطى، وستكون رؤية الهلال ممكنة بالتلسكوب فقط من استراليا واليمن وشمال ووسط أفريقيا والولايات المتحدة، في حين أن رؤية الهلال غير ممكنة يوم السبت لا بالعين المجردة ولا بالتلسكوب من معظم قارة آسيا وشمال أفريقيا وأوروبا وشمال أمريكا). وهذا ما دفعني للاتصال بالمراكز الإسلامية وعلماء الدين الموجودين في تلك المناطق تحرياً لرؤيتهم للهلال، وعدم الاعتماد على شهادات الرؤية في منطقتنا لمخالفتها القطعية للدليل العلمي الفلكي.

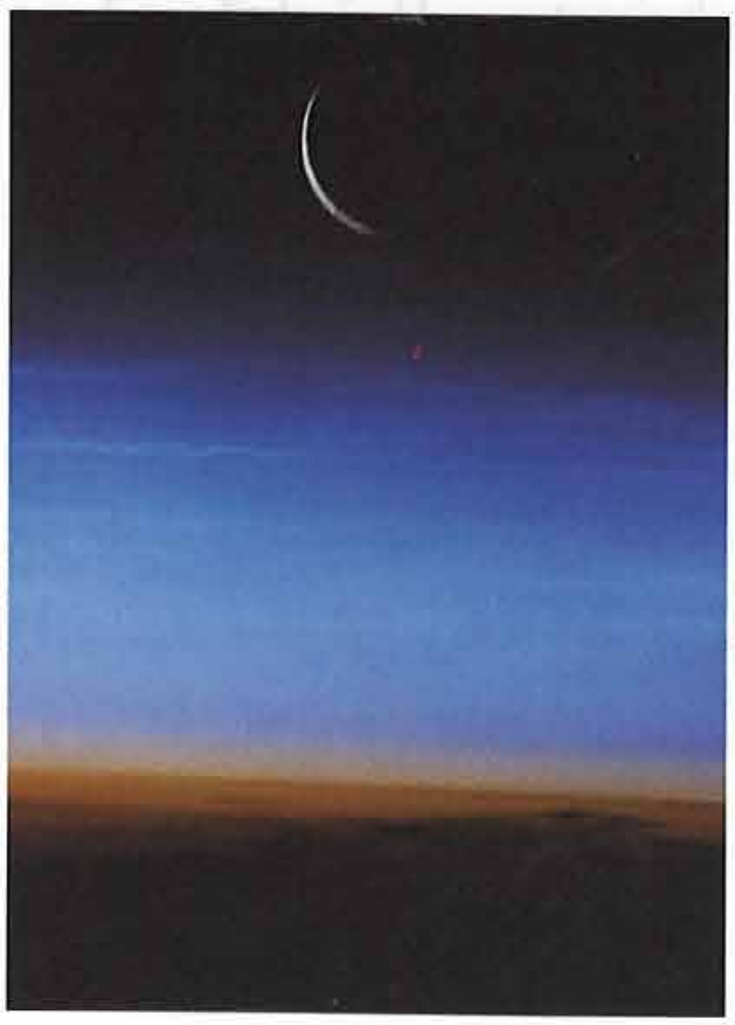

٢. يعتبر السيد الخوئي رحمه الله أن ثبوت رؤية الهلال في أي بلد نشترك معه ولو في جزء من الليل كاف لثبوته عندنا وإعلان بداية الشهر، قال رحمه الله في كتابه منهاج الصالحين ج ١ مسألة ١٠٤٤: (الظاهر كفاية الرؤية في بلد ما في الثبوت لغيره من البلاد

المشـــتركة معـــه في الليل وإن كان أول الليـــل في أحدهما آخـــره في الآخـــر). وهذا ما تحقق فعلاً مســـاء السبت ١٩ ســـبتمبر ٢٠٠٩ حيـــث تمـــت مشـــاهدة الهـــلال بوضوح في عـــدة بلدان في جنوب أفريقيا وفي أمريكا الجنوبية.

٣. تم الاتصال شخصياً بمركز أهـــل البيـــت AFOSA في جنوب أفريقيا ويرأسه سماحة السيد آفتاب حيدر حيث أكد رؤية الهـــلال من قبل المؤمنين في مدن عـــدة منها كيب تاون وديربـــان وغيرهمـــا، وأنه تم الإعلان عن أن العيد بالنسبة إليهم هو يـــوم الأحد الموافق ٢٠ سبتمبر.

٤. تم الاتصال بمؤسسة السيد الخوئي في لندن في تمام الساعة ١٢:١٥ مســـاءً حيـــث أعلنت المؤسســـة أن يـــوم الأحد هو الأول مـــن شـــوال اعتمـــاداً على ثبوت الرؤية في جنوب أفريقيا. ثم تمـــت إقامة صلاة العيد صبيحة الأحد في المركز لثلاث مـــرات متتالية لكثرة المصلين الذين لم يســـتوعبهم المـــكان. وهكـــذا كان موقف (المجمع الإســـلامي العالمي في لنـــدن) وهو من مؤسســـات المرجع الراحل الســـيد محمد رضا الكلبايكانـــي رحمه الله وهي تحت رعاية صهره سماحة المرجع الديني الشـــيخ لطف الله الصافي حالياً.

٥. تم الاتصال بسماحة الشيخ طالب حســـين الخزرجي إمام المركز الإسلامي في البرازيل حيث أكـــد مشـــاهدة الهلال بوضـــوح في جنوب البرازيل والأرجنتـــين والبراغوي من قبـــل المؤمنين هناك (أكثر من ٢٥ فرداً)، وأنه تم الإعلان عن أن عيد الفطر بالنسبة إليهم هو يـــوم الأحـــد الموافق ٢٠ سبتمبر.

٦. أعلن العلمـــاء المجتمعون بمجلس سماحة الســـيد جواد الوداعي في البحرين مســـاء الســـبت في تمام الساعة ١١:٣٠ مســـاءً أنه قد تمت رؤية الهلال هذه الليلـــة في بعض بلدان أفريقيا، وأنـــه بناء على فتوى الســـيد الخوئي رحمه الله فإن رؤية الهـــلال في تلك المنطقة كاف لثبوتـــه في البحريـــن. وهكـــذا أعلن بعـــده سماحة الســـيد عبدالله الغريفي - في البحرين أيضـــاً - أن الأحد هو أول أيام شهر شوال وفق المبنى الفقهي للســـيد الخوئي اعتمادا على ثبوت الهلال في جنوب أفريقيا.

٧. أعلن سماحة الشـــيخ كاظم الحريب وسماحة الشيخ حبيب الأحمد من المدينـــة المنورة أن يوم الأحد هو أول أيام شـــهر شـــوال وفـــق فتوى الســـيد الخوئي اعتمـــاداً على ثبوت الهلال في جنوب أفريقيا.

٨. أصـــدر مجلـــس علمـــاء المسلمين الشـــيعة في أمريكا الشمالية بياناً بهذا الخصوص جاء فيه: (لمقلدي سماحة المرجع الراحل الســـيد أبو القاسم الخوئي قدس ســـره بناء على ثبـــوت الرؤية علـــى الوجه الشـــرعي في البرازيل و بناء على مبدأ اشـــتراك الليل مع أمريكا الشـــمالية فـــإن غداً الأحد هـــو أول أيـــام العيد الســـعيد من شـــهر شـــوال المكرم).

٩. ذكـــر الباحـــث الفلكـــي خالد شـــوكت علـــى موقعه الشهير **moonsighting**

عدة شـــهادات تؤكد ما سبق، وهـــي كالتالـــي (بعد الترجمة مـــن الإنجليزية): من كيبتاون/ جنـــوب أفريقيـــا: الفلكي د. عبدالـــرزاق إبراهيـــم عضو (لجنـــة رصـــد القمـــر حول العالم) Moonsighting Committee Worldwid واختصارهـــا MCW ـ من ديربان/جنوب أفريقيا: الفلكي راشد موتالا عضـــو MCW ـ من زنجبار: الفلكـــي حمزة رجـــال عضو MCW ـ مـــن موزمبيـــق: آدمو كاسامو عضو MCW ـ من ناميبيا: أحمد محمد بركة عضو MCW ـ من شـــيلي: محمد سهيل عضو MCW ـ من إكوازو/الأرجنتين: تيمور شعيب.

أقـــول: وقد اســـتخرجت إحداثيـــات الهـــلال في نفس المدينة التي شاهد فيها السيد تيمور الهلال فكانت كالتالي: (عمـــر الهلال ١٨:٢٧ ســـاعة، مكث الهـــلال بعـــد غروب الشمس ١:٠٥ ســـاعة، إضاءة القمـــر ٣٧ بالألـــف، ارتفاعه عـــن الأفق لحظـــة الغروب: ١٥:١٦ درجة، بعده الأفقي عن مركز الشمس لحظة الغروب: ١٥:٥١ درجة)، والصورة المرفقة أرسلت من قبل الأستاذ تيمور والتقطـــت للهلال بعدســـته مساء السبت.

وخلاصة الأمـــر أن ثبوت كـــون يوم الأحد ٢٠ ســـبتمبر ٢٠٠٩ هـــو الأول من شـــوال ١٤٣٠ هـــ وعيـــد الفطـــر المبـــارك وفق المبنـــى الفقهي للمرجع الديني الكبير السيد أبوالقاسم الخوئي قدس سره أمر ثابت لا شـــك فيه، وعلى من شـــكك في ذلك مراجعة الأدلة وتصحيح موقفه.

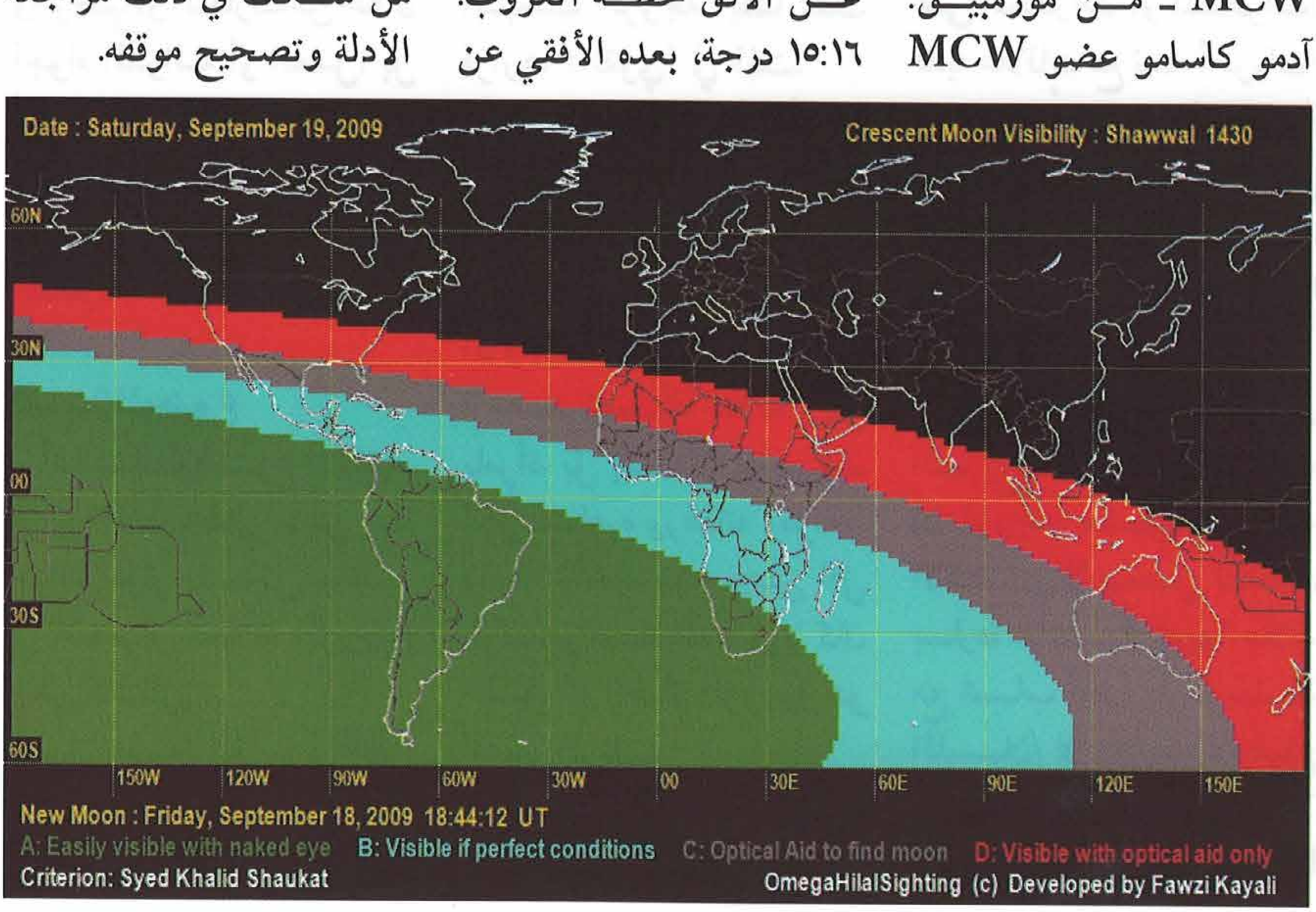

ما بين العقـــد و الزفـــاف

١٤ شوال ١٤٣٠ هـ / ٣ أكتوبر ٢٠٠٩

المشهود في السنوات الأخيرة في مجتمعنا أنٍ الفترة ما بين إجراء عقد الزواج ودخول الـزوِج بزوِجتـه (الزفاف) فترة قصيرة جداً قد لا تتجاوز السـاعات، فهل هذا يعد وضعاً سليماً؟ وهل لهذا الأمر علاقة بارتفاع نسبة الطلاق؟

بالطبـع لا أتحدث هنا عن الزيجـات الـتي يكـون فيها الطرفان قد تعارفا لمدة طويلة مـن خـلال علاقـة القربى والرحم، أو التعارف من خلال أجواء الدراسة أو العمل، بل أتحدث عن الزيجات التي تتم بحيث لا يكـون هناك تعارف مسـبقٍ، وهي الحالـة الأكثر انتشاراً.

أهمية الموضوع:

أهميـة الموضـوع تنطلق ـ برأيي الشـخصي ـ من عدة عوامل تؤثر بشـكل مباشـر في استمرار العلاقة الزوجية، وهي كالتالي:

١. وفق طبيعة التربية والنظرة إلى العلاقـة الزوجية في هذا العصر، فإن للزوجة رأي ودور محوري في الأسرة أكثر مما كان عليه في الماضـي، مما يعني أن استمرار الحياة الزوجية ليس مرهوناً بقرار الزوج فقط، بل أصبحت الزوجة أيضاً تملك قرارها (القوي) في ذلك.

٢. غـدا الاهتمـام بالأطباع والفروقات الشـخصية بين الزوجين أمـراً حاضراً بقوة في تحديد مـدى نجاح العلاقة الزوجيـة واسـتمرارها، إذ لم تعـد المسـألة علاقة رجل بامرأة، بل إنسـان بإنسـانة، لكل مشاعره ورغباته ومزاجه وذوقه وأحاسيسه، وعلى كل طرف مراعـاة ذلك، وإلا كان الفشل في الحياة الزوجية هو المصير المرتقب.

٣. سـهولة التخلي عن بيت الزوجيـة وبالتالي تفشـي الطلاق. وهنـاك قضايا كثيرة تـؤدي هذه الأيـام إلى طلب الطـلاق، منها أن تكتشـف الزوجة أن زوجهـا: (مدمن على المخدرات أو المسكرات/ لديه علاقاتٍ مع نساء أخريات/ كان مجـبراً على هـذه الزيجة/ الزوجمن النوع الذي لا يولي الحياة الزوجية أية أهمية/ شلة من الأصدقاء يفضلهم عليها وما إلى ذلك).

وهكذا الأمر بالنسـبة إلى الـزوج الذي قد يكتشـف أن (زوجته مسـرفة ووضعه الاقتصادي لا يتٍحمل نفقاتها/ بـاردة عاطفيـا/ لديها علاقة مع شـاب آخر/ بذيئة سليطة اللسـان/ لا تكترث لأوضاع بيتهـا/ تابعة لأمهـا بحيث لا تسـتطيع الخروج من وضعها

السابق لتصبح زوجة في بيت جديد وما إلى ذلك).

مرحلة انتقالية:

وهـذا ما يجعل قصر الفترة ما بين العقد والزفاف من الأسباب الرئيسة المؤدية إلى كثرة الطلاق، ومن الضروري أن تكون هناك مرحلة انتقالية تبدأ من حين العقد إلى الزفاف قد تمتد لستة أشهر مثلاً بحيث تعطي وقتًا للطرفين للتعرف أكثر، والاقتناع بالاستمرار في الحياة الزوجية، أو إنهاء الارتباط لعدم الانسجام، أو لعدم إمكانية تكوين علاقة طبيعية بين الطرفين لسبب أو لآخر. ولاشك أن طلاق البكر أهون من الثيب أو طلاق صاحبة الولد.

ويمكن هنا ترتيب بعض الأمور بحيث تكون التكاليف أقل كأن يكون الحفل للزفاف لا للعقد، إلخ.

بالطبع هذا لا يعني أن كل الأمور ستتضح للطرفين، وستنكشف كل الخبايا والأطباع بحيث يتم تجاوز سلبية قصر المدة تماماً، ولكن حتماً أن هذه الفترة ستُظهر أموراً كثيرة لن تتضح إن كانت الفترة مجرد أيام معدودة. وأيضاً هذا لا يعني أن لا سلبيات في إطالة فترة العقد، إلا أنها أهون بكثير من سلبيات قصر المدة.

وقود الحياة الزوجية:

ومن لطيف ما قرأت في هذا المجال ـ في إحدى منتديات شبكة الانترنت ـ ما عبّرت عنه إحدى الفتيات وقد سُئلت عن رأيها في إطالة هذه الفترة فقالت: (إن فترة الخطبة عبارة عن لحظات رومانسية يستمتع بها الخاطبان بأجمل أيام وهي وقود للحياة الزوجية). ولذا من المفترض أن يتم تشجيع المقبلين على الزواج على عدم الاستعجال في أمر الزفاف.

تقرير وزارة العدل:

في الدراسة المعدة من قبل إدارة الاستشارات الأسرية بوزارة العدل بدولة الكويت عن (أسباب الطلاق بين الكويتيين حديثي عهد بالزواج) كان على رأس قائمة أسباب الطلاق هذا البند: (اكتشفت أموراً لم تتبين لي قبل عقد القِران). أكثر من ٦٤٪ من الإناث قالوا ذلك، و٥٠٪ من الذكور. تقول صاحبة الدراسة (تدل هذه النتائج على غياب بعض الحقائق عن أحد الطرفين أو كليهما قبل عقد القِران وهو أمر لا يستهان به، فليس من السهل على المرءِ أن يكتشف أموراً بعد فوات الأوان خاصة إذا كانت على



جانب كبير من الأهمية، وربما لو عرف بها الشخص قبل عقد القِران لكان له موقف آخر. وقد يدل هذا الأمر أيضاً على الاستعجال في اتخاذ قرار الزواج وعدم التحري الكافي عن الطرف الآخر).

مخرج تربوي وشرعي:

قد يقول البعض أنه بمجرد إتمام عقد النكاح بين الطرفيت تصبح هذه الفتاة زوجة له، ولا يحرم عليه شيء من الاستمتاعات بينهما، ولذا قد يتحقق الدخول خلال فترة التعارف بعد العقد، الأمر الذي قد تترتب عليه بعض التعقيدات فيما لو وقع الطلاق قبل الزفاف، أو فيما لو توفي الزوج في هذه الفترة، وعندها ستكون الفتاة عند الناس بكراً، بينما هي في الواقع ثيب، ولربما يحدث حمل ولا يتبين إلا بعد الطلاق، وهي مشكلة أخرى.

أقول: هذه السلبية موجودة، ولذا يجب أن تكون هناك: أولاً: حالة ضبط سلوكي من قبل الخاطبين لتحديد مدى محدد للعلاقة مع متابعة الأهل. وكما يقولون الأصل في هذه الفترة أن (اعرِف الآخر ولا تعرِف جسده).

ثانياً: توعية الطرفين إلى هذه السلبيات.. للفتاة لكي لا تسمح للطرف الآخر بتجاوز ما هو متفق عليه، وللشاب كي يميز بين ما يحب، وما يجب أن يفعل.

ثالثاً: يحق للفتاة ـ ضمن عقد النكاح ـ أن تشترط عدم الدخول ـ بل مطلق الاستمتاعات على رأي فقهي آخر ـ ويجب على الزوج الوفاء به، ففي المسائل المنتخبة للمرجع الديني السيد علي السيستاني مسألة ١٠١٢: (يجوز للمرأة في النكاح المنقطع وكذا الدائم أن تشترط على زوجها عدم الدخول بها، فلو اشترطت عليه ذلك لم يجز له مقاربتها ويجوز له ما سوى ذلك من الاستمتاعات، نعم لو رضيت الزوجة بعد ذلك بمقاربتها جازت له).

و في فقه الشريعة للمرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله ج٣ م٧٥٠: (يجب على الزوجة أن تفي لزوجها بحقه في الإستمتاع بها بالنحو المذكور في المسألة السابقة، حتى لو كانت غير راغبة في الاستمتاع حين رغبته فيه، ما عدا الموارد التالية: الأول: ما لو اشترطت عليه عدم تمكينه من نفسها في جميع الاستمتاعات أو في بعضها، إما صريحاً أو ضمناً، ومن ذلك ترك تمكينه خلال فترة ما بعد العقد وقبل زفافها، وهي المعبَّر عنها في بعض البلاد بفترة الخطوبة، فإنه يكفي في عدم تمكين الزوجة من نفسها فيها ما لو استقر تباني العرف على عدم التمكين، بحيث صار ذلك حاضراً في ذهن المتعاقدين حين التعاقد، ويصير ذلك شرطاً ضمنياً ملزماً له في سقوط حقه عنها والإقتصار في الإستمتاع بها على الحدود الموافقة للشرط). ومن خلال الإجراءات السابقة يمكن الحد من تلك السلبية لتكون إطالة الفترة هي الخيار الأنسب في الزيجات التي تتم بين طرفين لا يعرف أحدهما عن الآخر إلا القليل.

ماذا يجـــري في المقـــبرة الجعفـــرية ؟



٢١ شوال ١٤٣٠ هـ / ١٠ أكتوبر ٢٠٠٩

زيـــارة القبور ـ علاوة على ترتب الثواب والرحمة الإلهية للزائـــر والميـــت ـ تُعـــدُّ من موجبات إحياء قلوب المؤمنين وهدايتهـــم إلى مـــا يُرضـــي الله عـــز وجـــل، وتذكيرهم بالمـــوت، والذي قـــد يدفعُهم نحو التوبة الحقيقيـــة، وتذكّر الآخـــرة، والســـعي لإصلاح النفس وإصـــلاح الآخرين. عن أمير المؤمنـــين علي عليه الســـلام: (ألا فاذكـــروا هادم اللذات، ومنغّص الشهوات، وقاطع الأمنيات، عند المساورة للأعمال القبيحة، واستعينوا الله علـــى أداء واجـــب حقه، وما لا يُحصى من أعداد نعمه وإحسانه).

ولو سألت المترددين بصورة دائمة على المقـــبرة الجعفرية بمنطقة الصليبخات عما يجري فيهـــا لأخـــبروك ـ وعلامات الانزعـــاج أو الغضب بادية عليهم ـ أن مـــا يجري فيها لا يرضـــي الله، ولا يقرّه شـــرع، ويخالف القوانـــين. ولا أريد في هذا المقـــام أن أحصر كل المظاهـــر الســـلبية التي باتت تتكرر بلا رادع، بل القصد هوٍ مجرد الإشارة إلى بعضها أملا في أن يعي الناس مسئوليتهم وتتحرك الجهات المعنية لمعالجة الأخطاء:

عدم مراعاة الأحكام الشرعية:

لِـغُسل الميت طريقة شرعية مبيَّنة في كتب الفقهاء، ومخالفة ذلك يســتدعي نبـــش القبر أحيانـــاً، قال الســـيد الخوئي رحمـــه الله: (إذا دفنٍ الميت بلا تغســـيل ـ عمـــداً أو خطأ ـ جاز بل وجب نبشه لتغسيله أو تيممـــه، وكـــذا إذا تـــرك بعض الأغســـال ولو ســـهواً أو تبين بطلانهـــا، أو بطلان بعضهـــا، كل ذلك إذا لم يلزم محذور مـــن هتكه أو الإضرار ببدنه). ومن يراقب المغسِّلين يتيقن عدم مراعاتهم لبعض أحكام التغســـيل، والتعامل مع الحـــالات النازفة والمتوفاةٍ الحائض وشـــبهها، هذا فضلاً عـــن اشـــتراطهم ـ في كثـــير

من الأحيان ـ مبلغاً من المال على أوليلء الميت قبل البدء بالتغسيل، علماً بأن من المفترض أن جميعهم يتقاضون رواتب من الحكومة. هذا بالإضافة إلى ادعاء البعض بانحراف بعض القبور الجديدة عن القبلة، الأمر الذي يستدعي تدقيق المسئولين والتحقق منه.

تجميل القبور ورفعها:

ذكر الفقهاء أيدهم الله تعالى أنه يُكره (تجصيص القبر وتطيينه وتسنيمه وكذا البناء عليه وتجديده إلا أن يكون الميت من أهل الشرف).

والمقصود بأهل الشرف ما يشمل الأنبياء والأوصياء عليهم أفضل الصلاة والسلام، بالإضافة إلى العلماء والصلحاء قدس الله أرواحهم. وقد خصص بعضهم كراهية التجصيص والتطيين فيما إذا كان ذلك لباطن القبر لا لظاهره. كما ذكر الفقهاء أنه يستحب رفع القبر عن الأرض بمقدار أربعة أصابع مضمومة أو مفرَّجة. وأما إذا زاد الإرتفاع عن هذا المقدار فهو مكروه، إلا أن يكون في ذلك تعظيماً للشعائر، كما لو كان القبر لنبي أو وصي أو عالم. إلا أن ما يُشاهد اليوم من تعليق أنواع الزينة على القبور وشواهدها، وكذلك الرفع بمقدار متر أو أكثر، وإنفاق الأموال الطائلة على حجر الشاهد في حالة تنافسية يستغلها بعض مقاولي الدفن، فلم يرد فيه نص شرعي، بل وفيه ما يُنافي الفتاوى الشرعية.



ادّعاء الكرامات وعقد النذور:

ومن الملفت في السنوات الأخيرة تميّز بعض هذه القبور برفع الأعلام ووضع الكسوة عليها، وربط الخيوط والتواجد المكثف بقربها طلباً لكرامة من صاحب القبر، تماشياً مع ادعاءات باطلة أن صاحب هذا القبر «يعطي المراد»، وأن فلاناً رأى في عالم الرؤيا أن هذا القبر لولي من الأولياء إلخ.. والله أعلم من المتكسّب من وراء ذلك كله.

سحر وعقد:

من حين لآخر تظهر بعض الوسائل التي يستخدمها أهل السحر عند بعض القبور، لفائف وكتابات وشعر آدمي

وما إلى ذلك، ويدّعي البعض ـ والله العالمٍ ـ أن أصحابها يدخلون خلسةً في الليل، لأن المقبرة عامرة عادةً بالزائرين خلال النهار طوال أيام الأسبوع، الأمر الذي يستدعي المراقبة والتثبّت.

تعدّي على القبور:

شاهدت بنفسي تعدي بعض الشباب المستهترين على القبور بحرق وتمزيق بعض الكتيبات التي يتركها أهل الميت عند قبره وتحتوي على سور قرآنية و أدعية مأثورة، أو بالدخول بالسيارة ثم «التشفيط» وإطلاق بعض العبارات، ورفعت شكوى في حينها إلى بعض المسئولين. وعلمت أن هذه التعديات تتكرر من حين لآخر.

عدم مراعاة حرمة المكان:

فإذا كانت هذه هي الأهداف المرجوة من زيارة القبور، فمن المؤكد أن التجول بين القبور من قبل النساء المتبرجات وبثياب غير محتشمة يتنافى تماماً معها. كما أن التمشي بين القبور والضحك وتبادل الطرائف لا يتناسب تماماً مع الجو العام المفترض أن يكون، فعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (من ضحك على جنازة أهانه الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، ولا يُستجاب دعاؤه. ومن ضحك في المقبرة رجع وعليه من الوِزر مثل جبل أُحُد...).

الإطعام وتوزيع الحلوى:

من المستحبات المنصوص عليها صنع الطعام لمدة ثلاث أيام من قبل الأهل والجيران لأقرباء الميت، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: (ينبغي لجيران صاحب المصيبة أن يُطعموا الطعام عنه ثلاثة أيام). ولكن من الملاحظ أن هذه السُّنَّة التي تهوِّن على أصحاب العزاء مصيبتهم، وتقوّي الروابط الاجتماعية وتفسح المجال لأهل الميت للانشغال بمأتمهم، هذه السُّنَّة باتت غير متبعة في مجتمعنا، بل صار أصحاب العزاء هم المكلَّفون بإعداد الطعام للمعزِّين. كما أن توزيع الحلويات وإشعال البخور ورش ماء الورد ووضع الطعام والثلج على القبر لا تمت جميعها إلى الشرع بصلة! فيا حبذا لو أنفقت هذه الأموال على الفقراء واليتامى والصدقات الجارية، على روح الميت.



منذ تأليف نهج البلاغة من قبل الشريف الرضي رحمه الله في بداية القرن الخامس الهجري، والكتاب يحوز على اهتمام العلماء والمؤرخين والأدباء، فعكفوا على دراسة وتحليل وشـــرح موضوعاته المختلفة التي احتوتها خطب ورسائل وحكم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وتجلت فيها قضايا العقائد والأخلاق والحكمة والتاريخ والأدب والبلاغة في أروع صورة وأدق تعبير.

تمـــام نهـــج البلاغـــة



٢٨ شوال ١٤٣٠ هـ / ١٧ أكتوبر ٢٠٠٩

تبويب نهج البلاغة وترتيبه:

اهتم الشريف الرضي بالجانب الأدبي والبلاغي في مؤلفه، ولذا اقتطع من النصوص ما شاء وقدمها للقارئ وفق الغرض من تأليفه، قال ـ مع الاختصار ـ: (فإنّي كنتُ في عنفوان شبابي، وغضاضة الغصن، ابتدأتُ بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليهم السلام: يشتمل على محاسن أخبارهم، وجواهر كلامهم، حداني عليه غرضٌ ذكرته في صدر الكتاب، وجعلته أمام الكلام. وفرغت من الخصائصٍ التي تخصّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام.. فاستحسن جماعة من الأصدقاء ما اشتمل

عليه الفصل المقدّم ذكره، معجَبين ببدائعه، ومتعجّبين من نواصعه، وسألوني عند ذلك أن أبتدئ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه، ومتشعّبات غصونه.. فأجبتهم إلى الابتداء بذلك.. وربما جاء فيما أختارُهُ من ذلك فصول غير مُتّسِقة، ومحاسن كَلِم غير منتظمة، لأني أورد النكت واللّمَع، ولا أقصد التتالي والنسَق).

الصورة غير المكتملة:

وكان لهذا الاقتطاع وعدم الاتساق أثره في عدم اكتمال الصورة من غرض بعض الخطب والرسائل وقيمتها التاريخية التوثيقية، كما أن ما هو متداول من نسخ نهج البلاغة فيه شيء من الاختلاف، وهذا ما حدا بأحد المحققين المعاصرين وهو السيد صادق الموسوي إلى بذل الجهد من أجل تقديم مشروع (تمام نهج البلاغة) ليتضمن التحقيق والمقارنة بين النسخ من جهة، وجمع المقتطعات وإعادتها إلى صورتها، مع إكمال الناقص من النصوص المدونة في النهج الأصلية بالاعتماد على مصادرها الأولية.

مرحلة التحقيق:

جاء في تعريف الكتاب: (أمضى محقق ومنسق تمام نهج البلاغة السيد صادق الموسوي ٢٠ عاماً وبشكل مركّز تفتيشاً عن المصادر في مختلف المكتبات في أغلب بلاد العالم. ثم قام باستخراج الروايات المبعثرة في الكتب، والمقارنة بين الوارد منها باختلافٍ في المصادر المختلفة، والبحث عن موقع الكلمة والجملة والفقرة لوضعها في مواضعها. وقد تطلبت مرحلة التفتيش عن المصادر جهداً مضنياً وأسفاراً مُتعبة إلى مختلف البلاد والاستعانة بجميع من يمكنهم المساعدة في كافة الأقطار ومختلف الأماكن من أجل الحصول على أكبر عدد ممكن من المصادر القيّمة ومصادر الدرجة الأولى إن أمكن... بلغ عدد مصادر تمام نهج البلاغة النسخة المُسندة والتي طُبعت مؤخراً في ٨ مجلدات حدود الـ ٨٠٠).

فقدان المصادر:

(وكان الجزء الأصعب في عملي مقارنة الروايات الواردة في مختلف المصادر، حيث كان دأب كثير من السلف الأولين من الرواة والمؤرخين هو تجزئة النص الواحد الوارد... فكم مرة نجد الراوي يقول: وقف الإمام عليه السلام على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وآله فصلى عليه ثم قال»....»، دون أن يذكر نص حمد الله والثناء عليه وكيفية ذكر النبي صلى الله عليه وآله والصلاة عليه. وكان المؤلفون يؤكدون في بداية كتبهم أو الفصل أو الرواية على أنهم أخذوا موضع حاجتهم من الأحاديث الواردة وحذفوا الجزء الخارج عن مجال اهتمام مؤلفهم، لكن صياغة الرواية وطريقة الاجتزاء توهمان القارئ العادي لوهلة أنه يقرأ رواية كاملة وحديثاً غير مجزّأ. ومع تعاقب السنين، وتتالي الدهور، وضياع

أمضى محقق ومنسق تمام نهج البلاغة ٢٠ عاماً وبشكل مركّز تفتيشاً عن المصادر في مختلف المكتبات في أغلب بلاد العالم. ثم قام باستخراج الروايات المبعثرة في الكتب، والمقارنة بينها، والبحث عن موقع الكلمة والجملة والفقرة لوضعها في مواضعها.



مصادر الدرجة الأولى بشكل شبه كامل، وأغلب مصادر الدرجة الثانية، وبعض مصادر الدرجة الثالثة... كان من الصعب جداً على المحقق السيد صادق الموسوي النجاح في مهمة إعادة وصل الأجزاء المتقطعة مع تعاقب الأجيال، فكتاب خُطب علي لزيد بن وهب الجهني المتوفى عام ٦٩ هجري لا أثر له...) ويسترسل الكاتب في ذكر أسماء المصادر المفقودة، ثم يقول: (وهناك آلاف الكتب التي حوت قسماً كبيراً من تلك الخُطب والكلمات التي باتت مفقودة ولا يمكن اقتفاء أي أثر منها)

تكملة النصوص:

(كان على المحقق السيد صادق الموسوي العمل أولاً على جمع فتات الأحاديث المبعثرة بين سطور المصادر القليلة التي نجت من حملات الإتلاف والحرق، وكذلك استخراج النص الصحيح من بين المحرَف والمشوَه قبل أن تبدأ مرحلة إعادة توصيل الفقرات والجمل بعضها ببعض للوصول إلى النص الكامل لخطب وكتب وكلمات أمير المؤمنين عليه السلام؛ وهذه المرحلة ليست بأهون من المرحلة السابقة لها، إذ يجب مراجعة جميع المصادر والاستئناس بها، ثم تعقب القرائن للوصول إلى مرحلة متقدمة من الاطمئنان إلى مكان كل كلمة وجملة وفقرة من الخطب أو الرسائل أو الكلمات. وبالتوفيق الإلهي، وبالاستقامة في النهج المبارك، والمثابرة في العمل الميمون، تمكنّا من الوصول إلى ما يقرب من النص الأصلي لخطب ورسائل وكلمات باب علم رسول رب العالمين مولانا أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إن شاء الله تعالى، وهذا ما أسميناه تمام نهج البلاغة).

المؤلف قيّم، ومرجع مهم نقدّمه لمحبي نهج البلاغة والمهتمين بدراسته.

نقد الشيعة و العصمة / ١ من ٢

٥ ذوالقعدة ١٤٣٠ هـ / ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٩

نشرٍ الأستاذ فاخر السلطان مقالاً بعنوان (الشيعة والعصمة)، وعلى الرغم من احتوائه على بعض الحقائق إلا أنه اشتمل على الكثير من الأخطاء والمغالطات التي بنى على أساسها النتائج التي قدّمها للقراء، فأحببت أن أقدّم ملاحظاتي مع الاختصار الشديد والوقوف عند بعض المحطات لا كلها.

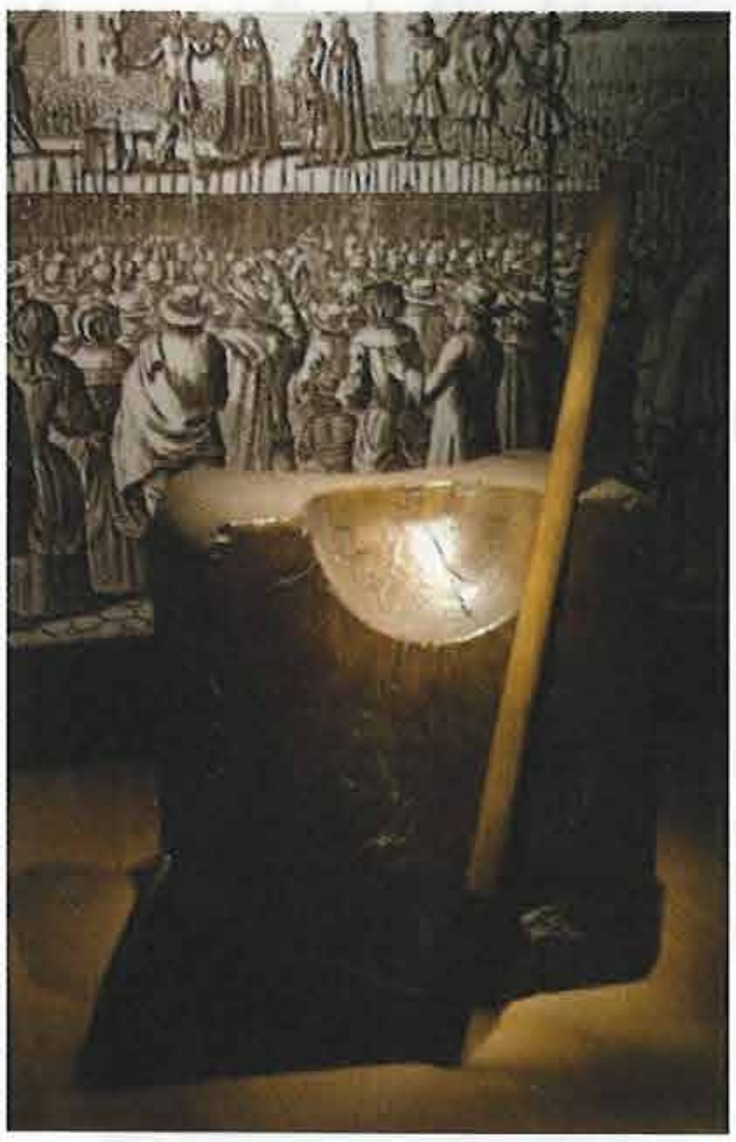

العصمة والبشرية:

قال: (نستهدف من طرح قضية العصمة، عصمة الأنبياء، معالجة الأوصاف غير البشرية أو فوق البشرية التي يسعى البعض إلى إلصاقها بفئة مِن البشر هم الأنبياء..). وقال: (.. تنزع الصفات فوق البشرية عن الإنسان الكثير من الانفعالات البشرية الطبيعية، مثل الفرح والغضب والحزن والسرور وما يرافق ذلك من سلوكيات خاصة..).

والحق أن العصمة ليست أمراً يُخرج النبي عن كونه بشراً، فهو يحس بما يحسّون وينفعِل بما حوله، وهو ليس مخلوقاً آخر لا يلتقي مع البشر في خصائصهم، بل العصمة هي ملكة نفسية ورقابة ذاتية وتربية مستمرة وعناية ربانية لا تصدر معها المعاصي عمّن اتصف بها مع قدرته على مفارقتها، وإلى جانب من هذا أشار الإمام علي علَيه السلام حيث قال: (ولقد قرنِ الله به من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره). ولذا يمكن اجتماع العصمة بهذا المفهوم مع البشرية دون أي مانع عقلي، وفي ذات الوقت الذي يتصف فيه بالعصمة فإنه يفرح دون أن يبطر، ويحزن دون أنٍ يجزع، ويمرض ويضعف بدنياً دون أن يفقد عقله وإدراكه، ويلبي نداء غرائزه بلا طغيان ولا تجاوز لحرمات الله.

العصمة والدليل العقلي:

قال: (وبما أن العصمة تتعارض مع العلوم التجريبية وغير قابلة للإثبات عن طريق الأدلة والبراهين العقلية فإن المؤمنين بالعصمة لجأوا للنص القرآني لإثبات رؤيتهم).

إلى جانب الأدلة النصية أقام المحققون البراهين العقلية ـ من قبيل دليل الوثوق ودليل اللطف ـ لإثبات وجوب العصمة بالمفهوم السابق، وليست المسألة مجرد

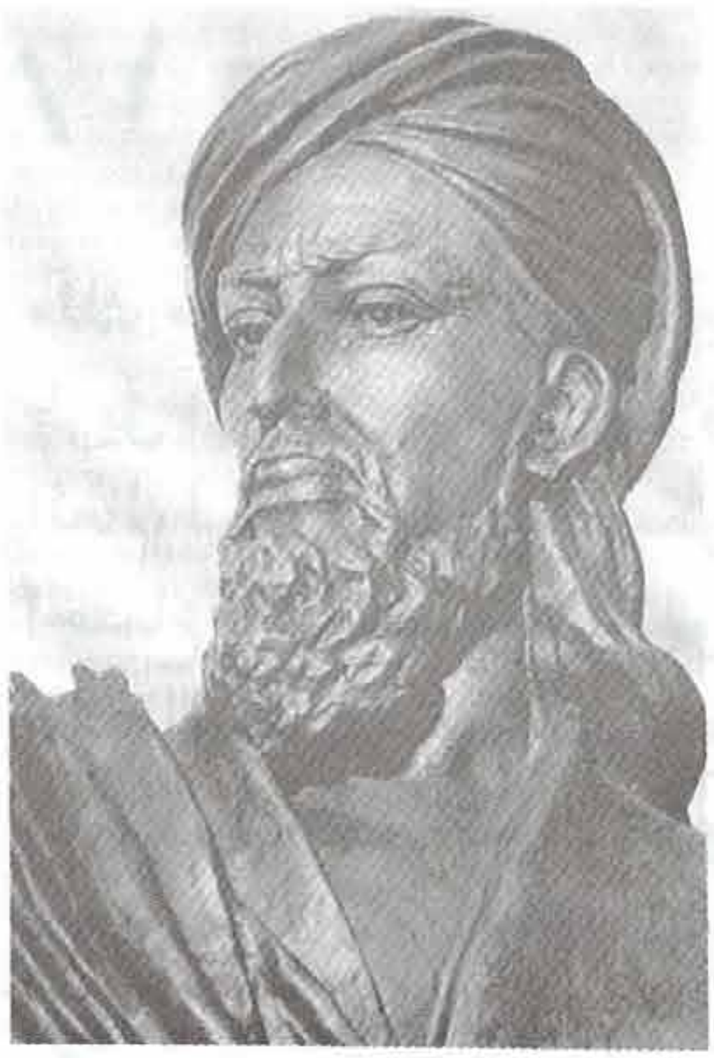

الشيخ الرئيس ابن سينا

إيمان عار عن الدليل العقلي. ويمكن الرجوع إلى كتب السيد المرتضى ونصيرالدين الطوسي والعلامة الحلي في هذا المجال للاطلاع.

قال الشيخ الصافي ـ مع التصرف والاختصار ـ: (فالأصل في الاعتقاد بعصمة النبي هو حكم العقل، والشرع يؤيد العقل في حكمه هذا، وإنما يكون الشرع هو المرجع الأول في الموارد التي لم يكن للعقل فيها حكم لا بالإيجاب ولا بالسلب. وفي مسألة عصمة الأنبياء العقل هو المرجع الأول. ومن الأدلة العقلية على العصمة أنهم لو لم يكونوا معصومين لارتفع الاطمئنان والاعتماد عن اتباعهم والاقتداء والتأسي بهم، وتبطل فائدة بعث الأنبياء، فاللطف والحكمة يقتضيان ذلك، واختصاصهم بتلك العنايات، لا يتنافى مع الطبيعة البشرية لمن له معرفة بالقدرات البشرية).

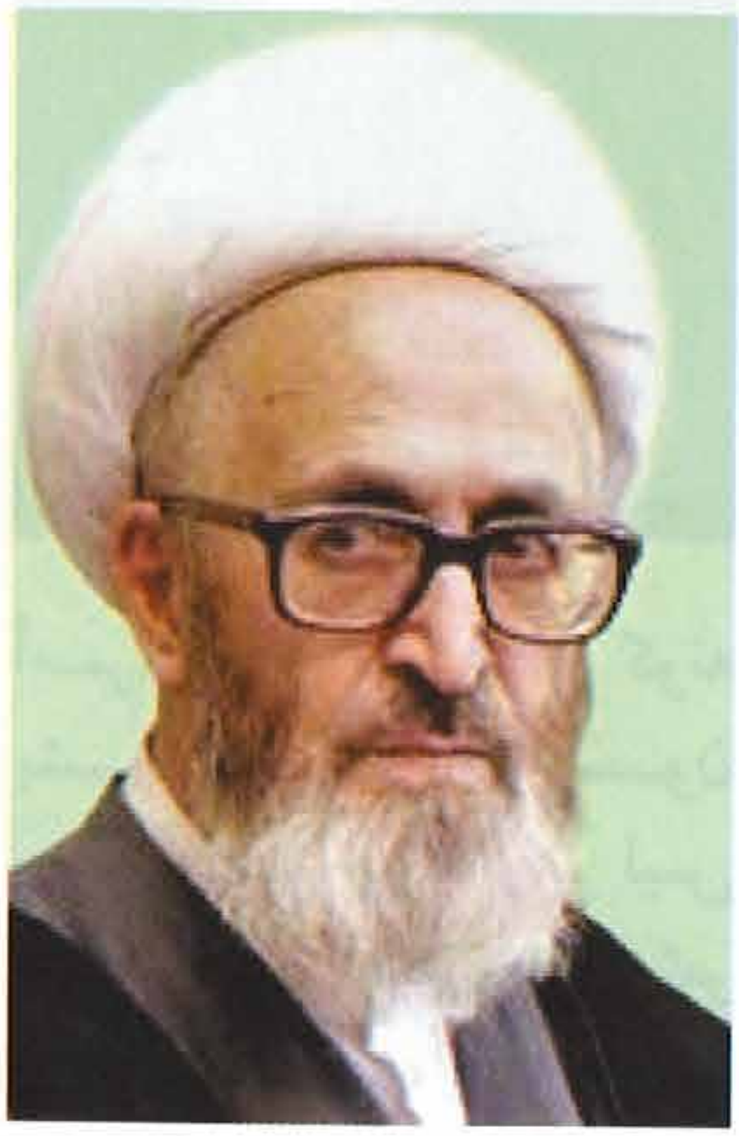

العلامة جعفر السبحاني

العقل والمعاد:

قال: (إن العديد من الباحثين يعتقدون بأن الحقائق والمصاديق الدينية لا يمكن إخضاعها للإثبات. من هؤلاء ابن سينا الذي كان يقول بأن المعاد لايمكن إثباته بالدليل العقلي).

والصحيح أن ابن سينا لم يقل بعدم إمكان إثبات المعاد بالدليل العقلي، بل اعتبر أنه لا يمكن إثبات (المعاد الجسماني) بالعقل، أما (المعاد الروحاني) فالعقل يثبته. قال في كتاب النجاة والشفاء: (يجب أن يُعلم أن المعاد منه ما هو منقول من الشرع، ولا سبيل إلى إثباته إلاّ من طرق الشريعة وتصديق خبر النبوة، وهو الذي للبدن عند البعث، وخيرات البدن وشروره معلومة لا يحتاج إلى أن تُعلم،

آية الله مكارم الشيرازي



وقد بسطت الشريعة الحقّة التي أتانا بها نبينا وسيدنا ومولانا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن، ومنه ما هو مُدرك بالعقل والقياس البرهاني، وقد صدّقته النبوة، وهو السعادة والشقاوة الثابتتان بالقياس اللتان للأنفس، وإن كانت الأوهام هاهنا تقصر عن تصوّرهما الآن).

ثم لاحظ عزيز القارئ أن ابن سينا ـ وهو الفيلسوف المؤمن بمنهجه العقلي أشد الإيمان ـ يصدّق في النتيجة بالمعاد الجسماني ـ اعتماداً على الشريعة التي يثق بمصدرها ومضمونها ـ وإن لم يصل بنفسه إلى برهان عقلي.. فهل نكون ملكيين أكثر من الملك؟!

بالإضافة إلى أن جمعاً من المحققين قد ردوا شبهات الفلاسفة حول خصوص (المعاد الجسماني)، من قبيل شبهة (استحالة إعادة المعدوم) وشبهة (الآكل والمأكول) وغيرهما مما لا محل لعرضها، وأحيل القارئ إلى كتاب (نفحات القرآن) الجزء الخامس لسماحة الشيخ مكارم الشيرازي، وكتاب (المعاد) لعلي موسى الكعبي، وفيهما الكثير من الأدلة العقلية على مسألتي المعاد وجسمانيته.

أقام المحققون البراهين العقلية لإثبات وجوب العصمة بالمفهوم السابق، وليست المسألة مجرد إيمان عار عن الدليل العقلي.

العقل والتوحيد:

وقال بعد ذلك مباشرة: (والأمر نفسه ينطبق على التوحيد والنبوة، وكذلك على العصمة). في إشارة إلى عدم إمكانية إقامة الدليل العقلي على التوحيد والنبوة والعصمة، وأنها قضايا إيمانية لا يقوم عليها برهان عقلي.

والحق أنه من غير الإنصاف أن ينكر أي باحث دور العقل في إثبات التوحيد والنبوة، فالإسلام ركز كل عقيدته على العقل، وجعل الحجة بين الله وبين عباده العقل، وهناك عشرات الآيات التي تقيم الدليل العقلي على التوحيد والنبوة، كما أقام الفلاسفة المسلمون الأدلة العقلية في كتبهم على التوحيد وصفات الله والنبوة، كما فعل ابن سينا في كتابه (الرسالة العرشية في حقائق التوحيد وإثبات النبوة) قال فى بدئها: (فقد سألنى بعض من ينتهم إلى أن أذكر له رسالة مشتملة على حقائق علم التوحيد على الوجه الذى يجب أن يعتمد فى الله وصفاته وأفعاله، مجانباً جانب التقليد مائلاً إلى محض التحقيق على سبيل الاختصار، فأجبته إلى ملتمسه مستعيناً بالله ربنا) وهي رسالة تدور حول إثبات التوحيد والنبوة بالبراهين العقلية. كما صنّف المحققون عشرات الكتب المتخصصة في هذا الجانب وضمّنوها البراهين العقلية، ومن الكتب المعاصرة (الإلهيات على هدى الكتاب والسُّنة والعقل) بأجزائه الثلاثة وهي محاضرات لسماحة العلامة جعفر السبحاني.

نقد الشيعة و العصمة / ٢ من ٢

١٢ ذوالقعدة ١٤٣٠ هـ / ٣١ أكتوبر ٢٠٠٩

أستكمل نقد بعض ما جاء في مقال الأستاذ فاخر السلطان المنشور بعنوان (الشيعة والعصمة).

ما وراء هذا الطرح:

لو جمعنا مفردات ما جاء في هذا المقال بالإضافة إلى مقالات سابقة للأستاذ فاخرٍ فإننا سنكوّن تصوّراً فرضياً عاماً حول النتائج التي يريد الكاتب التوصل إليها، ويمكن تلخيصها كما يلي:

عقلية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا تتجاوز في تفوقها إلا العقلية العربية في زمانه وبيئته.. (ولذا مع التطور الحاصل في المجالات المعرفية المتعددة لا يبقى للسنة النبوية حجة ذات أهمية في حياة المسلم المعاصر).

القول بالعصمة يساهم بقوة في وأد ثقافة النقد، إذ لا يمكن الجمع بين صاحب السلوك وصفاته فوق البشرية وبين نقده.. (ولابد من تغيير هذه النظرة حتى يمكن للباحثين نقد النبي بكل أريحية!).

عادة ما تكون منابع المعرفة ومفاهيمها عرضة للسؤال والنقد، ومهيأة للمراجعة وإعادة النظر باستمرار، وذلك إما لتعديلها وتحديثها، أو استبدالها بأخرى جديدة. (وبالطبع فإن منابع المعرفة الأساسية في الإسلام القرآن والسنة).

الخطاب الديني التاريخي يعتقد بأن الإسلام هو «دين ودنيا» وصالح بذاتياته وعرضياته ـ وليس فقط بذاتياته ـ لكل زمان ومكان، ويعتقد بأن كل ما جاء في القرآن لابد من تطبيقه في الماضي والحاضر والمستقبل. (والكاتب ـ بالطبع ـ يختلف تماما مع هذه الرؤية).

الرؤى المطروحة ستعمل على تفريغ القرآن والسنة من محتواهما التشريعي والفكري والأخلاقي، وسيكونان عُرضة للتجريح والتنقيص تبعاً لأمزجة البعض تحت عنوان التطوير.

سروش والقرآن:

وأعتقد أنه إذا أردنا أن نوضّح الصورة أكثر، فلابد من العودة إلى أفكار ورؤى المفكر الإيراني الأستاذ عبدالكريم سروش، حيث أن تأثر الأستاذ فاخر السلطان به ـ لمن لديه اطّلاع ولو بسيط على أطروحات سروش ـ يعد أمراً واضحاً وينعكس بجلاء في مقالاته، بل لطالما بنى الأستاذ فاخر أطروحاته على أساس كتابات الأستاذ سروش الأكثر صراحة في التعبير عن رؤاه الفلسفية.

ففي مقابلة أجريت مع سروش في هولندا تحدث عن كون (الذي تلقاه النبي من الله هو مضمون القرآن فقط دون صياغة.. النبي هو الذي قام بصياغة القرآن في عبارات

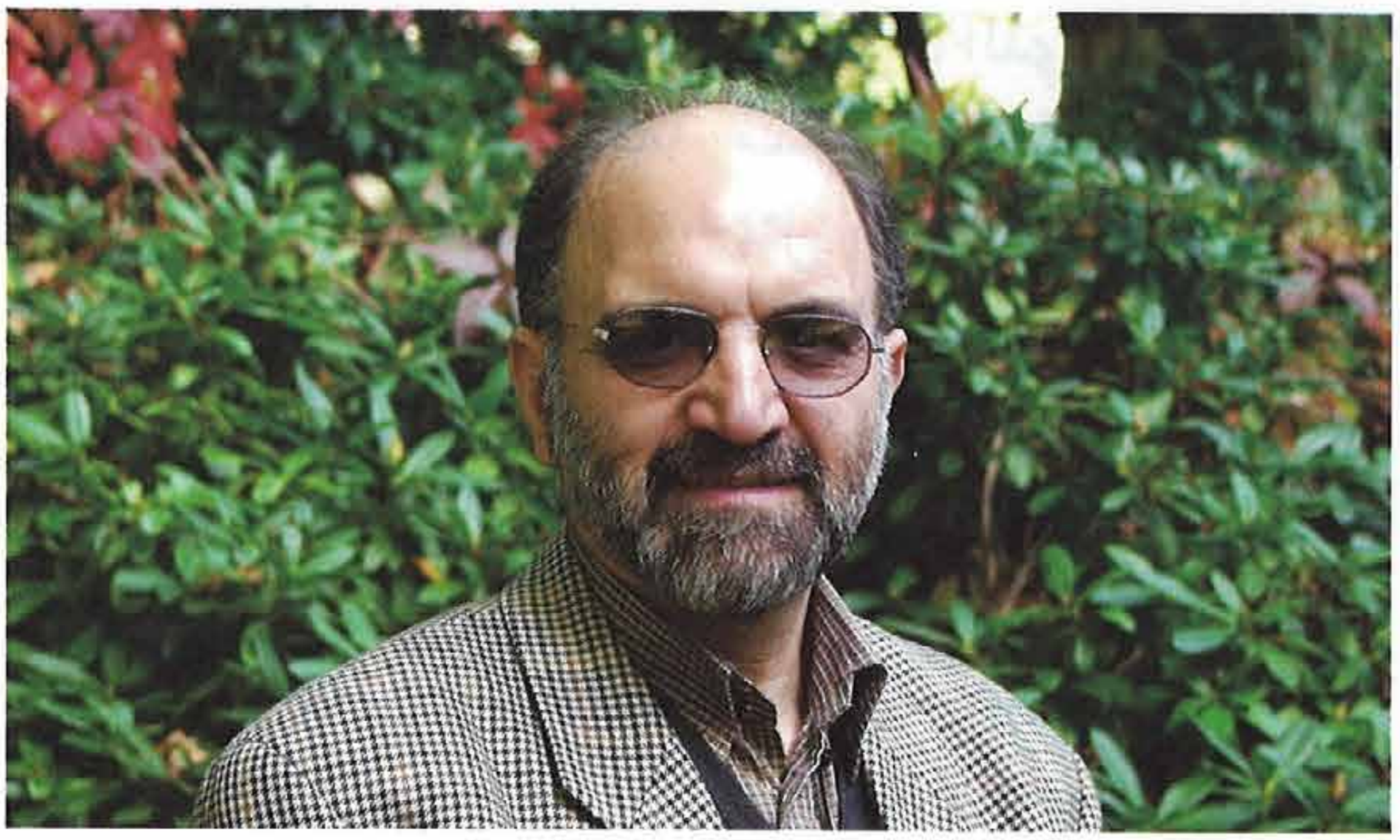

الأستاذ سروش

باللغة العربيــة، وفي «عملية الترجمة» هذه تدخلت عوامل كثــيرة لهــا علاقــة بالجانب البشــري في شــخصية النبي: النقص في المعــارف العلمية في ذلك العصــر، إضافة إلى شخصية النبي نفسه، وتجاربه في شــبابه، وميوله الشخصية، وحتى التحــولات في المزاج. القــرآن معصوم من الخطأ في مضمونه الديني فقط، وليس في صياغتــه التاريخية. إذا أراد المســلمون أنٍ يتخــذوا من القرآن هاديــاً لهم في العصر الحاضــر، فعليهــم أن يتبعوا روح القــرآن وليــس نصــه الحرفي. الســعي إلى التطبيق الحرفي للتعاليم القرآنية أدى إلى نتائج عبثية ومؤسفة).

استخلاص:

وهكــذا يمكــن القول أن رؤى الأســتاذ فاخر السلطان ســتقود بالنتيجــة إلى الأخذ بما قال به الأســتاذ ســروش، وإن كان التصريــح بمثل هذا ليــس بالأمــر الذي ســيمر مرور الكرام في مجتمعنا، وقد تترتب عليه ردود فعل هو في غنى عنها، ولذا لا أتصور أنه ســيأتي اليوم الذي ســيكرر فيه الأستاذ فاخر نفس مقولة ســروش بهذا الوضوح، وإن كانت تُفهم مــن مقالاته لمن يتتبعها (لاحظ البند الثالث أعلاه)، لاســيما مع ملاحظة أن ســروش تــدرّج في طرح رؤاه، فبعــد أن كان يقتصر في حديثه على نقد الفهمِ الدينيِ للنص واعتباره جهداً بشريا وضرورة التفريق بين النص وبــين فهمــه (وهــذا يمكن البحث بشأنه) أخذ يتحدث لاحقاً عن نقــد ذات النص القرآني، فضلاً عن الصحيح من النص النبوي.

النتيجة العملية:

أما النتيجة العملية لكل ما سبق فهو تفريغ القرآن والسنة مــن محتواهمــا التشــريعي والفكــري والأخلاقي إلا في بعض العناوين القليلة، ولن تبقى لهما حجية، وســيكونان عُرضة للتجريــح والتنقيص تبعــاً لأمزجــة البعض تحت عنوان النقد العلمي والتطوير في المعرفة البشرية. (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِــنٍ وَلا مُؤْمِنَــةٍ إِذَا قَضَى اللَّــهُ وَرَسُــولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُــمُ الْخِيَرَةُ مِــنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللّــه وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًــا) الأحزاب:٣٦، (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُــولُ فَخُذُوهُ وَمَــا نَهَاكُــمْ عَنْــهُ فَانتَهُــوا وَاتَّقُوا اللّــه إِنَّ اللّــه شَــدِيدُ الْعِقَابِ).

صادف قبل أيام أن تواجدت أمام إحدى المعاهد الدراسية الحكومية الخاصة بالفتيات، فلاحظت وضعاً غير طبيعي في حركة السير، فالسيارات المتوقفة في الجهة الأخرى من الطريق قبالة بوابة المعهد تُعدّ بالعشرات، وروادها من الشباب، وبأيديهم هواتفهم النقالة، وبعضهم يشير من بعيد، وبعض آخر يطلق صيحات وعبارات غير لائقة.

السؤال الذي طالما يتكرر: ما علاقة اللباس المحتشم بمثل هذه التصرفات المنفلتة؟ هل للكبت الذي يمارس بحق المرأة في الإسلام ـ كما يقول البعض ـ علاقة بالأمر؟

الأسلوب القرآني:

اعتمد القرآن الكريم في معالجة القضايا الشرعية الاجتماعية على بعدين: الحكم والبعد الأخلاقي، فلم المرأة (وإن اختص الخطاب في بعضها لزوجات النبي إلا أنها تعطي قاعدة عامة في الأسلوب القرآني)، قال تعالى (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ..) إلى قوله تعالى في ختام الآية (..وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا

الاحتشام والكبت

١٩ ذوالقعدة ١٤٣٠ هـ / ٧ نوفمبر ٢٠٠٩

وحين التفتّ جهة البوابة وجدت عشرات الطالبات بلباسهن «المحتشم جداً» حتى لا تكاد ترى منهن شيئاً، يتفاعلن مع بعض أولئك الشباب بصورة إيجابية.. بصراحة المنظر جمع بين الغرابة والإحساس بالاشمئزاز. ولما أثرت الموضوع مع البعض أخبروني أن هذا الموضوع معروف مشهور!

وحينها تداعى إلى ذهني

يكتفِ بالتشريع، بل سانده بتوجيهات أخلاقية يُدرك من خلالها المسلم أن وظيفته لا تقتصر على التنفيذ الحرفي للحكم فحسب، بل ولابد أن يقترن ذلك بالتفاعل مع حكمة التشريع ومقدمات التنفيذ وآدابه وأخلاقياته كي تكتمل الصورة.

وهذا ما نلاحظه بوضوح في الآيات التي تعالج لباس

يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) النور:٣١. (يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلا مَّعْرُوفًا) الأحزاب/٣٢.

القلب والظاهر:

وهكذا نجد غض البصر

المشكلة ليست فيما يقترن باللباس من كبت، بل في عدم اقتران التقنين بحزمة من القضايا التربوية



وحفظ الفرج وأسلوب الحديث ومضمونه كل ذلك مقترن بتشريع اللباس الشرعي للمرأة، ومن خلال ذلك ـ تقول الآية ـ فإنه يمكن أن يتطلع المسلمون إلى تحقيق الفلاح، لا بمجرد التقنين والإلزام، بل بالتربية والعقل والقناعة والعفة والحياء والاحتشام القلبي مع الاحتشام الظاهري.

وما مقولة أن الحجاب حجاب القلب لا حجاب البدن، إلا تهرب من واقع التشريع الذي جمع بين العنوانين، وإن كنت لا أحبذ استعمال كلمة حجاب للدلالة على اللباس الشرعي، فالقرآن الكريم لم يستعمل هذه الكلمة للدلالة على هذا الموضوع، كما أن له دلالة سلبية في أذهان الناس، وكأن الإسلام ـ وفق دلالة هذه الكلمة ـ يريد للمرأة أن تنعزل عن واقعها الاجتماعي، والحق أن هذا ليس من صلب التشريع الإسلامي.

مكمن المشكلة:

إن أساس المشكلة ليس فيما يقترن باللباس من كبت تلقائي ينفجر في صورة تصرفات طائشة بعيداً عن أعين المراقبين، بل المشكلة في عدم اقتران هذا التقنين بحزمة من القضايا التربوية والأخلاقية والاجتماعية والتشريعية المكمّلة لصورة التشريع الإسلامي للعلاقة بين الجنسين. فالأسرة التي تركز على المظهر، وتنسى الجوهر.. تنسى ما للعفة والحياء والتقوى وطهارة المشاعر واحترام الذات وعزة النفس وأدب العلاقات من أثر إيجابي.. وتنسى ما للغناء (رقية الزنا كما في الحديث الشريف) والمناظر الفاضحة المبثوثة في وسائل الإعلام والصحبة السيئة وإهمال عنصر التوجيه والمتابعة من آثر سلبي.. مثل هذه الأسرة لن تجني الكثير من وراء التقنين الإلزامي للباس الشرعي الذي قد يمثل بالنسبة إلى الفتاة عامل ضغط كبير يفتح لتسويلات النفس ووساوس الشياطين أبواباً من المعاصي. بالطبع هذا لا يعني الدعوة إلى التخلي عن هذا اللباس، بل ضرورة التكامل بين عنصري التربية والمظهر ولاسيما منذ الصغر.

تسطيح العقل العربي

٢٦ ذوالقعدة ١٤٣٠ هـ
١٤ نوفمبر ٢٠٠٩

مباراة في كرة القدم بين منتخبين عربيين ـ مصر والجزائر ـ ستقام هذا اليوم وتّرت العلاقات السياسية والدبلوماسية بين البلدين وشهدتا تصعيداً كبيراً.. إن على المستوى الشعبي أو الإعلامي أو الرياضي أو حتى السياسي والدبلوماسي. مفردات عديدة تناقلتها وسائل الإعلام تعكس الصورة المؤلمة للتشنج الحاصل بين البلدين: فقد تم تهديد جالية أحد البلدين المستقرة في البلد الآخر، وتم حرق العلم، والاعتداء على إحدى المنشئات المصرية في الجزائر، وتسميم بعض أعضاء الوفد الرياضي المصري، والهجوم المتبادل على مواقع البلدين على شبكة الإنترنت، وما إلى ذلك. حتى الآيات القرآنية لم تسلم من الاستهزاء بها نكاية ببلد ضد آخر.. أليس هذا نتاجاً لتسطيح العقل العربي؟

وهكذا لو استعرضنا المشهد عندنا في الكويت، لاسيما فيما يخص القضايا المطروحة على جدول أعمال مجلس الأمة، فإننا سنجد أن القضايا الاستهلاكية والاستعراضية التي تُطرح، فيها الكثير من تسطيح العقل.. فمن وراء ذلك؟

مقاييس غير مناسبة:

بعض المفكرين العرب يعزي مسألة التسطيح إلى أن العقل العربي بدوي في مقاييسه، وفي حركة التنازع فيه، فهو يريد أن تكون له الغلبة دائماً، كما أنه يفضّل استشارة القائد بالقرار بدلاً من مشاركته فيه من قبل الأفراد المأتمرين بأمره، وهو لا يحب تغيير مفاهيمه الموروثة وسلوكياته المعتادة، فلسان حاله: هذا ما وجدنا عليه أبائنا عاكفون، مهما كانت تلك المفاهيم باطلة.

وسائل الإعلام:

البعض يعزي التسطيح إلى وسائل الإعلام التي تتعمد تقديم المواد بصورة تعمل على تسطيح العقل العربي. ويدعون أن شركات السلاح هي مالكة لأكبر المؤسسات الإعلامية العالمية، وهدفها تسويق أفكار تسهّل انسيابية منتجاتها في السوق العالمية. وإذا ضممنا إلى ذلك أن إعلامنا العربي ـ في غالبيته ـ إعلام اجتراري وليس بمستقل بل هو عالة على المؤسسات الإعلامية الغربية اتضحت الصورة جلياً في الغرض من هذا التسطيح.

الخطاب الديني:

وهناك من يتحدث عن الخطاب الديني السطحي الذي ركب موجة الصحوة الدينية في أواخر القرن العشرين، فابتعد عن جوهر

الديـــن، وأخـــذ يتلاعـــب بعواطف الناس وعقولهم من خلال قضايا الســـحر والمس وتفســـير الأحلام وكشـــف الغيبيات والفتـــاوى الغريبة ومـــا إلى ذلك، عـــلاوة على أحادية الرأي وتقديسه وعدم قبول الآخر بل وتكفيره.

التربية والتعليم:

فالأســـلوب التعليمـــي والتربـــوي للأطفـــال والذي ينشـــؤون عليه في الأسرة وفي المدرســـة على طريقة التلقي والحفظ لا على طريقة الحوار والبحـــث والتجربة العملية تـــؤدي إلى تســـطيح العقل.. بل حتى اللعبـــة التي نوفّرها للطفلٍ تســـاهم في تسطيحه فكريـــاً عندمـــا لا نراعي ما ينمّي تفكـــيره، بل نركز على اللهو فحسب.

فوقية المفكرين:

وأود أن أضيف عاملاً آخر لا يصـــح إغفاله، فمشـــكلة كثـــير من المفكريـــن العرب إحساســـهم بالفوقيـــة على أفراد المجتمع ممـــن لا ينتمون إلى طبقتهـــم، وإصرارهـــم على الكتابـــة والخطابة ذات اللغـــة الـــتي لا يفهمهـــا إلا القليـــل، أو التي لا ينســـجم معها إلا من المحســـوبين على تلـــك الطبقـــة، بالإضافة إلى النقد العنيف لكل شئ دون تقديم الحلول العملية، ودون المشـــاركة في إيجادها، فدورهم فكري محض، ومن هنا فقدوا امتدادهم الجماهيري وأسلموا عامة الناس إلى الســـطحيين والمتكسّبين إعلامياً، وانحصرت عطاءاتهم الفكرية في ثلةٍ هي في ذاتهـــا تعيـــش حالـــة من عدم الوفاق بينهـــا.. فمرض التسطيح انتقل هذه المرة بين المفكرين العـــرب في صورة تسطيح للعلاقات، ولذا تجد أن إمكانية الالتقاء بين المفكرين الإسلاميين وغير الإسلاميين قليلـــة ونادرة بل ومتشـــنجة، في الوقـــت الـــذي يلتقي فيه الطرفان عنـــد مفردات كثيرة يمكنهم من خلالها أن يعالجوا مشكلة تسطيح العقل العربي وقضايا أخرى كثيرة.

مسئولية الشباب:

وســـواء قبلنا بكل العوامل الســـابقة أم لا، وسواء كانت هنـــاك عوامل أخـــرى أم لا، بتصـــوري أن على الشـــباب مسئولية كبيرة في هذا الإطار.. ففي الأحاديث (تفكر ســـاعة خيرٍ من عبادة سنة.. أو سبعين عاماً)..

وهذا يعـــني أن دور العقل عنـــد المســـلم دور محوري في بناء كيانه وشخصيته وحاضر ومســـتقبل مجتمعـــه، وأن التســـطيح أمر مرفوض وغير متناسب مع الهوية الإسلامية.. والشـــباب الطامحون للتغيير لابـــد أن يخططـــوا لدراســـة هكذا قضايا في جلســـاتهم.. وليتسلحوا في حواراتهم عن أسباب التســـطيح.. ومنابعه.. وكيف الخروج من هذا الواقع السلبي؟

وأنـــا على ثقة بأن طاقاتهم الخلاقة قـــادرة علـــى أن تجد بعض الحلـــول التدريجية التي من خلالها ســـيكون بأيديهم تغيير المعادلة.. بشرط الجدية والمثابـــرة والإخـــلاص بعد التوكل على الله سبحانه الذي بيده مقادير كل الأمور.

EMO

٤ ذوالحجة ١٤٣٠ هـ / ٢١ نوفمبر ٢٠٠٩

(إيمــو) تقليعــة أخرى من تقليعــات الشــباب الذين يعيشــون ضيــاع الهويــة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، أُخِذت كالعــادة عن الغرب، تقليداً وانبهــاراً بهم، ونقمةً واســتحقــــاراً لمجتمعهــم، واســتهلاكاً واجتراراً لما تبثّه وســائل الإعــلام والاتصال بعيداً عن روح المسئولية.

المفهوم والدلالة:

تأتي الكلمة اختصاراً لكلمة **Emotion** وتعني المشــاعر والأحاسيس، وقيل اختصاراً لـــ **Emotive Driven** لـــ **Hardcore Punk** وتعني المتمرد ذو النفســية الحساسة. بدأت هذه الظاهرة مع انتشار نوع خــاص من الموســيقى الغربيــة في نهاية الثمانينات من القرن العشــرين وتحمل الاسم **Emocore**، وعُرف عشاق هذه الموســيقى باسم أبنــاء الأيمــو **Emo Kids**، ثم تطوّر الأمــر بتأثير نوعية الموســيقى ومحتوى الأغنيات لتغــدو ظاهــرة اجتماعيــة، ولأصحابهــا سمات نفســية خاصة تمــزج بين روح التمرد والحساسية المفرطة تجاه المجتمع والخجل والعاطفة الجياشــة، بالإضافة إلى الحــزن والكآبة المســتمرة الــتي تدفعهم عادةً إلى الرغبــة في الانتحار.. وقد غدا هــذا المصطلح في بعض المجتمعات ذا دلالة قوية بحيث يوصف الشــخص المكتئب بأنه (إيمو)!

المظهر الخارجي:

يعبّر الإيمو عن أنفســهم - ذكوراً وإناثــاً - بأزياء خاصة، عادةً ما تكون قاتمة أو ســوداء، مع ســراويل ضيقــة جداً أو فضفاضــة جــداً، ويضيفون إلى مــا ســبق مكياجاً شــاذاً وصارخاً مع تسريحات غريبة مع حلقات للأنف والشــفاه والحاجب، وأغطية للمعصم مع جــروح يُحدِثونها في هذه المنطقة للدلالــة على الرغبة الدائمة في الانتحار.

عبادة الشيطان:

يُتهم الإيمــو في المجتمعات الغربيــة - وفي مجتمعاتنــا - بأنهم يمارسون عبادة الشيطان، وأن في شــعاراتهم والألوان المفضلــة لديهــم ومظهرهم الخارجــي ومضامين أغنياتهم ما يرمز إلى ذلك، وبعض من ينتمي إليهم يؤكد صحة هذا الادعــاء الذي يســاوق أيضاً كراهية كل الديانات والتمرد عليها، مع تحريم لعن الشيطان أو التعرض إليه بســوء. وإن كنت لا أوافــق على شمولية هذه الصــورة، إلا أنه لا يبعد أن يكون بعضٌ ممن ينســاق وراء هــذه الظاهــرة يتدرج في انحرافه وشــذوذه الفكري والســلوكي والشعوري حتى يصل به الأمر إلى ما يســمى بعبادة الشــيطان، لاسيما مع وجــود المحفّــزات والأجواء الممهــدة لذلك. قــال تعالى (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّــضْ لَــهُ شَــيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) الزخرف:٣٦.

غسيل الدماغ:

يقول الدكتور كامل الفراج في كتابه (سيكلوجية التأثير وغسيل الدماغ): (تلجأ بعض الديانات كالبوذية إلى استخدام همهمات وأناشيد التي تكتب وتؤلف بشكل علمي مدروس، وعلم النفس الموسيقي هو تخصص قائم بذاته يعرف من خلاله المتخصصون أي نوع من الإيقاعات والوقفات الموسيقية منتظمة تظهر على الإنسان عندما يكون في حالة الاسترخاء الذهني، وهذه الموجات لها آثار إيجابية، فهي تظهر وقت الاسترخاء أو أنها تمثل ميل الدماغ لخفض

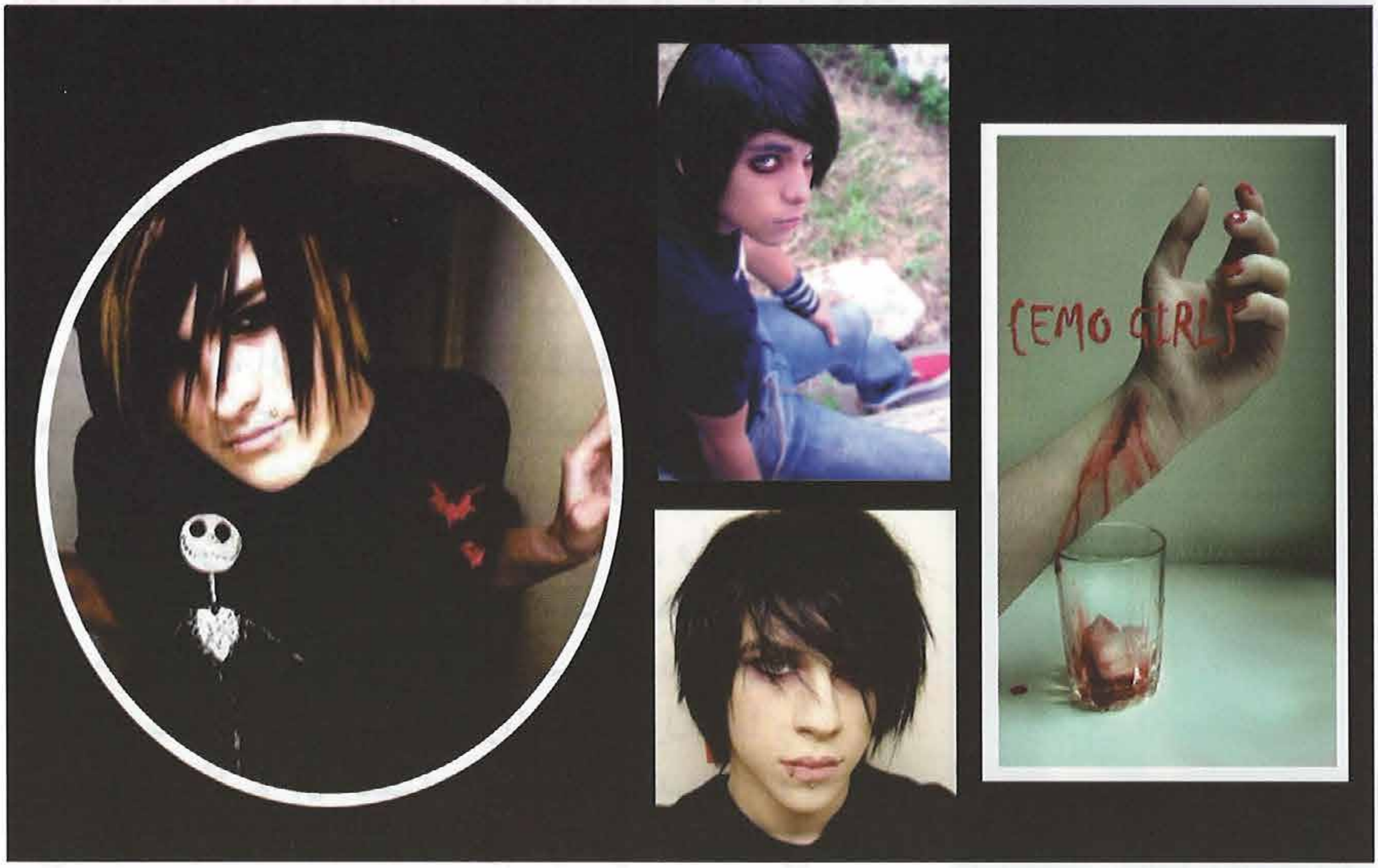

تُدخل المستمع في حالة معدَّلة من الوعي، وتنشّط لديه موجات "ألفا" في الدماغ. حالة الوعي هذه تجعل المستمع أكثر قابلية للإيحاء والتقبل.. وحديثاً تستعين أساليب غسيل الدماغ بما يسمى "بالموسيقى النفسية"

تستثير نشاط "ألفا" في الدماغ والأخرى التي تستحث نشاط "بيتا" وغير ذلك).

ألفا وبيتا:

ويضيف الدكتور الفراج: (موجات "ألفا" هي موجات

النشاط الفكري لغرض الاسترخاء، لكن المعضلة هنا أن من يريد غسيل الدماغ أن يتحقق لضحاياه يحاول قدر الإمكان إيصالهم لهذه الحالة الدماغية.. وفي حالة التفكير العميق والتيقظ الذهني "أي

حالة بيتا" يكون من الصعب التقدم والاستمرار في غسل الدماغ بسبب أن التعليمات التي تصدر لضحايا غسيلِ الدماغِ سوف تُعالج معرفياً وفكرياً، فيقوم الدماغ برفض الأفكار غير المقبولة منها.. أظهرت نتائج غير متوقعة لدى الكثير من علماء النفس أن الدماغ وهو في حالة من الاسترخاء الذهني "أي حالة ألفا" لا يتوقف عن التعلم وعن البرمجة الذهنية وإنما تتعطل لديه ملكة التفكير والفحص الجزئي للمنبهات والملكات المعرفية الأخرى).

الهوية المفقودة:

ومما ييسّر الأمر ويسرع في وتيرة التأثير أن الفئة التي تنجذب ـ عادة ـ لهكذا تقليعات هم الشباب والمراهقون الذين يعانون من صراع الذات وفقدان الانتماء والهوية، إذ أن هوية الفرد تعد المظلة التي تجمع نظرة الفرد عن ذاته وعن المجتمع الذي ينتمي إليه. وعندما يتبنى المراهق عقائد هذه الفئة ويؤمن بها، وتحرّكه دوافعه وحاجاته (التي تتمثل بالرغبة في الانتماء الحقيقي لها) فإن هذا يؤدي إلى تبنّي اتجاه نفسي خطير يتسم بثلاثة أمور:

١. الأفكار الشاذة. ٢. المشاعر الحادة المتطرفة. ٣. السلوكيات المنحرفة. وهي بأجمعها واضحة في هذه الفئة التي قد يتشبّه بها الشباب في مجتمعنا دون وعي وإدراك إلى تبعات ذلك، لاسيما مع الإهمال في التربية، أو اعتماد الأساليب التربوية الخاطئة، أو انعدام القدوة الصالحة في حياة الأبناء.

(أما حق ولدك: فأن تعلم أنّه منك ومضافٌ إليك في عاجل الدنيا بخيره وشرّه، وأنك مسؤول عما ولّيته من حسن الأدب والدلالة على ربّه والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسك، فمثابٌ على ذلك ومعاقب، فاعمل في أمره عمل المتزيّن بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا، المعذّر إلى ربِّه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه والأخذ له منه). رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام.



الجـــــن الأبيـــــض !!

١١ذوالحجة ١٤٣٠ هـ/ ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٩

تلقيت قبل أيام مكالمة هاتفية من سيدة قالت: أخذت بعض الأوراق التي كتبت فيها طلاسم سحرية، وكان من المفترض أن أحرق بعضها وأدفن بعضها الآخر، وأرمي في البحر ما تبقى، إلا أنني ترددت في تنفيذ ذلك، فوضعت الكل في قدر وأحرقته، فتصاعد من الأوراق دخان أبيض مع صوت أزيز، وداخلني من ذلك رعب شديد. ولما اتصلت باثنين من «المشايخ...» أكدوا لي أن هذا الدخان الأبيض هو جني هذا السحر، وأنه قد دخل في جسدي، وأنني سأصاب بعد مدة بالجنون إن لم أبادر لأعمال معينة لدفع ذلك.

تذكّرت حين سمعت صوتها أنها ليست المرة الأولى التي تقدم فيه على شئ من هذا القبيل، ولما استفهمت منها الأمر، أخبرتني أنها المرة الثانية التي تُقدم فيها لعمل السحر ـ الذي يُجلب من بلد عربي



ـ وذلك للإضرار بزوجة أخيها، وأن ما يخيفها الآن أن يكون الأمر قد انقلب عليها، لاسيما مع الأحلام المرعبة التي تأتيها في المنام!!

الخشية من الأوهام:

حاولت أن أفهمها أن عليها أن تخاف غضب الله وعقابه في الدنيا والآخرة، لأنها أتت بذنب عظيم يعد من الكفر بالله سبحانه، وأن ما ورد في شأن عمل السحر للإضرار بالآخرين يستدعي منها التوبة الفورية والندم على ما فعلت، إلا أنها لم تستجب لكل هذا الكلام، وأقصى ما صدر عنها (لا بأس، أستغفر الله، ولكن هل سيضرني هذا السحر؟ هل سأصاب بالجنون؟!) قلت لها: هذه كلها أوهام، ومن أخبروك أن الدخان جني خدعوك، وعليكِ أن تتوبي وأن تخافي الله الذي بيده كل شئ، لا أن تخافي من الجن ومن الأحلام والأوهام.. وللأسف لم أجد منها إلا ترديد عبارات الخوف من الجن وتأثيره عليها!

حقائق قرآنية:

يذم القرآن الكريم من يخشون الخلق كخشيتهم الخالق أو أشد خشية، قال تعالى في ذم من يخشى الناس: (إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّـهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً) النساء:٧٧، وقال في مدح من كان رضا الله هو الأساس عنده في التقييم وفي اتخاذ الموقف، ولا يجعل خشية المخلوق مقدماً على خشية الخالق: (الَّذِينَ

قَالَ لَهُمُ النَّـاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّـهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّـهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّـهِ وَاللّـهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيـمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّـيْطَانُ يُخَـوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُـمْ وَخَافُـونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِـينَ) آل عمـران: ١٧٣-١٧٥. فعلى الرغم من واقعية اجتمـاع المشـركين للقتـال وضخامة عددهـم وعدّتهم، بالمسـتوى الذي لا يسـتطيع المسلمون مواجهته على طريقة الحسابات الماديّة؛ الأمر الذي يُفترض معه أن يدفع بهم إلى الشـعور بالخوف والتراجع، ولكن هـؤلاء المؤمنين الذين استجابوا لله وللرّسول، كانوا يعيشـون الإيمان في أنفسهم كعاملٍ من عوامل الشـعور العميـق بالقـوّة، من خلال الشـعور بالانتمـاء إلى الله القـويّ القادر، ولهذا لم يخافوا أولياء الشيطان، بل خافوا الله سبحانه، لأنهم على يقين أن (كَيْدَ الشَّـيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) النساء:٧٦.

سلطة الشيطان:

فمـا بـال أولئـك الذين يعيشـون أوهـام قـوة الجن وتأثيراتهم السحرية وآثارهم في عالم الدنيا، ما بالهم يخشون سلطة الشياطين التي لا تتعدى التسـويلات والإيحـاءات والوساوس والأحلام المزعجة والتأثيرات النفسية (وَمَا كَانَ



لِـيَ عَلَيْكُم مِّن سُـلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْـتَجَبْتُمْ لِي) إبراهيـم:٢٢، ولا يتقـون الله ولا يخشـون سطوته وانتقامه، فيلجؤون إلى المعصية والكفر من خـلال السـحر إرضاءً لشهوة أو إضراراً بالغير؟ إنها معادلـة الخائبين الخاسـرين، الذين نسـوا أن الشيطان لا يملك إلا أن يملأ قلوب أوليائه بالمشـاعر السـلبيّة، فيُعطي الأشياء من حولهم صورة غير واقعيّة، فتضخّـم في وعيهم القضايـا الصغـيرة، وتصغّر القضايا الكبـيرة، فيضعفون أمام ذلك كلّه.

كدر ولعنات:

روي عـن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السـلام: (أقبلت امرأه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم وقالت: إن لـي زوجاً، وبه غلظـةٌ عليّ، وإنـي صنعـت شـيئاً - أي من السـحر - لأعطفه علي؟ فقال لها رسـول الله: أف لكِ، كدّرتِ البحار وكدّرت الطين، ولعنتـك الملائكـة الأخيار وملائكة السـماء والأرض). وعن أمير المؤمنين علي عليه السـلام: (من تعلّم شيئاً من السـحر قليـلاً أو كثيراً فقد كفـر، وكان آخـر عهده بربه وحده أن يُقتل إلا أن يتوب). وعنه عليه السلام: (نحن أهل بيت عصمنا الله من أن نكون فتانين أو كذابين أو ساحرين أو زنائين، فمن كان فيه شـئ من هذه الخصال فليس منا ولا نحن منه).

الغـــدير في الشعـــر

١٨ذوالحجة١٤٣٠ هـ / ٥ ديسمبر ٢٠٠٩



يوم الغدير الذي أعلن فيه النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيه ولاية الإمام علي عليه السلام أمام حشد يقرب من المائة ألف من المسلمين بعد حجة الوداع، وبالدقة في ١٨ من ذي الحجة من العام العاشر للهجرة، حيث كان فيما قال بعد أن أخذ بيد الإمام علي عالياً: (ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟... فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله)، حظي هذا اليوم بالتقريظ والاحتفاء عن طريق الشعر من قبل من عاصر الحدث، ومن جاء لاحقاً. وفيما يلي نماذج من شعر الغدير.

حسان بن ثابت:

شهد الصحابي حسان بيعة الغدير، فكانت أبياته التالية أول ما عُرف من الشعر القصصي في رواية هذا النبأ العظيم، وقد ألقاه في ذاك الحشد الكبير، فقال:

يناديهم يوم الغدير نبيهـــم
بخُم وأسمِع بالرسول مناديا
فقال: فمن مولاكم ونبيكم؟
فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت نبينـــا
ولم تلقَ منّا في الولاية عاصيا
فقال له: قـم يا عـلي فإنني
رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه
فكونوا له أتباع صدق مواليا
هناك دعا اللهـم وال وليَّه
وكن للذي عادا علياً معاديا

قيس بن سعد:

وقال الصحابي قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري:

وعلـي إمامـــنا وإمـــامُ
لسوانا أتى به التـنزيل
يوم قال النبي: من كنت مولاه
فهذا مولاه خطب جليل
إنما قاله النبي على الأمـــة
حتـــم ما فيه قال وقيل

أبوتمام:

قال الشاعر الكبير أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (٢٣١ هـ) في قصيدة له:

ويوم الغديراستوضح الحق أهله
بضحياء لا فيها حجاب ولا ستر
أقام رسول الله يدعوهـــم بها
ليقربهم عرف وينآهم نكر
يمـد بضبعيـــه ويعلـم أنه
وليٌّ ومولاكم فهل لكم خبر؟

الناشي الصغير:

علي بن عبد الله بن الوصيف البغدادي، نزيل مصر، ويقال له: الناشي لأن الناشي يقال لمن نشأ في فنون الشعر. برع في الفقه ونبغ في الحديث وتقدم في الأدب. وروى ابن خلكان عن أبي بكر الخوارزمي: إن الناشي مضى إلى الكوفة سنة ٣٢٥ وأملى شعره بجامعها، وكان المتنبي وهو صبي يحضر مجلسه بها. ومن شعره:

أبوكم أحمد وصاحبـــه
الممنوح من علم ربه منحا
ذاك علي الذي تفـــرده
في يوم خم بفضله اتضحا
إذ قال بين الورى وقام به
معتضداً فـي القيام مكتشحا
من كنت مولاه فالوصي له
مولى بوحي من الإله وحا
فبَخبخوا ثم بايعـــوه ومَن
يبايع الله مخلصاً ربِحا

ابن الرومي:

علي بن عباس بن جريح البغدادي الشهير بابن الرومي. مفخرة من مفاخر الشعر والبلاغة. كان أبوه صديقاً لبعض العلماء والأدباء فاستفاد من ذلك كثيراً حتى نبغ في الشعر، ومن أبياته:

يا هند لم أعشق ومثلي لا يرى
عشق النساء ديانة وتحرجا
لكن حبي للوصي مخيِّـــم
في الصدر يسرح في الفؤاد توهّجا
فهو السراج المستنيـــر ومن به
سبب النجاة من العذاب لمن نجا
وإذا تركت له المحبة لم أجـد
يوم القـــيامة من ذنوبي مخرجا
قل لي: أأترك مستقيمٍ طريقه
جهلاً وأتّبع الطريق الأعوجا؟
وأراه كالتبر المصفّى جـوهراً
وأرى سواه لناقديه مبهرجا
ومحلّه من كل فضـــل بيِّن
عال محل الشمس أو بدر الدجا
قال النبي له مقـــالاً لم يكن
يـــوم الغدير لسامعيه ممجمجا
من كنت مولاه فذا مولى له
مثلي وأصبح بالفخار متوّجا



محطات متفجرة

٢٥ ذوالحجة ١٤٣٠ هـ
١٢ ديسمبر ٢٠٠٩

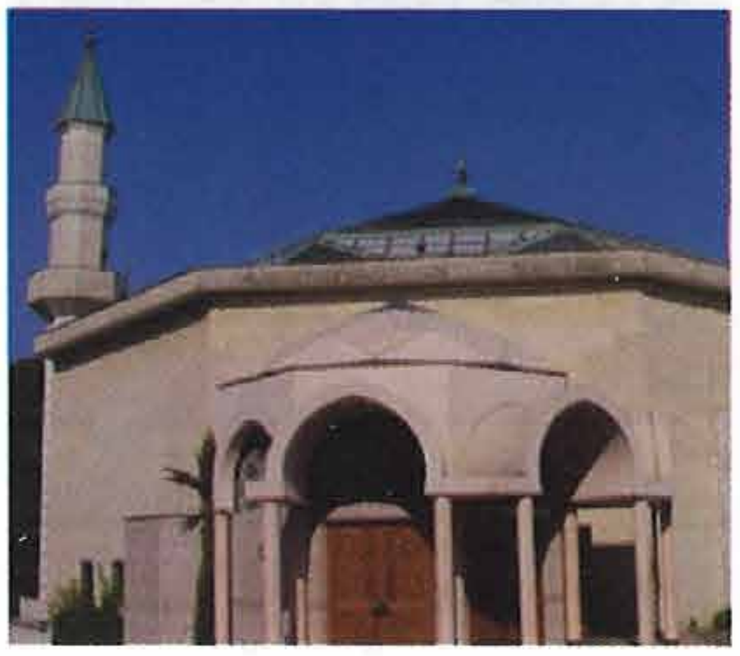

من مساجد سويسرا

المحطة السويسرية:

ردود الأفعال الأخيرة على الاستفتاء السويسري تؤكد أن أغلب الإسلاميين مازالوا يعانون من عدم تناسب مواقفهم مع طبيعة الأحداث والتحديات التي يواجهونها من قبل الغرب، وكأن تكرار الأحداث وفي سنوات متقاربة ليس كافياً لإدراك ماهية الأساليب الأكثر تناسباً للتعامل معها، وتحويل المواجهة إلى نقاط انطلاق إيجابية يمكن من خلالها توظيف حالة الشحن الإعلامي لمصلحة المسلمين من خلال عرض حقيقة المفاهيم الإسلامية التي تدعو إلى التعايش السلمي والمساهمة الحضارية والتنمية البشرية، وعزل ذوي الاتجاه المتطرف من الإسلاميين وتقديمهم للآخرين على أنهم فئة لا تمثل حقيقة الإسلام، وليست سوى شرذمة منحرفة يعاني منها المسلمون قبل غيرهم.

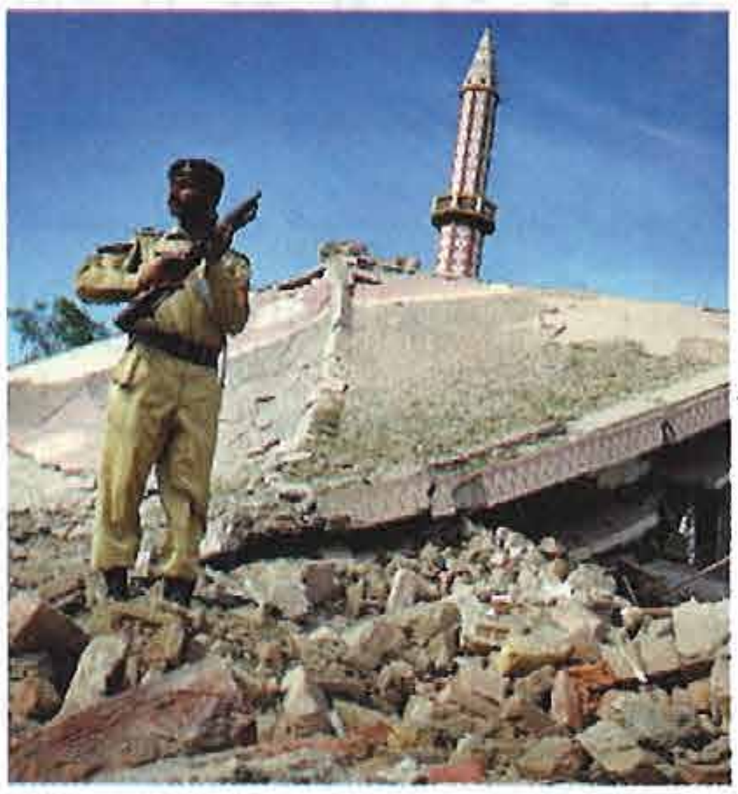

المحطة الباكستانية:

ففي باكستان وتزامناً مع تفاعل قضية الاستفتاء السويسري قامت مجموعة من المتطرفين بتفجير مسجد في منطقة روالبندي أثناء إقامة صلاة الجمعة أسفر عن سقوط ٣٦ قتيلاً على الأقل، ونحو ٧٥ جريحاً آخرين! المهاجمون ألقوا عدداً من القنابل داخل المسجد، قبل أن يفتحوا نيران أسلحتهم بشكل عشوائي على المصلين. ومن باب «شر البلية ما يُضحك» أن ذات الجماعة المتطرفة أصدرت بياناً قالت فيه انها (ليست ضد المدنيين الأبرياء، ولا دولة باكستان، ولكنها تستهدف هؤلاء الضباط والوزراء المؤيدين لأمريكا بقلوبهم وعقولهم). وهي ليست المرة الأولى التي يُهاجَم فيها المصلون في المساجد الباكستانية وسائر المؤسسات الدينية أثناء إقامة الشعائر الإسلامية المختلفة. فما وجه الاختلاف بين هذا العمل الإجرامي وبين ما قام به المتطرفون اليهود من أمثال المجرم باروخ غولدشتاين بانتهاك حرمة المسجد الأقصى وقتل المصلين الآمنين فيه؟

المحطة الصومالية:

واعتداء أثيم آخر وقع في الصومال هذه المرة، حيث فجر

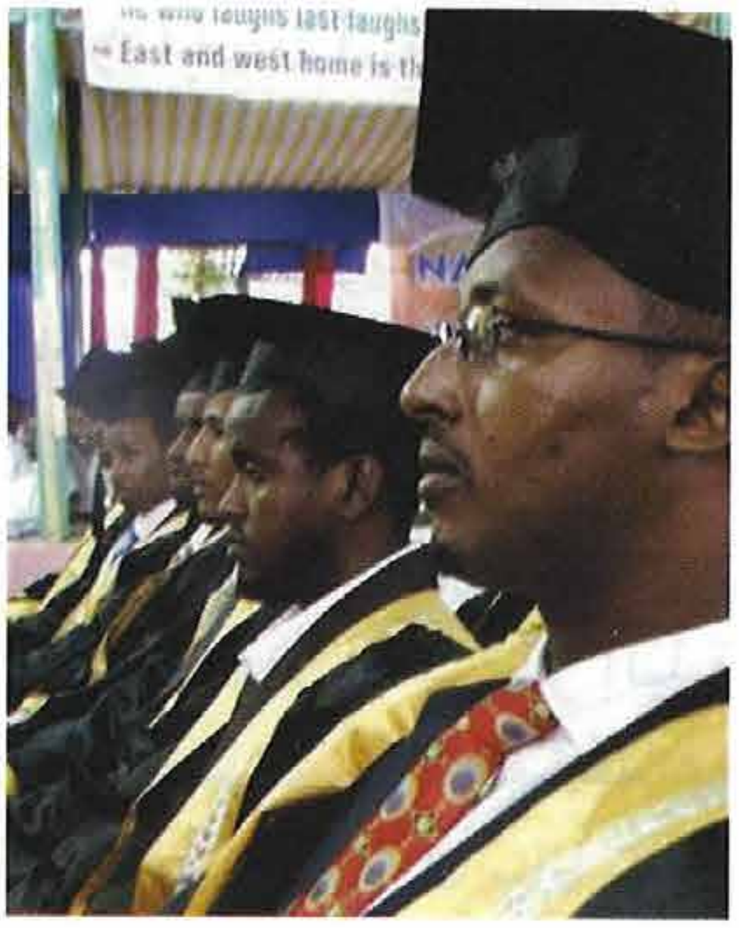

انتحاري نفسه وهو يرتدي زياً نسائياً ونقاباً في وسط احتفال أقيم في مقديشو بمناسبة تخريج عدد من طلبة كلية الطب، وأسفر عن مقتل ١٩ شخصا من بينهم عدد من الطلاب الذين كانوا سيُقدَمون إلى المجتمع لخدمة الشعب الصومالي المنكوب منذ أكثر من عقدين من الزمن.

جهود ذهبت سُدى:

هذه الصورة المقززة للمتطرفين غدت منذ ١١ من سبتمبر هي الصورة الأبرز للإسلام والمسلمين، واختفت معها معالم الإنسان المسلم الحضاري الذي سعى عدد من المخلصين لهذا الدين جاهدين في المجتمعات الغربية لإثبات رفعة قيم دينهم وتفوق تعاليم قرآنهم عملياً، ومنٍ خلال الحوار الراقي أيضاً.

درس نبوي:

لنتعلم من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كيف حول منع المسلمين من أداء العمرة في العام السادس الهجري وما تضمنه صلح الحديبية من شروط جائرة، إلى انطلاقة قوية انطوت على مجموعة من المبادرات أدت إلى اعتراف مشركي مكة بالمسلمين ودولتهم، وسمحت لهم لأول مرة دخول مكة المكرمة - بعد الهجرة - وأداء العمرة جماعياً، ومن ثم يئس المشركون من غزو المدينة والقضاء على الإسلام، وتفرغ النبي لرد كيد اليهود في خيبر وفدك.. وفي نهاية المطاف - وبعد أقل من سنتين - تحقق فتح مكة، ثم دخل عربٍ الجزيرة في دين الله أفواجاً.

الحكمة والمبادرة:

وهذا ما أكد عليه بيان المرجع الديني سماحة السيد فضل الله في بيانه حيث قال: (ينبغي على المسلمين الحذر من دفعهم باتجاه العنف أو باتجاه اعتبار أنفسهم دخلاء في بلدانهم التي يحملون جنسيتها، بل إن عليهم أن ينطلقوا ليؤكدوا حضورهم الفاعل في كل مستويات المجتمع، وأن يكونوا إيجابيين مع مواطنيهم السويسريين، حتى مع الذين صوتوا لصالح المنع، فإن الموقف السلبيٍ اليومٍ قد يتحول موقفاً إيجابياً غداً؛ وذلك عندما يؤكد المسلمون صورتهم الحضارية في مقابل الصورة السلبية التي يُراد فرضها على الشعب السويسري عبر الدعاية والإعلام. وعلى المسلمين جميعاً أن يعرفوا أن الإدارات، ولا سيما المتطرفة منها، لا تملك هامشاً كبيراً في تحدي وجود المسلمين إلا بالمقدار الذي يُدفَع فيه المسلمون إلى الاتجاه غير الحضاري، بما يؤكد الدعاية بالفعل في البلدان التي يتواجدون فيها).

ذهـــب مـع الريـــح

٢ محرم ١٤٣١ هـ / ١٩ ديسمبر ٢٠٠٩

قال تعـالى في كتابه الكريم (وَأَطِيعُواْ اللَّـه وَرَسُـولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَـلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّـه مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّـهِ وَاللَّـهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) الأنفال: ٤٦-٤٧.

تأتـي الآيتـان في أجـواء معركـة بدر لتقـدم المواعظ والوصايا الإلهيـة التي تضع للقوة قواعدها وأخلاقها، لأن الله يريـد للمقاتلـين في أيّة معركـةٍ أن لا يعتبروها مجرد ساحةٍ للقتل والقتال، بل لبناء الإنسان ـ أيضاً ـ على قاعدةٍ روحيّةٍ تنطلق مع الله في آفاق الخير والقوة.

أسباب النزاع:

الآيـة الأولى تحذر المؤمنين مـن التنازع، وتعود أسـباب التنازع بينهـم ـ على الرغم من افـتراض إيمانهـم جميعاً إلى حـب الـذات، أو الجهل أو التعصـب. ومهما كانت الأسباب فإن النتيجة واحدة: الضعـف وفقدان شـروط



النجاح وبالتالي الفشل. وهنا تعبير رائع لتصوير الفشـل بحركة حيـة، فالنجـاح بمثابة امتـلاك الريح الـتي تنحت في الصخر لتحقـق النتيجة المطلوبة، والفشل بمثابة فقدان تلك الريح واستبدالها بالهواء الكسول الخامل الذي لا يمثّل أية قـوة تغييريـة. فما الذي يحقـق الانتصـار في مواجهة التحديـات.. الريح العاصفة أم الهواء الكسول؟ إن التنازع ـ أيها المؤمنون ـ سـيُفقدكم تلك الريـح القوية الفاعلة، ولـن تملكوا حينئـذ القدرة على التغيير والتأثير وتحقيق الانتصار.

الصبر:

ثم يأتي الصبر كقوة أخرى في المواجهـة، وليـس الصبر علـى مواجهة العـدو فقط، بل والصـبر عند التنازل عن بعـض القناعـات لئلا يقع التنـازع، والتنازل عن بعض المصالح الشـخصية والفئوية للحفاظ على وحدة الكلمة.

وصف المشركين:

وفي المقابل تقدم الآية صورة المشـركين القادمـين للقتال، وتنهى عن التشبه بأوصافهم، فهم يعيشون البطر (الطغيان

في النعمة) والرياء (لا إخلاص يدفع الإنسان إلى التضحية وبذل الجهد، بل مجرد استعراض للقوة أو إرضاء للبعض أو تحقيق مكاسب شخصية) والصد عن سبيل الله (والضغط على المصلحين).

نحن والآية:

الآن إذا استثنينا أجواء القتال والحرب والنزاع بين الإسلام والشرك، وأخذنا الصور والعناوين الواردة في الآيتين، فإلى أي مدى تنطبق على الوضع الداخلي الذي تشهده الكويت هذه الأيام على المستوى السياسي وتبعاته الإدارية والاقتصادية والتعليمية والرياضية وغيرها في ظل الأجواء المشحونة والعمل على تمزيق الساحة بعناوين مذهبية وعنصرية.. إلخ؟

التنازع، الفشل في التنمية، بطر النعمة، الرياء وعدم الإخلاص للصالح العام، تجيير المواقف السياسية لصالح أفراد معينين أو تكتلات معينة وإن كان على حساب البلد، الصد عن الحق وأهله، ممارسة الضغط ضد المخلصين لتشتيت أصواتهم وإضعاف مواقفهم.. كلها صور حاضرة في المشهد الكويتي المعاصر، والكل مجمع على أن الكويت قبل الثمانينيات من القرن الماضي كانت تسير في الاتجاه الصحيح تنموياً.. كانت هناك سرقات وكان هناك فاسدون ومصلحيون وفئويون، ولكن الحركة الأوضح والأقوى كانت التنمية. أما اليوم فالصورة معكوسة.

ونأمل أن يصدق حدس بعض السياسيين الذين يقولون أنه بعد جلسة الاستجواب الأخيرة دخلت الكويت ـ سياسياً ـ في منعطف سياسي مهم، وأنه بإمكان المخلصين الآن ـ في الحكومة والبرلمان ـ العمل على أرض صلبة، وأن هذه هي فرصتهم لانتشال البلد مما تعاني منه.. نتمنى ذلك لئلا تذهب ريح الكويت إلى الأبد.. هذه الريح التي لم يتبقّ منها إلا القليل.

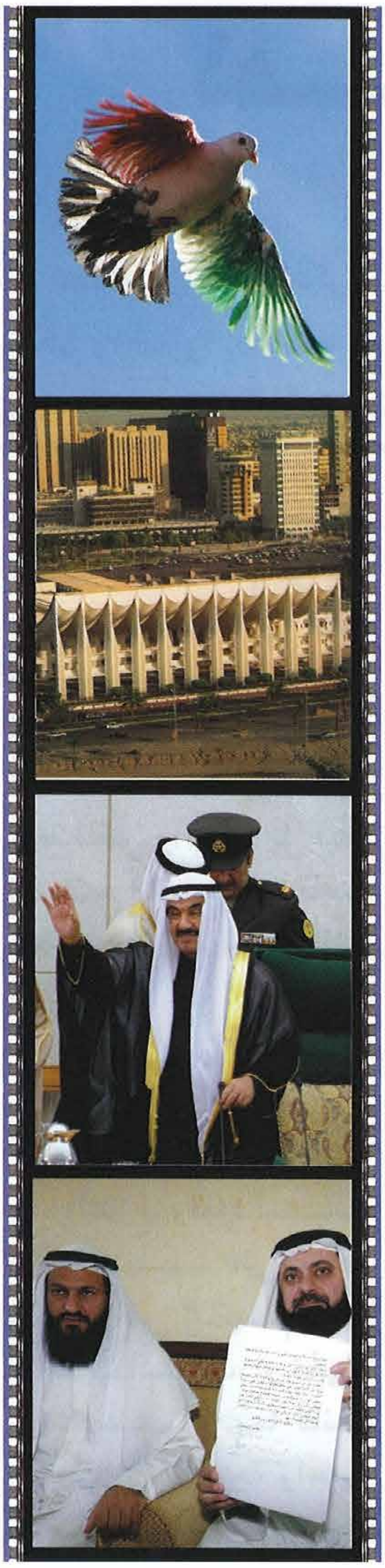

عاشوراء.. يوم حزن أم سرور؟

٩ محرم ١٤٣١ هـ / ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٩

عن أي عاشوراء تتحدث الروايات الواردة في كتب المسلمين والتي تخص مبدأ تشرف المدينة المنورة بهجرة النبي الأكرم إليها حيث رأى اليهودِ يصومون ذلك اليوم - شكراً لله - فصامه؟ أهو العاشر من محرم؟ أم اليوم العاشر من شهر (تشري) - الشهر الأول في التقويم اليهودي - وهو يوم مقدس عند اليهود مخصص للصلاة والصيام فقط، ويسمى بيوم كيبور (يومِ التكفير/يوم الغفران)؟ علماً بأن يوم كيبور هو اليوم المتمم لأيام التوبة العشرة والتي تبدأ بيومي رأس السنة، أو كما يطلق عليه بالعبرية (روش هشناه)، وحسب التراث اليهودي هذا اليوم هو الفرصة الأخيرة لتغيير المصير الشخصي أو مصير العالم في السنة الآتية (أي بمثابة ليلة القدر عندن المسلمين).

رأي الدكتور العجيري:

بيّن الباحث الفلكي الدكتور صالح العجيري أطال الله في عمره في بحث نشرته جريدة الوطن العام الماضي أن الصحيح هو الثاني حيث قال: (الحسابات الفلكية أثبتت أن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم حدثت يوم الإثنين ٨ ربيع الاول سنة ١ هجرية المصادف ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية الموافق ١٠ من شهر تشري سنة ٤٣٨٣ عبرية، وهو يوم الكيبور - التكفير - عاشوراء اليهود. وأوضح العجيري في تصريح لجريدة الوطن أن هناك من يظن أن الهجرة حدثت في شهر محرم).

عودة للوراء:

وأضاف العجيري: (أنه للتدليل على ذلك ومصداقاً للحديث النبوي الشريف فإنه يستنبط من السير أن صاحب الشريعة الاسلامية الغراء سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قد بارح مكة المكرمة مهاجراً قبيل ختام شهر صفر ببضعة أيام في الليالي التي يخبو فيها نور القمر وذلك بعد أن انتظر قدوم فصل الخريف فلم يشأ صلى الله عليه وسلم أن يهاجر مباشرة بعد بيعة العقبة التي تمت في فصل الصيف الحار فهو صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قد خطط للهجرة ومكث ثلاث ليال في غار ثور متخفياً ثم خرج منه في غرة شهر ربيع الأول قاصداً يثرب التي سميت بعد الهجرة المدينة المنورة ووصل قبلاء في يوم الإثنين في النصف الأول من شهر ربيع الأول، واستراح هناك أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس بها أول مسجد في الإسلام الذي نزلت فيه الآية الكريمة

[لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْم] ثم شرّف المدينة المنورة يوم الجمعة).

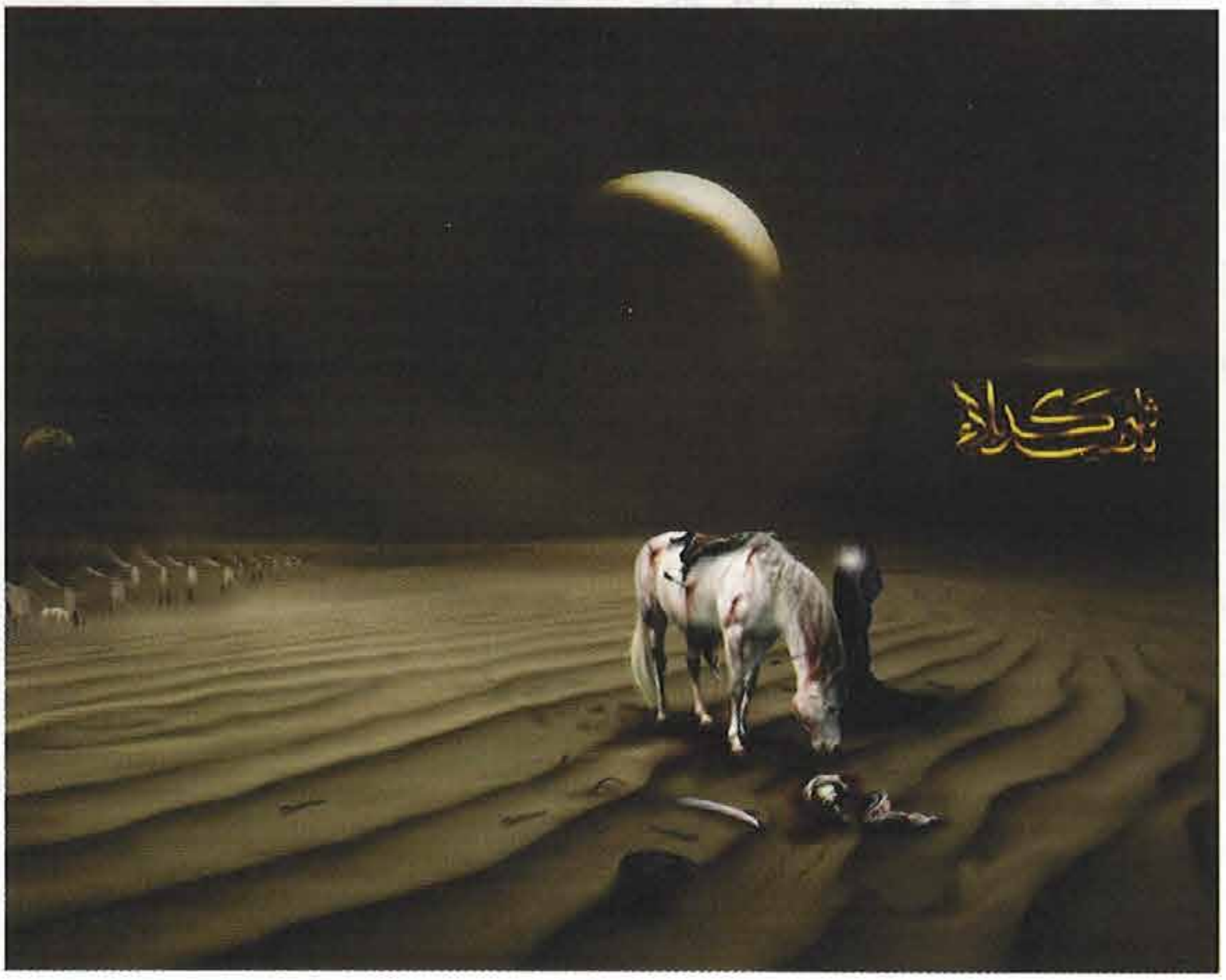

كيبور أم عاشوراء؟

وقال: (ولو رجعنا القهقرى بالحساب الفلكي أيضاً لتحديد التاريخ الميلادي الموافق لهذا اليوم فسنجد أنه يصادف ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية.

من ناحية أخرى في الحديث النبوي الشريف أن الرسول قدم المدينة يوم عاشوراء، فإذا اليهود صيام، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، أغرق الله تعالى فيه فرعون ونجى موسى. فقال: أنا أولى بموسى منكم. فصامه وأمر بصيامه.

ولا شك أن يوم عاشوراء لم يكن عاشوراء المسلمين الذي هو العاشر من المحرم مثلاً، بدليل أنه تساءل قائلاً: ما هذا؟ كما أن الروايات الصحيحة قطعت بأن الهجرة النبوية الشريفة حدثت في شهر ربيع الأول وليس في شهرٍ غيره).

ثم قال: (ويكون الشهر العبري المصادف لشهر ربيع الأول سنة ١ هجرية هو شهر تشري مستهل سنة ٤٣٨٣ وبما أن يوم الاثنين ٨ ربيع الأول سنة ١ هجرية هو بناءً على رؤية الهلال وأن مولد شهر تشري مبني على التوليد القمري والاصطلاح فإن اليوم العاشر من تشري سنة ٤٣٨٣ عبرية، وهو يوم عاشوراء يصادف يوم الهجرة النبوية الشريفة. إذن فبالدليل الحسابي تتفق هذه النتيجة مع ما ورد في الحديث النبوي الشريف من أنه دخل المدينة في يوم عاشوراء وكان يهود المدينة صياماً. ولقد أفاض الله عليّ من فيض فضله حيث اهتديت بعد تمحيص وتدبر أن المسلمين زمن الهجرة صاموا عاشوراء اليهود ثم خالفوهم وتركوا صوم اليوم العاشر من أول شهر في سنة اليهود ونقلوه إلى اليوم العاشر من الشهر الأول في سنة المسلمين.

أقول هذا لأنني بالحساب الفلكي الموثوق أؤكد أن اليهود كانوا صائمين يوم دخوله المدينة بذات اليوم وليس في يوم آخر سواه).

عاشوراء يوم حزن:

وبنـاء علـى كلام الدكتور العجـيري فـإن مـا قيل من ضرورة إشاعة مظاهر السرور والاحتفال في يوم العاشر من محـرم (عاشـوراء) لأنه اليوم الـذي نجـى الله فيه موسـى مـن الغرق وغـير ذلك من الأحداث، كلام لا أسـاس له من الصحة. بل بما أن العاشر مـن محرم هـو اليـوم الذي استشهد فيه ريحانة رسول الله الإمام الحسـين عليه السلام حبيب رسـول الله وسـبطه وسيد شباب أهل الجنة بتلك الصورة البطولية التي حفظتها لنا كتب التاريخ عند المسلمين كافة، مـع ما شملها من فجائع وانتهـاكات لحرمتـه وحرمة الشهداء والنسـاء والأطفال من أهل بيته وصحبه، فإن من المفـترض أن يكون هذا اليوم يوم حزن لا يوم سرور.

حزن النبي لمقتل الحسين:

هنـاك عـدة روايات تنقل إخبـار النبي عن استشـهاد الإمام الحسـين عليه السلام وحزنه وبكاءه لذلك، ومنه ما رواه الإمـام الذهبي في ميزان الاعتدال وابن كثير في تاريخه وابن عساكر في تاريخ دمشق وآخرون بأسـانيدهم عن أم المؤمنين أم سـلمة رضي الله عنها قالت: (كان جبرئيل عند النبي صلى الله عليه وسـلم والحسـين معي، فبكى، فتركته فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم، فقال جبرئيل: أتحبه يا محمد؟ قال: نعم. قال: إن أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك من تربة الأرض الـتي يُقتل بها، فـأراه فـإذا الأرض يقال لها كربلاء).

وروى الإمام أحمد بن حنبل بسـنده عن عبـدالله بن نجي عن أبيه: (أنه سـار مع علي رضـي الله عنه وكان صاحب مطرته ـ أي ماء وضوئه ـ فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفـين، فنادى علي رضي الله عنه: اصبر أباعبـدالله، اصبر أباعبدالله بشط الفرات، قلت: وما ذا؟ قال: دخلت على النبي صلـى الله عليه وآله وسـلم ذات يـوم وعينـاه تفيضان، قلت: يانبي الله أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: بلى قام من عندي جبرئيل قبلُ فحدثني أن الحسين يُقتل بشط الفرات، قـال: فقال: هل لك إلى أن أشمـك من تربته؟ قال: قلت: نعم. فمـد يده فقبض قبضـة من تـراب فأعطانيها فلم أملك عينـي أن فاضتا).

رواه الهيثمي في مجمع الزوائد وقـال: (رواه أحمد وأبو يعلى والبـزار والطبراني، ورجاله ثقات، ولم ينفـرد نجي بهذا).

ومـن أراد المزيـد فليراجع أمهات المصادر التاريخية.

إن الحـزن في يـوم عاشـوراء هو سنـة النبي الأكـرم صلـى الله عليه وآله وسـلم، وعلى هـذا النهج سـار أهل بيته الكـرام بعد استشهاد ريحانـة النبي صلى الله عليه وآله وسـلم، وبهذا عمل المسـلمون اقتداءً بسنة النـبي محمد صلـى الله عليه وآله وسـلم، وإظهار الفرح والسـرور ـ لاشك ولا ريب ـ مخالف لذلك كله.

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسـين وعلـى أصحـاب الحسين.

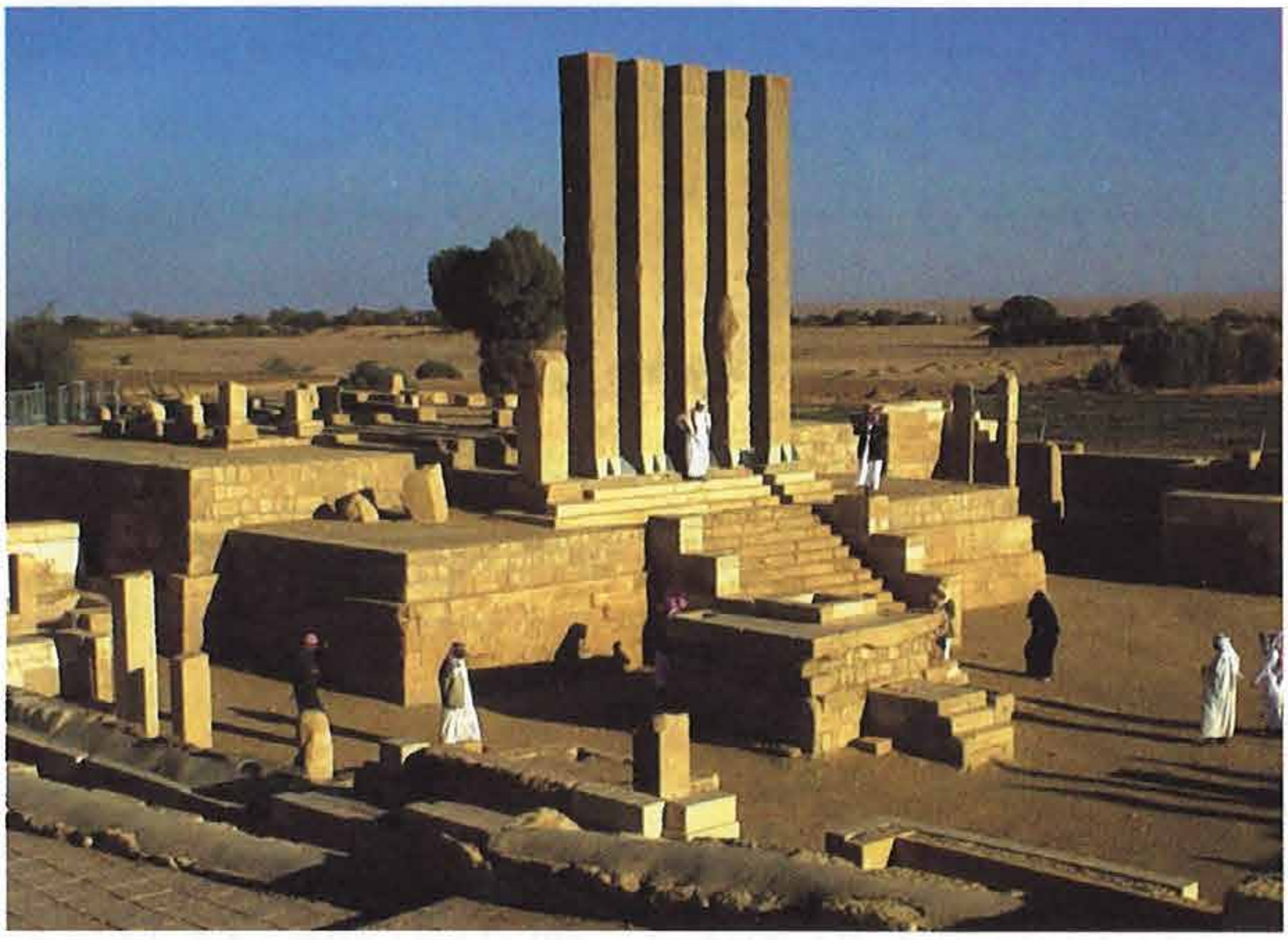

النموذج السبئي

١٦ محرم ١٤٣١هـ
٢ يناير ٢٠١٠

(لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ* فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ* ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ* وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ* فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) سبأ: ١٥ـ١٩.

إذا أضفنا إلى هذه الصورة المقدمة في الآيات الوصف المقدم في سورة النمل حول ملكة سبأ (إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) فسنصل إلى أن مملكة سبأ كانت تتمتع بقوة اقتصادية كبيرة، وتشهد حالة من التنمية والتقدم ما يجعلها في رخاء ورغد من العيش اعتماداً على ثلاثة عناصر: الزراعة ـ التجارة ـ الوحدة الوطنية.. فأين ذهب ذلك كله؟ وهل بإمكان السيل أن يقضي على كل ذلك؟ ولماذا لم تنهض هذه المملكة من جديد؟ وإلى أي مدى تنطبق مفردات هذه الصورة ـ في مقدماتها ـ على الأوضاع التي تعيشها الكويت اليوم أو تشرف عليها إن لم يتم تدراك الأوضاع؟

تحطم السد:

لماذا تهدم ذلك السد؟ أكان عذاباً نازلاً من الله عقوبةً لهم كما نزل على قوم لوط وصالح؟ أم كان نتيجةً طبيعية حين توفرت المقدمات التي كان بيد المجتمع السبئي أن يتجنبها؟ الاحتمال الثاني قائم تماماً كما هو الاحتمال

الأول، فالظلم والفساد الذي يؤدي إلى انعدام أسس الإصلاح والتنمية، وبالتالي سيادة الرشاوى والتخاذل في العطاء وعدم الإخلاص في العمل ووجود غير ذوي الكفاءات في المواقع المهمة وتقديم المصلحة الفردية على الصالح العام وغير ذلك من عناوين الفساد، كلها كفيلة بأن تقضي على أية حضارة أو مجتمع يشهد تقدماً على الصعد المختلفة.

فئران تقضي على مملكة!

بعض الأخبار تتحدث عن فئران نخرت في السد فتهدم وأغرق المملكة ودمّرها، فإن صح ذلك، فهل يمكن أن تنخر سداً عظيماً في ليلة؟ لابد أن ذلك تم في مدة طويلة، فلمَ لمْ يلحظ ذلك أحد؟ أليس هو التراخي والإهمال والفساد؟ ففي مملكة كسبأ تعتمد في الأساس على مشروع ضخم وحيوي كالسد لابد وأن تكون هناك جهة مسئولة عنه للصيانة والمتابعة، فكيف لم تكتشف تواجد الفئران ودورها التخريبي؟ وإلى أي مدى كان للتراخي والفساد دور في تلك الفاجعة؟ لربما لو كانت هناك متابعة وتطوير وتنمية وإصلاح لما وقع ما وقع.

المباعدة بين الأسفار:

العنصر الثاني للتنمية في المملكة السبئية كان عامل التجارة التبادلية مع بلاد الشام، وقد منّ الله على أهل هذه المملكة أنهم كانوا يعيشون الأمن في أسفارهم لتتابع القرى والمناطق المأهولة، (فَقَالُواْ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) فسلبوا أنفسهم هذه النعمة، وفقدوا جناح التنمية الثاني في مملكتهم ومصدر قوتهم الاقتصادية.. فهل كان مجرد دعاء باللسان، أم عملاً بالجوارح، فكأن أعمالهم تلك كانت بمثابة الدعاء بزوال النعمة؟ بحيث أنهم أقدموا على سلسلة من سن القوانين والإجراءات التعسفية التي تصب في مصلحة البعض وتسلب



من أطلال سد مأرب

مصالح الأطراف الأخرى فاضطرت تلك الثانية إلى أن ترحل عن مواقعها التي كانت تحقق الأمن في طريق السفر التجاري، أو أن تتحول إلى عناصر قلقة في المجتمع السبئي ذاته من خلال امتداداتها الطبيعية عبر الزمن ضمن التركيبة الإجتماعية، أو أن تغدو عاملاً لسلب الأمن في إطار النزاعات بين الأطراف المختلفة، وتنتقل من موقع التحالف إلى موقع العداء والسلب وقطع الطريق.

الوحدة الوطنية:

العامل الثالث يتضمنه قوله تعالى (وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) وفي المثل (تفرقوا أيادي سبأٍ) ونصوص تاريخية متعددة وكلها تؤكد أن المجتمع السبئي ـ في تركيبته ـ كان تعدديا، ولذا اختزن القابلية للتشرذم والنزاع، وهو ما انعكس على الوضع القائم بمجرد أن فقدت المملكة عناصر استمرارها، فاحتكموا إلى انتملاءاتهم المختلفة وتمزقوا وانتهت دولتهم وأصبحوا من الضعف بمكان حتى غدوا أحاديث ذلك الزمان.. أما حين كانت مقومات الدولة القوية حاضرة، كانوا وحدة واحدة وتحققت التنمية، ولم تمنعهم انتملاءاتهم القبلية والعرقية المختلفة أن يعملوا معاً من أجل الصالح العام.

إن النتيجة الطبيعية للظلم والفساد بصوره المختلفة، وتغليب الصراعات ومنطق القوة على منطق العقل، والتشرذم، والاحتكام إلى الشارع، واستعراض العضلات، والتجرؤ على مؤسسات الدولة، والتأخير في تطبيق القانون، وعدم المساواة في تطبيقه، وتقديم الانتماء القبلي والعرقي والفئوي على الانتماء الوطني، وتغييب مفاهيم الدولة الحضارية المتمدنة لدى أفراد المجتمع، كل ذلك من شأنه أن يقدّم النموذج السبئي كصورة حاضرة وحتمية لمستقبل وطن أغدق عليه الله تعالى نعمه كافة، وأراد له مؤسسوه أن يكون رائداً على كافة المستويات، ما لم يبادر أصحاب القرار النافذ والعقلاء من أبناء الوطن إلى تعديل الأوضاع ضمن دولة يحكم فيها الدستور، ويكون فيها للقانون هيبته وفي إطار الحكمة العلوية (حزم في لين).. أما ما ينادي به البعض من الدفع باتجاه سلب الحريات والحد من المشاركة الشعبية في اتخاذ القرار، فلن يحل المشكلة، بل سيحوّلها إلى دمامل تحت الجلد قابلة للانفجار في أية لحظة.. ورفقاً بالوطن..



بين التقديس والتقدير

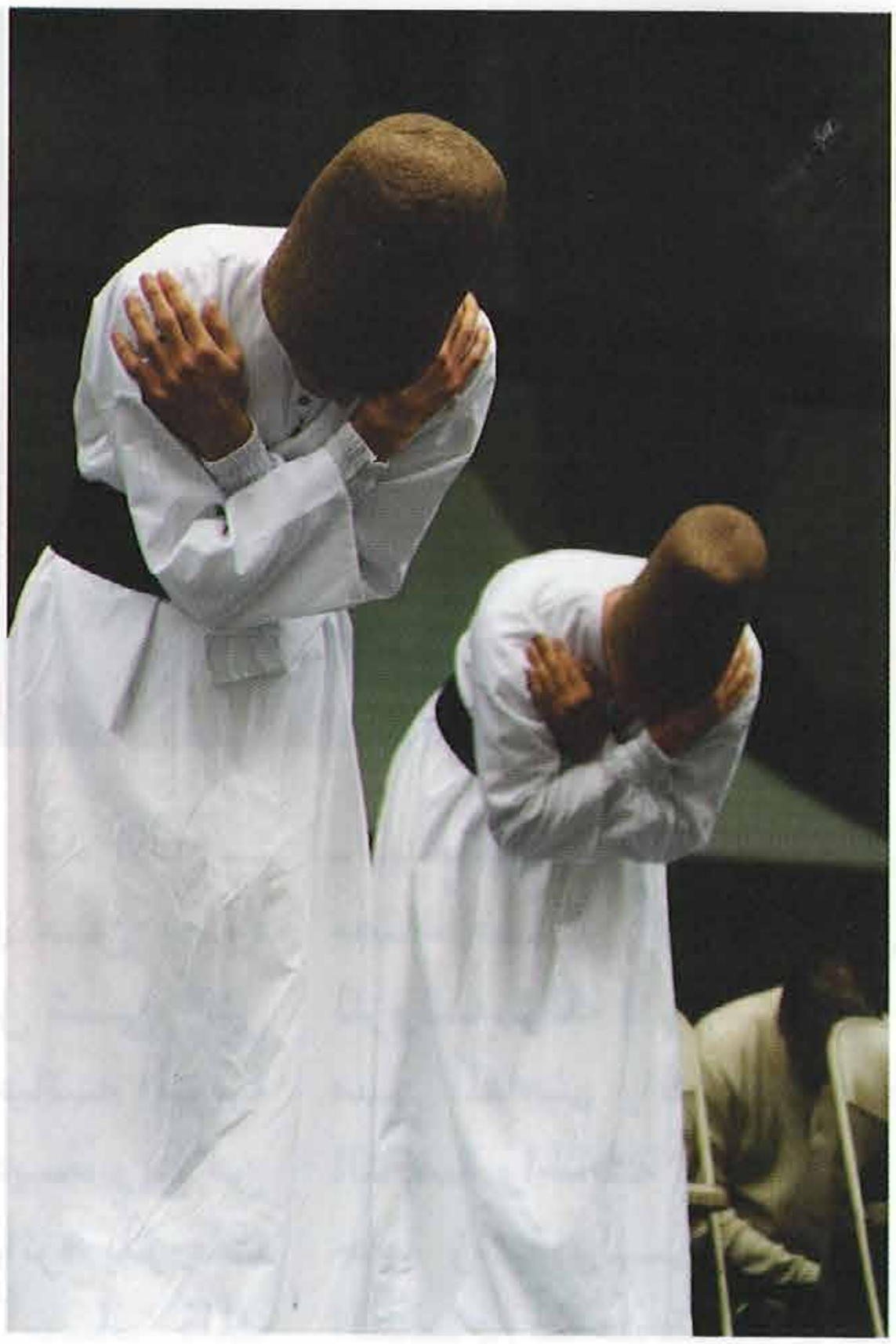

٢٣ محرم ١٤٣١هـ / ٩ يناير ٢٠١٠

بين الدين و المقدس ترابطٍ حتمي، فدائماً نجد الدين ممزوجاً ببعض المقدسات، فما هو مفهوم المقدس؟ وما الفرق بين المقدس والمحترم؟ وهل كل مقدس عند الناس هو مقدس على نحو الحقيقة؟

مفهوم المقدس:

في الأغلب يقصد من المقدس ما كان متعالياً عن النقد مما هو قطعي الوجود، حتى لو لم ندرك فلسفة الأمر وحقيقته. فالذات الإلهية مقدسة وإن كنا لا ندرك كنهها وحقيقتها، والله سبحانه غيب بالنسبة إلينا، إلا أن الدليل القطعي قائم بوجوده. والقرآن الكريم كتاب مقدس وهو فوق النقد، ولابد من التسليم التام له وإن لم ندرك مداليل آياته المتشابهة، أو تعارض بعض ما فيه مع شئ من رؤانا. ويبدو أن التقديس فرع العصمة والتنزه عن الباطل.

وعلى كل تقدير فإن وجود المقدس كالقرآن ـ مثلا ـ نعمة، لأنه يجعلنا نشعر بالطمأنينة والثقة حين نأخذ منه المفاهيم والمعارف والتشريعات وحِكم الحياة وأخبار الماضين وإنباءات المستقبل وغير ذلك.

تقديس واستفهام:

هذا لا يعني ـ بالطبع ـ عدم الاستفهام والسؤال والبحث والدراسة، فهذا حق مشروع ضمن الإطار العلمي، بل هو ضرورة وأمر مندوب إليه في كثير من المواقع، ولكن لابد في نهاية المطاف من التسليم وإن لم يمكن وفق حدود قدراتنا المعرفية أن نصل إلى الإجابة. فالذات الإلهية مقدسة ومع هذا تدور حول صفاته وذاته



بحوث ودراسات، وتغيب عنا الكثير من الحقائق حوله سبحانه.

الفرق بين المقدس والمحترم:

الاحترام والتقدير لا يتعارضان مع النقد، فكتاب نهج البلاغة محترم وموضع تقدير وإجلال، ولكنه ليس فوق النقد. نعم لو ثبت أن كل نهج البلاغة هو كلام أمير المؤمنين حتماً ويقيناً لتغيّر الحال، ولكن الواقع أن الكلام منسوب إليه وفيه ما صدر عنه، وفيه ما لم يصدر وهو محل نقاش وترديد. على خلاف القرآن الكريم الذي نعتبره مقدساً وفوق النقد لأننا على يقين أنه منزه عن الباطل وأنه من الجلد إلى الجلد تنزيل من رب العالمين.

وهكذا فإن عالم الدين محترم وموضع تقدير وإجلال، ولكنه ليس فوق النقد، لأنه ليس بمعصوم، بينما النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم مقدس وفوق النقد، لأنه منزه عن الباطل ومعصوم، وإن كانت دائرة عصمته تختلف عند المذاهب الإسلامية بين من يعتبره معصوماً في كل شئ، حتى في ما يخص حياته اليومية وتعاملته العادية، وين من يضيق هذه الدائرة بدرجات مختلفة. وعلى أساسٍ ذلك سيكون تقديسه متفاوتاً بينها وفق تلك الرؤية.

ومن هنا يجب أن نكون دقيقين فيما ندخله في دائرة المقدسات، وكذلك فيما نخرجه منها.

إلغاء المقدسات:

البعض من الحداثويين يدعون إلى نقد القرآن الكريم، فلا مقدس عندهم إلا الله سبحانه، وأما القرآن ـ فبزعمهم ـ لا يعدو أن يكون مصاغاً ضمن الإطار الزمني لنزوله، ولذا فهو يحمل جملة من المفاهيم والتشريعات الناقصة والخاطئة المتناسبة مع حقبة زمنية ولّت.. والفعلِ البشري فيه متحقق، تأليفاً وجمعاً وحفظاً. ولا يمكن أن نوافقهم على ذلك، وهو خطأ فادح، ومخالف لضرورات معتقد المسلمين.

توسعة دائرة المقدسات:

وفي المقابل هناك من يدخل الكثير من الأمور والشخصيات المحترمة ضمن دائرة المقدسات، وهذا خطأ آخر. وقد لا يقع التصريح بالتقديس أحياناً لشخص أو

أمرٍ ما، بينما يكونٍ من الناحية العَملية مقدّساً، حين نعتبره فوق النقد، ونمنع الناس من نقده. فكتاب صحيح البخاري عند إخواننا أهل السنة يعتبر كتاباً مقدساً لأنه فوق النقد، بل يصرح البعض بأن نقده يؤدي إلى هدم الدين، وهذا تقديس عملي وإن لم يُصرَّح بقداسة هذا الكتاب الذي يُعدّ جهداً بشرياً وفق رؤية معينة لعالم أراد أن يجمع ما صح عنده من أحاديث رويت عن النبي، وقد يكون فيها الموضوع و الضعيف. وقد وقع الحداثويون في ذات الخطأ وإن كانوا يرفضون مبدأ التقديس من أساسه، فقد جعلوا لشخصياتهم ومفكريهم وآرائهم قدسية عملية حتى أنهم يلاقون الرأي الآخر بالاستهزاء والاتهام بالتخلف ومعاداة الإنسانية والعقل والوعي.

إثقال كاهل الدين:

توسعة دائرة المقدسات بصورتيها التصريحية والعملية تثقل كاهل الدين والمتدينين، لأنها اجتهادات قد تخطئ، وقد تكون مخالفة للدين، وقد تكون مخالفة لليقين العلمي، وقد تكون مناسبة لزمن دون آخر، أو لمجتمع دون آخر، ولكن صفة القداسة ـ حينئذ ـ ستمنع من نقدها أو مخالفتها. فنحن نقر أن مسألة التطبير ـ على سبيل المثال ـ أحدثت خلافاً

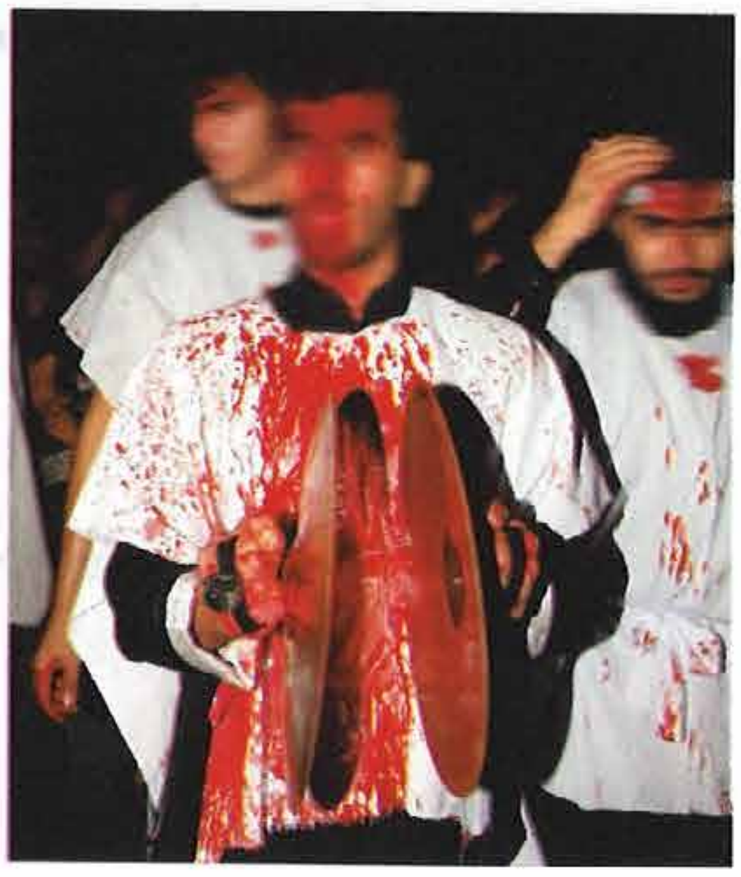

بين الفقهاء من حيث الفتوى بإباحتها أو تحريمها، ولكل فقيه رؤيته الخاصة واجتهاده وخلفياته المؤثرة في الحكم، ولكن المشكلة أن البعض أضفى صفة القداسة على الموضوع بحيث أصبح مجرد الحديث عن المسألة أو نقدها تهمة كبيرة. وهكذا الأمر في كثير من الممارسات التي يأتي بها المتدينون ـ على اختلاف مذاهبهم وتشعباتهم ـ وفي التفاصيل التاريخية لأحداث العصر الإسلامي والمسائل الفقهية.. إلخ القائمة.

الحساسية من نقد الغرب:

وبنظرة أشمل فإن مِن المسلمين اليوم مَن أصبح حساساً من نقد الغربيين لنا كمسلمين.. نعم لا ننكر أن هناك من يحقد على الإسلام والمسلمين، إلا أن هذا لا يعني أن الجميع هكذا، أو أن نقابل أي نقد بهذه الحساسية، وإلا فإننا سنضفي على كل فهمنا البشري للدين وتصرفاتنا مهما كانت خاطئة، وتخلّفنا في مجالات كثيرة، صفة القدسية وحرمة الانتقاد.

فلنستمع إلى ما يقولون بعقولٍ واعية فلعل في كلمتهم حقاً، وإلا غدونا كما قال تعالى في حق قوم النبي نوح عليه السلام: (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا) نوح: ٧.

صدر للمؤلف :

الكتب والكتيبات

١. أحكام الحدث الأكبر
٢. أحكام الدماء الثلاثة : وفق فتاوى السيد الخوئي / السيد السيستاني
٣. أحكام المريض والمصاب : وفق فتاوى السيد محمد حسين فضل الله
٤. أحكام المريض والمصاب : وفق فتاوى السيد السيستاني
٥. أحكام النجاسات والمطهرات : وفق فتاوى السيد الخوئي / السيد السيستاني
٦. إليك يا ولدي
٧. إليكِ يا ابنتي
٨. بساتين الإيمان : ٤ كتب دراسية للمرحلة المتوسطة مصورة وملونة
٩. حدائق الإيمان : ٤ كتب دراسية للمرحلة الابتدائية مصورة وملونة
١٠. الدرة الثمينة في أخبار مكة والمدينة
١١. الدليل : مرشد الزائرين للعتبات المقدسة في إيران
١٢. دليل الحاج والمعتمر
١٣. رسالة المسجد
١٤. زوجتي العزيزة
١٥. زوجي العزيز
١٦. زينة الحياة : آداب وأحكام المواليد
١٧. شهداء على أرض فخ
١٨. صلاة الجمعة
١٩. الغناء في ميزان الشرع
٢٠. فراس : قصة مصورة للأطفال
٢١. المآتم الحسينية : أهداف وتطلعات
٢٢. المرأة والستر الشرعي
٢٣. مفاهيم حركية من وحي القرآن: مجلدان
٢٤. منتقى الجمان من مفاتيح الجنان
٢٥. منتقيات (في ٣ أجزاء)
٢٦. النشأة الآخرة
٢٧. للشباب فقط
٢٨. واحات الإيمان : ٤ كتب دراسية للمرحلة الثانوية
٢٩. وداع الأحبة : أحكام الميت ، آداب العزاء ، وزيارة القبور

برامج الحاسب الآلي :

١. أحكام الاعتكاف
٢. أحكام التجويد
٣. أحكام الحج والعمرة
٤. الأحكام الخلافية في الحج : وفق فتاوى ثمانية من أعلام المرجعية المعاصرة
٥. أحكام الشك في الصلاة
٦. أحكام المريض والمصاب : وفق فتاوى السيد محمد حسين فضل الله . برنامج مبسط ومزود بأفلام ولوحات توضيحية
٧. أحكام المريض والمصاب : وفق فتاوى السيد السيستاني . برنامج مزود بأفلام ولوحات توضيحية
٨. أحكام النساء : وفق فتاوى السيد محمد حسين فضل الله . برنامج مبسط ومزود بلوحات توضيحية
٩. أحكام النساء (Menstruation Rules) باللغة الإنجليزية : وفق فتاوى السيد محمد حسين فضل الله . برنامج مبسط ومزود بلوحات توضيحية
١٠. حدائق الإيمان : منهج تعليمي للصف الثاني الابتدائي ، بالصوت والصورة
١١. مسابقات دينية : بطريقة مسلية ومبتكرة
١٢. الهادي لفتاوى آية الله العظمى السيستاني : يحتوي على أكثر من ٥٣٠٠ استفتاء تم تقسيمها إلى أبواب مختلفة مع إمكانية البحث فيها
١٣. المدرسة القرآنية: منهج تعليمي للمرحلة الثانوية فما فوق، يحتوي على شرح الآيات وإمكانية التحفيظ مع أحكام التجويد وآداب التلاوة والأحكام الفقهية والقصص القرآنية والدروس الأخلاقية المستقاة من آيات القرآن الكريم، مع تقديم نماذج من قراءات المقرئين.

* كما قام المؤلف بإعداد برنامج تعليم القرآن الكريم للمراحل الابتدائية الخمس والخاص بالمدرسة الذكية بدولة الكويت.

التسجيلات الصوتية :

١. زوجتي العزيزة
٢. زوجي العزيز
٣. فزت ورب الكعبة
٤. للشباب- فقط
٥. المباهلة
٦. واقعة الطف في ضمير التاريخ

الرسوم المتحركة :

ـ مغامرات عجيب : ١٦ حلقة تربوية في ٤ أشرطة فيديو

الأفلام :

ـ مجلس القاسم : ٣ أفلام تحتوي على مجموعة من الدروس الخاصة بالأطفال أقيمت في شهر محرم بأسلوب مبتكر

هذا الكتاب...

هذا هو الإصدار الثالث من كتاب (منتقيات) والذي يجمع المقالات الرئيسية في صفحة (منتقى الجمان) المنشورة في جريدة الوطن الكويتية ـ مع جزيل الامتنان للقائمين عليها ـ حيث تم نشر ١٥٦ عدداً إلى حين إعداد هذا الكتاب، بواقع ٥٢ عدداً لكل سنة، والله المستعان.

وإذ سعيت خلال العام الثالث أن أحافظ على الطرح المتزن في عرض الموضوعات ومعالجة القضايا، لاسيما الحياتية والعملية منها، فإن مقالتين من بين تلك المقالات أثارتا نقاشاً وجدلاً واسعاً.. المقالة الأولى تحت عنوان (كذبة وصدقناها)، والثانية (ماذا يجري في المقبرة الجعفرية؟) وإن كان نصيب الأسد من الإثارة للثانية منهما.

المؤلف